



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

أدوار الفقه الأمامي

مؤلفه
الشيخ محمد باقر المجلسي
الشيخ محمد باقر المجلسي

مطبعة
دار الفقه الإسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أدوار الفقه الإمامي

كاتب:

جعفر سبحاني

نشرت في الطباعة:

مؤسسة امام صادق عليه السلام

رقم الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٧	أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)
١٧	إشارة
١٧	[مقدمات التحقيق]
١٧	مقدمة المؤلف
١٨	تمهيد
١٨	أدوار الفقه الإسلامي
١٩	الحاجة إلى تاريخ الفقه
١٩	المناهج المتبعة في تاريخ الفقه
١٩	الفقه الإمامي الاثنا عشرى
٢٠	العهد التأسيسي للفقه
٢٢	الدور الأول: عصر النشاط الحديثى و الاجتهادى (١١ - ٢٦٠ هـ)
٢٢	إشارة
٢٢	العترة هم المرجع فى الأحكام بعد رحيله (صلى الله عليه و آله و سلم)
٢٣	أولو الأمر
٢٤	العترة عيبة علم الكتاب و السنّة
٢٤	إشارة
٢٥	١. الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)
٢٥	٢. أبو رافع الصحابى
٢٦	٣. على بن أبى رافع التابعى
٢٦	٤. عبید الله بن أبى رافع التابعى
٢٦	٥. ربيعة بن سُميع التابعى
٢٦	٦. عبید الله بن الحر الجعفى، الفارس الفاتك، الشاعر التابعى

- ٢٧ عصر الإمامين الباقر و الصادق (عليهما السلام) -
- ٢٧ اشارة -
- ٣١ الأصول و المصتفات -
- ٣٤ الشيعة و تدوين السنة -
- ٣٤ اشارة -
- ٣٤ الطبقة الأولى -
- ٣٥ الطبقة الثانية -
- ٣٥ الطبقة الثالثة -
- ٣٧ الطبقة الأولى من الفقهاء -
- ٣٧ الطبقة الثانية -
- ٣٨ الطبقة الثالثة -
- ٤٠ تدريب أصحابهم على الاجتهاد -
- ٤٢ الأساليب المختلفة لتدوين الفقه -
- ٤٢ اشارة -
- ٤٢ ١. كتاب عبيد الله الحلبي -
- ٤٣ ٢. كتاب يونس بن عبد الرحمن -
- ٤٣ ٣. كتاب الفضل بن شاذان -
- ٤٤ نماذج من فتاوى أصحاب الأئمة -
- ٤٤ اشارة -
- ٤٤ أ. فتاوى زرارة (المتوفى عام ١٥٠ هـ) -
- ٤٥ ب. فتاوى محمد بن مسلم الثقفي (المتوفى عام ١٥٠ هـ) -
- ٤٦ ج. فتاوى عبد الله بن بكير بن أعين الشيباني -
- ٤٦ د. فتاوى يونس بن عبد الرحمن (المتوفى ٢٠٨ هـ) -
- ٤٧ هـ. فتاوى الفضل بن شاذان (المتوفى ٢٦٠ هـ) -

- ٤٨ المراكز الفقيهية التي ازدهرت في هذا الدور
- ٤٨ اشارة
- ٤٨ ١. المدينة المنورة
- ٤٩ ٢. الكوفة و جامعها الكبير
- ٥٠ ٣. مدرسة قم و الري
- ٥٠ اشارة
- ٥٠ أ. زكريا بن آدم
- ٥٠ ب. سعد بن سعد بن الأحوص بن سعد بن مالك الأشعري القمي
- ٥٠ ج. العباس بن معروف، أبو الفضل، مولى جعفر بن عبد الله الأشعري
- ٥١ الدور الثاني عصر تبويب الحديث و منهجة الاجتهاد (٢٦٠ - ٤٦٠ هـ)
- ٥١ اشارة
- ٥١ ١ تبويب الحديث
- ٥١ اشارة
- ٥٢ ١. محمد بن يعقوب الكليني (٢٦٠ - ٣٢٩ هـ)
- ٥٢ اشارة
- ٥٢ مشايخه
- ٥٣ تلاميذه و الرواة عنه
- ٥٣ ٢. محمد بن بابويه القمي (٣٠٦ - ٣٨١ هـ)
- ٥٣ اشارة
- ٥٤ مشايخه
- ٥٤ تلاميذه و الرواة عنه
- ٥٥ ٣. محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ)
- ٥٥ اشارة
- ٥٦ مشايخه

- ٥٦ تلاميذه و الرواة عنه
- ٥٧ مدرسة أهل الحديث
- ٥٩ ٢ مدرسة الاجتهاد
- ٥٩ اشارة
- ٦٠ طائفة من المجتهدين عقب عصر الغيبة إلى عصر الشيخ الطوسي.
- ٦٠ اشارة
- ٦٠ ١. إبراهيم بن محمد الثقفي (المتوفى ٢٨٣ هـ)
- ٦٠ ٢. سعد بن عبد الله القمي (المتوفى ٢٩٩ هـ)
- ٦٠ ٣. محمد بن أحمد الصابوني (المتوفى نحو ٣٢٠ هـ)
- ٦١ ٤. الحسن بن أبي عقيل (المتوفى نحو ٣٢٩ هـ)
- ٦٣ ٥. علي بن أحمد الكوفي (المتوفى ٣٥٢ هـ)
- ٦٣ ٦. علي بن بابويه الصدوق الأول (المتوفى ٣٢٩ هـ)
- ٦٤ ٧. أبو الحسين الناشئ (٢٧١-٣٦٦ هـ)
- ٦٤ ٨. محمد بن أحمد بن الجنيد (المتوفى ٣٨١ هـ)
- ٦٧ ٩. محمد بن مسعود العياشي (المتوفى نحو ٣٢٠ هـ)
- ٦٨ ١٠. جعفر بن محمد بن قولويه القمي (المتوفى ٣٦٧ هـ)
- ٦٨ ١١. محمد بن علي بن الحسين الصدوق (٣٠٦-٣٨١ هـ)
- ٧٠ ١٢. محمد بن محمد بن النعمان المفيد (٣٣٦-٤١٣ هـ)
- ٧٠ اشارة
- ٧٢ البصمات التي تركها المفيد على الفقه الإمامي
- ٧٣ المفيد و ابتكاره للفقه المقارن
- ٧٣ ١٣. السيد المرتضى (٣٥٥-٤٣٦ هـ)
- ٧٣ اشارة
- ٧٥ ميزات فقهه

- ٧٧ ١٤. أبو الصلاح الحلبي (٣٧٤ - ٤٤٧ هـ) -
- ٧٨ ١٥. أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز الديلمي (المتوفى ٤٤٨ هـ) -
- ٧٩ ١٦. محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ) -
- ٧٩ اشارة
- ٨١ آثاره الأصولية و الرجالية
- ٨٢ خصائص فقه الشيخ الطوسي
- ٨٣ ميزات هذا الدور
- ٨٤ المراكز الفقهية التي ازدهرت في هذا الدور
- ٨٥ الدور الثالث عصر الركود (٤٦٠ - ٦٠٠ هـ) («١») -
- ٨٥ اشارة
- ٨٧ فقهاء الدور الثالث
- ٨٧ اشارة
- ٨٧ ١. ابن البراج الطرابلسي (٤٠٠ - ٤٨١ هـ) -
- ٨٨ ٢. أبو علي الطوسي (المتوفى نحو ٥١٥ هـ) -
- ٨٩ ٣. الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (٤٧١ - ٥٤٨ هـ) -
- ٨٩ ٤. قطب الدين الراوندي (المتوفى ٥٧٣ هـ) -
- ٩٠ ٥. جمال الدين أبو الفتوح الرازي المتوفى (نحو ٥٥٠ هـ) -
- ٩٠ ٦. أبو جعفر محمد بن علي الطوسي المعروف بـ «ابن حمزة» (المتوفى نحو ٥٥٠ هـ) -
- ٩١ ٧. أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي المجد الحلبي (المتوفى بعد ٥٦٦ هـ) -
- ٩٢ ٨. السيد ابن زهرة الحلبي (٥١١ - ٥٨٥ هـ) -
- ٩٢ ٩. محمد بن الحسن الكيدري من علماء القرن السادس
- ٩٣ ١٠. الإمام سديد الدين الحمصي الرازي (المتوفى قبل ٥٨٩ هـ) -
- ٩٤ ١١. محمد بن علي بن شهر آشوب (٤٨٨ - ٥٨٨ هـ) -
- ٩٥ أسباب الركود

- ٩٧ ميزات هذا الدور
- ٩٨ الدور الرابع تجديد الحياة الفقهية (٦٠٠-١٠٣٠هـ).....
- ٩٨ القرن السابع
- ٩٨ اشارة
- ٩٨ [فقهاء القرن السابع]
- ٩٨ ١. ابن إدريس مجدد الحياة الفقهية (٥٤٣-٥٩٨هـ).....
- ١٠٠ مراسلاته مع فقهاء عصره
- ١٠٠ ٢. الفقيه معين الدين المصرى (كان حياً عام ٦٢٩هـ).....
- ١٠١ ٣. شمس الدين فخار بن معد بن فخار (المتوفى ٦٣٠هـ).....
- ١٠١ ٤. نجيب الدين محمد بن جعفر بن نما الحلبي (٥٦٥-٦٤٥هـ).....
- ١٠٢ ٥. المحقق الحلبي نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الحلبي (٦٠٢-٦٧٦هـ).....
- ١٠٣ ٦. أحمد بن موسى بن جعفر بن طاوس (المتوفى ٦٧٣هـ).....
- ١٠٤ ٧. الفقيه البارع يحيى بن سعيد الحلبي (٦٠١-٦٨٩).....
- ١٠٤ ٨. غياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن طاوس (٦٤٨-٦٩٣هـ).....
- ١٠٤ ٩. سديد الدين يوسف بن المطهر الحلبي.....
- ١٠٥ ١٠. الحسن بن أبي طالب اليوسفي الآبي (كان حياً عام ٦٧٣هـ).....
- ١٠٦ ١١. الشيخ عماد الدين علي بن محمد الطبري (كان حياً عام ٦٩٨هـ).....
- ١٠٦ حصيلة الجهود الفقهية فى القرن السابع.....
- ١٠٦ اشارة
- ١٠٧ ١. تأليف متون فقهية.....
- ١٠٧ ٢. تأليف موسوعات فقهية.....
- ١٠٧ ٣. الاهتمام بأصول الفقه.....
- ١٠٧ ٤. إبداع نهج جديد فى الفقه الشيعي.....
- ١٠٧ ٥. تهذيب الأخبار.....

- الجهد الفقهي في القرن الثامن ١٠٨
- إشارة ١٠٨
- [فقهاء القرن الثامن] ١٠٨
١. الحسن بن علي بن داود الحلّي (٦٤٧-٧٠٧ هـ) ١٠٨
٢. العلامة الحلّي (٦٤٨-٧٢٦ هـ) ١٠٩
٣. فخر المحققين (٦٨٢-٧٧١ هـ) ١١١
٤. قطب الدين الرازي (المتوفى عام ٧٧٦ هـ) ١١٢
٥. محمد بن مكى العاملي (٧٣٤-٧٨٦ هـ) ١١٣
٦. عميد الدين عبد المطلب بن محمد («٢») بن علي الأعرج (٦٨١-٧٥٤ هـ) ١١٤
٧. عبد الله بن محمد بن علي الأعرج ١١٤
٨. عبد الله بن سعيد بن المتوج البحراني ١١٥
٩. مهنا بن سنان بن عبد الوهاب المدني (المتوفى ٧٥٤ هـ) ١١٥
- حصيلة الجهود الفقهية في القرن الثامن ١١٦
- الجهد الفقهي في القرن التاسع ١١٧
- إشارة ١١٧
- الأوضاع السياسية في القرن التاسع ١١٧
- التيمورية على منصة الحكم ١١٨
- أسماء نخبة من فقهاء هذا القرن: ١١٨
١. الحسن بن سليمان بن خالد الحلّي (كان حيّاً عام ٨٠٢ هـ) ١١٩
٢. فخر الدين أحمد بن عبد الله بن المتوج ١١٩
٣. جمال الدين المقداد بن عبد الله السيوري الحلّي (المتوفى ٨٢٦ هـ) ١١٩
٤. ابن فهد الحلّي (٧٥٧-٨٤١ هـ) ١٢١
٥. ناصر الدين بن جمال الدين أحمد بن متوج (المتوفى ٨٥٦ هـ) ١٢٢
٦. الشيخ شهاب الدين أحمد بن فهد بن إدريس المقرئ الأحسائي ١٢٢

٧. محمد الأنصاري بن شجاع الحلّي ١٢٢
٨. مفلح الصيمري (كان حياً عام ٨٧٨ هـ) ١٢٣
٩. الحسن بن محمد بن الحسن الاسترآبادي ١٢٣
١٠. الحسن بن راشد الحلّي ١٢٤
١١. ابن أبي جمهور الأحسائي ١٢٤
- حصيله الجهود العلميه في القرن التاسع ١٢٥
- الجهود الفقهيّه في القرن العاشر و أوائل الحادي عشر ١٢٥
- إشارة ١٢٥
- [فقهاء القرن العاشر] ١٢٦
١. الشيخ حسين الصيمري (المتوفّي عام ٩٣٣ هـ) ١٢٦
٢. الحسن الأعرج الحسيني (المتوفّي عام ٩٣٣ هـ) ١٢٦
٣. علي بن عبد العالي العاملي الكركي (المتوفّي عام ٩٤٠ هـ) ١٢٧
٤. إبراهيم القطيفي (المتوفّي عام ٩٤٥ هـ) ١٢٧
٥. زين الدين الجبعي العاملي (٩١١ - ٩٦٦ هـ) ١٢٨
٦. الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي (٩١٨ - ٩٨٤ هـ) ١٢٩
٧. علي بن الحسين الصائغ العاملي (المتوفّي عام ٩٨٠ هـ) ١٣٠
٨. عبد العالي الكركي (٩٢٦ - ٩٩٣ هـ) ١٣٠
٩. المحقق أحمد الأردبيلي (المتوفّي عام ٩٩٣ هـ) ١٣١
١٠. الحسين المجتهد الكركي (المتوفّي عام ١٠٠١ هـ) ١٣٢
١١. الشيخ جمال الدين الحسن صاحب المعالم (٩٥٩ - ١٠١١ هـ) ١٣٢
١٢. السيد محمد صاحب المدارك (٩٤٦ - ١٠٠٩ هـ) ١٣٣
١٣. القاضي نور الله التستري المرعشي (٩٥٦ - ١٠١٩ هـ) ١٣٤
١٤. عناية الله القهبائي (كان حياً عام ١٠١٦ هـ) ١٣٤
١٥. الشيخ عبد النبي بن الشيخ سعد الجزائري («٢») (المتوفّي ١٠٢١ هـ) ١٣٥

١٦. عبد الله بن الحسين التستري شيخ الرجاليين (المتوفى ١٠٢١ هـ) ١٣٥
١٧. ميرزا محمد الاسترآبادى (المتوفى ١٠٢٨ هـ) ١٣٦
١٨. الشيخ محمد بهاء الدين (٩٥٣ - ١٠٣٠ هـ) ١٣٦
١٩. الشيخ جواد بن سعيد بن جواد الكاظمى (كان حياً عام ١٠٢٩ هـ) ١٣٧
٢٠. محمد باقر بن محمد مؤمن السبزوارى (١٠١٧ - ١٠٩٠) ١٣٨
١٣٨. حصيلة الجهود الفقهية فى القرن العاشر ١٣٨
١٤٠. ميزات الدور الرابع ١٤٠
١٤١. المراكز العلمية التى نشطت فى هذا الدور ١٤١
١٤١. اشارة ١٤١
١. مدرسة الحلة ١٤١
٢. مدرسة جبل عامل ١٤١
١٤٢. الدور الخامس ظهور الحركة الاخبارية («١») (١٠٣٠ - ١١٨٥ هـ) ١٤٢
١٤٢. اشارة ١٤٢
١٤٣. الجذور المزعومة للحركة الاخبارية ١٤٣
١٤٤. الاخبارية بين التطرف و الاعتدال ١٤٤
١٤٧. [أعيان الاخبارية] ١٤٧
١. زين الدين على بن سليمان (المتوفى ١٠٦٤ هـ) ١٤٧
٢. المجلسى الأول (١٠٠٣ - ١٠٧٠ هـ) ١٤٧
٣. خليل بن غازى القزوينى (١٠٠١ - ١٠٨٩ هـ) ١٤٨
٤. الفيض الكاشانى (١٠٠٧ - ١٠٩١ هـ) ١٤٨
٥. عبد على العروسى (كان حياً عام ١٠٧٣ هـ) ١٤٩
٦. محمد بن الحسن الحر العاملى (١٠٣٣ - ١١٠٤ هـ) ١٤٩
٧. السيد هاشم بن سليمان البحرانى التوبلى (المتوفى ١١٠٧ هـ) ١٥٠
٨. المجلسى الثانى (١٠٣٧ - ١١١٠ هـ) ١٥٠

- ١٥٠ ٩. السيد نعمة الله بن عبد الله الموسوي الجزائري (المتوفى ١١١٣ هـ) -
- ١٥١ ١٠. سليمان بن عبد الله البحراني (١٠٧٥ - ١١٢١ هـ) -
- ١٥١ ١١. عبد الله بن صالح البحراني السماهيجي (١٠٨٦ - ١١٣٠ هـ) -
- ١٥٢ ١٢. الشيخ يوسف البحراني (١١٠٧ - ١١٨٦ هـ) -
- ١٥٢ ١٣. محمد بن عبد النبي بن عبد الصانع النيسابوري (١١٧٨ - ١٢٣٥ هـ) -
- ١٥٣ رواد الاجتهاد في العصر الأخباري -
- ١٥٣ اشارة -
- ١٥٣ ١. سلطان العلماء (المتوفى ١٠٦٤ هـ) -
- ١٥٤ ٢. الفاضل التوني (المتوفى ١٠٧١ هـ) -
- ١٥٤ ٣. حسام الدين محمد صالح المازندراني (المتوفى ١٠٨٠ هـ) -
- ١٥٤ ٤. فخر الدين الطريحي (المتوفى ١٠٨٥ هـ) -
- ١٥٥ ٥. أبو القاسم الجرفادقاني (المتوفى حدود ١٠٩٢ هـ) -
- ١٥٥ ٦. محمد باقر السبزواري و قد مرّت ترجمته في ص ٢٤٠ -
- ١٥٥ ٧. حسين الخوانساري (١٠١٦ - ١٠٩٨ هـ) -
- ١٥٥ ٨. جمال الدين الخوانساري (المتوفى ١١٢٥ هـ) -
- ١٥٦ ٩. محمد بن الحسن الشيرواني (المتوفى ١٠٩٩ هـ) -
- ١٥٦ ١٠. بهاء الدين محمد بن الحسن المعروف بالفاضل الهندي (١٠٦٢ - ١١٣٧ هـ) -
- ١٥٦ مميزات الدور الخامس -
- ١٥٦ اشارة -
- ١٥٦ ١. تشتت الصف الفقهي -
- ١٥٧ ٢. كثرة المناظرات الفقهية -
- ١٥٧ ٣. تأليف جوامع حديثية -
- ١٥٨ ٤. إعادة التفسير الروائي -
- ١٥٨ ٥. قلة الاهتمام بعلم الأصول -

- ١٥٨ ٦. تطوير الفقه في المرحلة اللاحقة
- ١٥٨ المراكز العلمية التي نشطت في الدور الخامس
- ١٥٩ الدور السادس عصر تصعيد الاجتهاد و النشاط الفقهي (١١٨٠ - ١٢٦٠ هـ)
- ١٥٩ اشارة
- ١٥٩ حياة المحقق البهبهاني و سيرته
- ١٦١ ابتكاراته الأصولية
- ١٦٢ تلاميذه
- ١٦٤ ميزات الدور السادس
- ١٦٥ المراكز العلمية في الدور السادس
- ١٦٥ الدور السابع عصر الإبداع و التطور الفقهي (١٢٦٠ - ١٤١٤ هـ)
- ١٦٥ مرتضى الأنصاري رائد الحركة الفكرية
- ١٦٦ اشارة
- ١٦٧ إبداعاته العلمية
- ١٦٨ تلاميذه
- ١٦٨ اشارة
- ١٦٨ ١. السيد حسين الكوهكمري (المتوفى ١٢٩٩ هـ)
- ١٦٩ ٢. السيد المجدد الشيرازي (١٢٣٠ - ١٣١٢ هـ)
- ١٦٩ ٣. ميرزا أبو القاسم النوري الطهراني (١٢٣٦ - ١٢٩٢ هـ)
- ١٦٩ ٤. ميرزا حبيب الله الرشتي (١٢٣٤ - ١٣١٢ هـ)
- ١٧٠ ٥. الشيخ محمد حسن الآشتياني (١٢٤٨ - ١٣٢٠ هـ)
- ١٧٠ ٦. الشيخ محمد رضا الهمداني (١٢٥٠ - ١٣٢٢ هـ)
- ١٧١ ٧. السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي («٢») (١٢٤٧ - ١٣٣٧ هـ)
- ١٧١ ٨. المحقق الخراساني (١٢٥٥ - ١٣٢٩ هـ)
- ١٧٢ ٩. ميرزا محمد حسين النائيني (١٢٧٤ - ١٣٥٥ هـ)

١٠. ضياء الدين العراقي (١٢٧٨ - ١٣٦١ هـ) ١٧٣
١١. الشيخ محمد حسين الأصفهاني (١٢٩٦ - ١٣٦١ هـ) ١٧٣
١٢. السيد أبو الحسن الأصفهاني (١٢٨٤ - ١٣٦٥ هـ) ١٧٤
١٣. الشيخ عبد الكريم الحائري (١٢٧٤ - ١٣٥٥ هـ) ١٧٤
- ١٧٤ اشارة
- ١٧٤ جامعة قم و عطاؤها
١٤. السيد حسين البروجردى (١٢٩٢ - ١٣٨٠ هـ) ١٧٦
١٥. السيد الإمام روح الله الموسوى الخمينى (رحمه الله) (١٣٢٠ - ١٤٠٩ هـ) ١٧٦
١٦. السيد أبو القاسم الخوئى (١٣١٧ - ١٤١٣ هـ) ١٧٨
١٧. السيد محمد رضا الكلبايكانى (١٣١٦ - ١٤١٤ هـ) ١٧٩
- ١٧٩ ميزات الدور السابع
- ١٨٠ المراكز العلمية فى هذا الدور
- ١٨١ تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)

إشارة

نام كتاب: أدوار الفقه الإمامي
 موضوع: تاريخ فقه و تحولات آن
 نویسنده: تبریزی، جعفر سبحانی
 تاریخ وفات مؤلف: ه ق
 زبان: عربی
 قطع: وزیری
 تعداد جلد: ١
 ناشر: مؤسسه امام صادق علیه السلام
 تاریخ نشر: ١٤٢٤ ه ق
 نوبت چاپ: اول
 مکان چاپ: قم - ایران
 شابک: - ٠٧٢ - ٣٥٧ - ٩٦٤

[مقدمات التحقيق]

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ*
 الحمد لله الذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، و الصلاة و السلام على نبيه الخاتم و على الأئمة الهداة قادة الأمم.
 انّ الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع، خالدة إلى يوم القيامة و رسولها خاتم الرسل، و كتابه خاتم الكتب و قد أخذت الشريعة الإنسان محوراً للتشريع مجرداً عن النزعات القومية و الطائفية و اللونية و اللسانية، و أمرت مبلغها أن يقول: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً).
 و شريعة كهذه يجب أن تكون منطوية على مادة حيوية قادرة على تلبية حاجات الأمة إلى يوم القيامة و من المعلوم انّ المادة الحيوية تحتاج إلى من يرعاها و يستثمرها وفقاً للمصالح و المستجدات.
 ثمّ إنّ هؤلاء الذين قاموا باستنطاق الشريعة هم الفقهاء الواعون الذين كرسوا أعمارهم في إرساء قواعد الفقه على مرّ العصور، و قد مرّ على الفقه الإسلامي أدوار مختلفة لكلّ ميزته الخاصة، فالوقوف على ميزان تلك الأدوار يعدّ تعريفاً للشريعة بنحو خاص، فإنّ تاريخ العلم لا ينفك عن العلم نفسه.

قد ألّفت في سالف الزمان كتاباً في أدوار الفقه الإسلامي عند كلا

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٦

الفريقين، و فصلنا الكلام في الأدوار التي مرّ بها الفقه الإسلامي، و قد بذلنا الوسع في تبين المحطات المهمة فيه. كما استعرضنا سير و تراجم فطاحل العلماء الذين تركوا بصمات واضحة على مسيرة الفقه التاريخي و ساهموا مساهمة فعالة في دفع عجلة الفقه نحو الإمام.

وقد طلب منّي غير واحد من رواد العلم أن أفرد كتاباً يتناول خصوص تاريخ الفقه الشيعي الإمامي و أدواره، فنزلت عند رغبتهم، و أفرزت المباحث المتعلقة بالفقه الشيعي عن غيرها و دونتها في هذا الكتاب بتلخيص و إيجاز. و هذا هو الذي تقدمه إلى القراء الكرام عسى أن يقع موقع القبول.

المؤلف

٢١ صفر المظفر من شهر عام ١٤٢٣ هـ -

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٧

تمهيد

أدوار الفقه الإسلامي

إنّ لكلّ علم هيكلًا عامًا له تعريفه و موضوعه و مسأله و غايته، و هذا ما يتطرّق إليه في نفس العلم، و هناك جانب آخر يُدعى بتاريخ العلم، و يُهدف من وراء دراسته بيان مرحلة نشوئه و نضوجه و تكامله و ما أُصيب به من نكسات على طول تاريخه. و قد قام الباحثون ذوو الاختصاص بدراسة تاريخ أكثر العلوم، حتى تكامل و أصبح تاريخ كلّ علم موضوعاً مستقلاً وراء ذلك العلم، فهناك من يبحث في علم الطب مثلاً من منظار داخلي، و تثمر جهوده في نفس ذلك العلم، و لا- تتجاوز عن حدوده، و هناك من يبحث فيه من منظار خارجي، و تنصبّ جهوده في تاريخه، و المراحل التي مرّ بها و ما أعقبه من نضوج و تكامل، و هذا ما يسمّى بتاريخ العلم.

إنّ التتبع في تاريخ العلوم يثبت أنّ كلّ علم يوم نشوئه لم يكن سوى مسائل معدودة، لا تتجاوز عدد الأصابع، ثمّ كثرت و تشعبت عبر الزمان تحت ظل عوامل كثيرة ساهمت في ازدهاره.

و قد انصبّ الاهتمام في العصور الأخيرة على تاريخ العلوم، و استعراض سيرها التكاملي، فأصبح لكلّ علم بل لكل مسألة تاريخ خاص بها.

و الباحث السابر في تاريخ العلوم حينما يواكب مراحلها التكامليّة يقف على

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٨

حقيقته و هي أنّ البحث في العلوم و الفهم العميق لها أمر لا ينفك عن دراسة تاريخها، إذ بها يقف على كافة أسرارها و خفاياها.

و التشريع الإسلامي و الفقه كغيره من العلوم لا يشدّ عن هذه القاعدة، فدراسة التشريع و الفقه الإسلامي غير دراسة تاريخهما.

نعم ثمة فرق بين التشريع و الفقه، و إن غفل عنه معظم من كتب في تاريخهما.

أمّا الأول، فيختص بما شرّع في العهد النبوي من الأحكام طيلة ٢٣ سنه، عن طريق الكتاب و السنّه في مجالى الأحكام و الأخلاق ممّا يحتاج إليه الفرد المسلم، و الأسرة المسلمة، و المجتمع المسلم في إطار العمل.

و أمّا الثاني، فهو حصيلة الجهود المضنية التي بذلها الفقهاء بعد رحيل النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فيما له صلة بالتشريع، فخلّفوا وراءهم ثروة علمية فكرية تمثلت في فتاواهم و آرائهم.

و بما أنّ التشريع الإسلامي كان منحصرًا بفترة خاصّة، فلا غرو أن يقتصر تاريخ التشريع على تلك الفترة القصيرة، ما بين بعثه النبي

(صلى الله عليه و آله و سلم) إلى رحيله التي لا تتجاوز عن ٢٣ عامًا، و التي أعقبها غلق باب الوحي و التشريع.

فعلى الباحث في تاريخ التشريع الإسلامي أن يفصل بين تاريخ التشريع و تاريخ الفقه، و يُعطي لكلّ حقّه، ففي تاريخ التشريع يستعرض الآيات و الأحاديث الكفيلة ببيان الأحكام و أسباب النزول، و ما يرجع إليهما من مختلف الجوانب.

و أما تاريخ الفقه، فقد بدأ في الفترة التي أعقبت وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، و مرّ بأدوار مختلفة منذ عصر الصحابة و التابعين إلى عصر الفقهاء، و امتد إلى يومنا هذا.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٩

الحاجة إلى تاريخ الفقه

قد ذكرت لدراسة تاريخ الفقه فوائد علمية جمّة، منها:

أ. الاطلاع على الأساليب الفقهية التي سار على ضوئها الفقهاء، و تنوعت بها مناهجهم و مسالكهم، فلا شك أنّ الفقه بمختلف أساليبه يهدف إلى أمر واحد، و إنّما الاختلاف في المناهج المتخذة في الاستنباط و الاجتهاد للوصول إليه.

ب. معرفة العوامل التي ساهمت في تقدّم العلم و تطوّره.

ج. الوقوف على الأسباب المعيقة لتطوّر الركب الفقهي، كظهور الأخبارية في القرن الحادي عشر و الثاني عشر عند الشيعة، و كإقفال باب الاجتهاد في أواسط القرن السابع عند السنة، بيد أنّ العوامل المعيقة عند الطائفة الأولى لم تدم طويلاً، بل زالت بجهد جهابذة فقهاءهم، و لكن ما زالت الآثار السلبية للعامل الثاني باقية بين أهل السنة إلى يومنا هذا.

و ثمة ميزة خاصة لتاريخ الفقه، و هو أنّ تاريخه غير منفصل عن تاريخ التفسير و الحديث، فإنّ الفقه الإسلامي يستمد مادته من المصدرين الأساسيين: الكتاب و السنة، فعلى من يدوّن تاريخ الفقه الإسلامي، الإلمام بتاريخ نزول القرآن الكريم و أسبابه، و تصنيفه إلى آيات تهدف إلى بيان المعارف العقلية، إلى أخرى تستعرض قصص الأنبياء و سيرتهم و جهادهم ضدّ المشركين، إلى ثلاثة تبيّن الأحكام الشرعية التي تدور عليها رحي الفقه.

ثمّ إنّ مصادر التشريع و المنابع التي يستنبط منها الفقه ليست أمراً متفقاً عليه بين كلا الفريقين، فهناك مناب و مصادر اتفقت عليها الكلمة، و هناك مناب تعد مصدراً عند طائفة دون أخرى، فالسنة تعتمد على القياس و الاستحسان و غيرهما، مع أنّ الشيعة تُنكرها، فصار هذا باعثاً للباحثين في تاريخ التشريع

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٠

الإسلامي إلى تخصيص فصول بغية بيان مصادر التشريع الأصلية و التبعية. و قد أفردنا لها تأليفاً مفرداً.

المناهج المتبّعة في تاريخ الفقه

و هناك منهجان متبعان في تاريخ الفقه:

المنهج الأوّل: و هو النظر إلى الفقه بما أنّه كائن حي يمرّ بأطوار مختلفة:

و هي: ١. طور الطفولية، ٢. طور الشباب، ٣. طور الكهولة، ٤. طور الشيخوخة و الهرم.

و هذه النظرة إلى الفقه تتناسب مع الفقه السني الذي أوّسده باب الاجتهاد منذ أواسط القرن السابع فأخذ الفقه يمرّ بطور الشيخوخة و الهرم و استنزاف قواه.

المنهج الثاني: تصنيف أطوار الفقه طبقاً للأسباب و الاحداث التي رافقت تكامله و ارتقاءه و التي اقترنت بأسماء جهابذة من الفقهاء الذين لعبوا دوراً هاماً في اغناء التراث الفقهي، و هذا النوع من التدوين الفقهي يتناسب مع الفقه الشيعي الذي لم يوصد باب الاجتهاد منذ ظهوره إلى يومنا هذا.

الفقه الإمامي الاثنا عشري

الفقه الإمامي تراث فكري فقهي تمتد جذوره إلى عصر الرسالة، و هو حصيلة جهود أمة كبيرة من شيعة آل البيت، الذين لم يألوا جهداً في استنباط الأحكام من الكتاب و السنّة، و من أهم ما يمتاز به هو سعة منابعه الحديثية بفضل العطاء الوافر للعترة الطاهرة و الذي استمر من عصر الرسول إلى عام ٢٦٠ هـ، فيما يفقد الفقه السني هذا المنبع الواسع الزاخر المستمر.

كما أن من أهم ميزاته هو صدور عن لسان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١١

هم عيبة علم الرسول. و من هذه الشجرة الطيبة، الراسخة الجذور، أثمر الفقه الإمامي، و امتاز عن غيره بأمرين:

أ. السعة و الشمول من جهة المنبع.

ب. النقاوة و صفاء المصدر.

فقد صنّف فقهاؤهم طيلة ١٤ قرناً موسوعات و كتباً و رسائل فقهية لا يحصيها إلا الله سبحانه، فكان على كُتاب تاريخ الفقه الإسلامي أن ينظروا إلى الفقه من منظار واسع حتى يقفوا على الفقه الشيعي و ميزاته و تاريخه و تطوره و أدواره.

و قد مرّ الفقه الإمامي بأدوار سبعة لكل ميزته الخاصة به و إليك الإشارة إلى عناوينها:

الدور الأول: عصر النشاط الحديثي و الاجتهادي (١١- ٢٦٠ هـ).

الدور الثاني: عصر تبويب الحديث و منهجة الاجتهاد (٢٦٠- ٤٦٠ هـ).

الدور الثالث: عصر الركود (٤٦٠- نحو ٦٠٠ هـ).

الدور الرابع: تجديد الحياة الفقهية (٦٠٠- ١٠٣٠ هـ).

الدور الخامس: ظهور الحركة الأخبارية (١٠٣٠- ١١٨٠ هـ).

الدور السادس: تصعيد النشاط الفقهي (١١٨٠- ١٢٦٠ هـ).

الدور السابع: عصر الإبداع الفقهي (١٢٦٠- إلى وقتنا الحاضر).

و قبل الخوض في بيان أدوار الفقه الإمامي نذكر العهد التأسيسي للفقه و نفرزه عن سائر الأدوار.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٢

العهد التأسيسي للفقه

بُعث النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) وسط مجتمع أمي، و الأمي من لا يُحسن القراءة و الكتابة، منسوباً إلى الأم باقياً على الحالة منذ يوم ولدته أمّه، و كان عدد من يجيد القراءة و الكتابة من قريش عند ظهور الإسلام لا يتجاوز سبعة عشر شخصاً، كما لا يتجاوز أحد عشر شخصاً بين الأوس و الخزرج في المدينة. (١)

و هذا هو الإمام علي (عليه السلام) يصف التخلف الثقافي الذي فشا في تلك البيئته، بقوله: «إنّ الله بعث محمداً (صلى الله عليه و آله و سلم) و ليس أحد من العرب يقرأ كتاباً و لا يدعى نبوة، فساق الناس حتى يؤأهم محلّتهم، و بلغهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم، و اطمأنت صفاتهم». (٢)

و لم يقتصر التخلف على الصعيد الثقافي، بل شملت كافة الأصعدة الأخلاقية و الاجتماعية، و كانت حياتهم حياة قبليّة لا يحكمهم القانون، و لا يسود بينهم العدل، فهذا هو التاريخ يحكي لنا أنّ رجلاً من زبيد دخل مكة المكرمة في شهر ذي القعدة، و عرض بضاعة له للبيع، فاشتراها منه العاص بن وائل، و حبس عنه حقّه، فاستعدى عليه الزبيدي قريشاً، فطلب منهم أن ينصروه على العاص، و قريش آنذاك في أندية حول الكعبة، فنادى المشتكى بأعلى صوته و قال:

(١) البلاذري: فتوح البلدان: ٤٥٧.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٣٣.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٣

يا آل فھر لمظلوم بضاعته*** بطن مكة نائي الدار و النفر

و محرم أشعث لم يقض عمرته*** يا للرجال و بين الحجر و الحجر

ان الحرام لمن تمّت كرامته*** و لا حرام لثوب الفاجر القدر («١»)

و تكمن عظمة النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) في أنه صيغ من هذه الأمة المتخلفة، أمة متحصّرة سائرة في ركاب الحضارة، و أوجد مدينة فاضلة قلما يشهد التاريخ لها من نظير.

كانت الجزيرة العربية غاصّة بالفساد من كافة الجوانب، فكان يسودهم الشرك و عبادة الأوثان، و وأد البنات، و قتل الأولاد، و الإغارة، و قتل النفس، و البخس في الميزان، إلى غير ذلك من مساوى الأخلاق و رذائلها.

و إصلاح أمة كهذه، رهن أمرين:

الأول: التشريع الكامل.

الثاني: المنفّذ الحاذق الذى يكون فى مستوى ذلك التشريع الكامل.

و ما هذا الانقلاب الحضارى الذى طرأ عليهم إلّا بفضل هذين الأمرين.

و من وقف على آيات الأحكام فى القرآن يجد فيها غزارة المادة، و روعة التشريع، و شمولها للعبادات و المعاملات و الإيقاعات و السياسات، فنستعرض الموضوعات التى تبنّاها القرآن بالتشريع.

فمن العبادات: الصلاة، و الصوم، و الحج، و العمرة.

و من المعاملات: البيع، و الربا، و العقود كلّها.

و من الإيقاعات: الطلاق، و الإيلاء، و الظهار، و الوصية.

و من السياسات: القصاص، و الحدود، كحد الزانى و القاذف و السارق و قطاع

(١) البداية و النهاية: ١ / ٢٩٠؛ السيرة الحلبية: ١ / ١٣٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٤

الطرق، و يلحق بها الجهاد بشتى أقسامه، و العهود، و المواثيق المنعقدة بين الحاكم الإسلامى و خصومه، و أسرى الحرب، و غنائمها. هذه نماذج من نظام التشريع القرآنى الذى عدّ رصيذاً فى بناء الحضارة الإسلامية و إعادة الإنسان إلى الحياة الحرّة الكريمة، و قد اعترف أعداء الإسلام بهذه الحقيقة، قال الدوزى: «و بعد ظهور الذى جمع قبائل العرب أمة واحدة، تقصد مقصداً واحداً، ظهرت للعيان أمة كبيرة، مدّت جناح ملكها من نهر تاج إسبانيا إلى نهر الجانج فى الهند، و رفعت على منار الإشادة أعلام التمدن فى أقطار الأرض، أيام كانت أوروبا مظلمة بجهالات أهلها فى القرون المتوسطة، ثمّ قال: إنهم كانوا فى القرون المتوسطة مختصين بالعلوم من بين سائر الأمم، و انقشعت بسببهم سحائب البربرية التى امتدت إلى أوروبا حين اختل نظامها بفتوحات المتوحشين».

هذه هى لمحّة خاطفة للعهد التأسيسى و تعقبه الأدوار الفقهية واحداً تلو الآخر.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٧

أدوار الفقه الإمامي

الدور الأول: عصر النشاط الحديث والاجتهادى (١١- ٢٦٠هـ)

إشارة

النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المرجع فى الأحكام

النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المرجع الأول فى الأحكام الشرعية، لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) يفتى عن الله بوجه المبين، فكلامه هو فصل الخطاب، و الخطاب الفاصل، يجب اتباعه، والأخذ بأوامره ونواهيه، سواء كان ذلك فى مجال التشريع و بيان الأحكام، أو فى مجال القضاء و فصل الخصومات، قال سبحانه: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١).
و قال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٢).

فالآية الأولى تشير إلى ضرورة اتباعه فى الأحكام بما لها من أوامر ونواهي، والآية الثانية تشير إلى ضرورة التسليم لما قضى به فى المخاصمات و المشاجرات و النزاعات.

و بكلمة جامعة لا يجوز التقدّم على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) مطلقاً و الذى يشمل التقدّم فى الرأى أيضاً، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

(١) الحشر: ٧.

(٢) النساء: ٦٥.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٨

وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

إِنَّ قَوْلَهُ سبحانه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، (٢) دلّ على أنّ الحكم يُصنّف إلى صنفين: حكم جاهلى، و حكم إلهى. فما لم يكن بإذن من الله سبحانه، فهو جاهلى، و لا يعلم ذلك الإذن إلا عن طريق النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) الذى يتولّى الوحي مهمة إيصاله إليه من ربه، و جاء فى موارد ثلاثة لزوم الحكم بما أنزل الله دون غيره، و أنّ من لم يمتثل ذلك فهو كافر و ظالم و فاسق، كما يقول سبحانه: ﴿وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٣) و فى مكان آخر: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٤) و فى موضع ثالث: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. (٥)

و هذا ممّا لا خلاف فيه بين المسلمين، و الآيات الواردة فى هذا الهدف كثيرة، نكتفى بهذا المقدار منها.

العترة هم المرجع فى الأحكام بعد رحيله (صلى الله عليه وآله وسلم)

إذا كان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) هو المرجع العلمى للمسلمين فى المعارف و الأحكام، فطبيعة الحال تقتضى أن يكون هناك من يملأ هذا الفراغ بعد رحيله (صلى الله عليه وآله وسلم)، و لا يصحّ فى منطق العقل ترك الأمة سدى، لئلا يأخذوا بحكم الجاهلية مكان الحكم الإلهى.

و هذا المرجع هو العترة الطاهرة، قرناء القرآن بتنصيب من النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كما فى حديثه (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ، وَ عِترتى ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا».

و حديث الثقلين، حديث متواتر، رواه الفريقان فى كتبهم، و ألف غير واحد

(١) الحجرات: ١.

(٢) المائة: الآيات: ٤٥، ٤٤، ٤٧.

(٣) المائة: الآيات: ٤٥، ٤٤، ٤٧.

(٤) المائة: الآيات: ٤٥، ٤٤، ٤٧.

(٥) المائة: الآيات: ٤٥، ٤٤، ٤٧.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٩

رسائل و كتباً مستقلة في طرقه و اسناده و مفاده. («١»)

و الجدير بالمسلمين التركيز على مسألة تعيين المرجع العلمي بعد رحيل النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، إذ لا يسوغ في منطق العقل أن يترك صاحب الرسالة، الأمة المرحومة بلا راع، و هو يعلم أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) برحيله سوف يواجه المسلمون حوادث مستجدة و وقائع جديدة تتطلب أحكاماً غير مبيّنة في الكتاب و السنة، فلا محيص عن وجود مرجع علمي يحلّ مشاكلها و يذلل أمامها الصعاب، و قد قام (صلى الله عليه و آله و سلم) ببيان من يتصدى لهذا المنصب بحديث الثقلين الذي ألقاه في غير موقف من المواقف.

و من العجب ان كثيراً من المسلمين يطرقون كل باب إلا باب أئمة أهل البيت (عليهم السلام) مع أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يذكر شيئاً مما يرجع إلى غير هؤلاء، فلا أدري ما هو وجه الإقبال على غيرهم و الإعراض عنهم؟!

أولو الأمر

أمر سبحانه بإطاعة الرسول و أولي الأمر، بأمر واحد، قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾. («٢»)

تأمر الآية بإطاعة الله كما تأمر بإطاعة الرسول، و أولي الأمر، لكن بتكرار الفعل، أعني: (وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ) و ما هذا إلا لأن سنخ الإطاعتين مختلف،

(١) لاحظ صحيح مسلم: ١٢٢ / ٧ و ١٢٣، باب فضائل علي، طبعة محمد علي صبيح، مصر؛ سنن الترمذي: ٣٠٨ / ٢؛ مستدرک الصحيحين: ١٠٩ / ٣ و ١٤٨؛ مسند أحمد: ١٧ / ٣ و ٢٦ و ج ٣٧١ / ٤ و ج ١٨١ / ٥؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢ / ٢، القسم ٢؛ حلية الأولياء لأبي نعيم: ٣٥٥ / ١ و ج ٦٤ / ٩؛ كنز العمال: ١ / ٤٧ و ٩٦، و غيرها.

(٢) النساء: ٥٩.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٠

فإطاعته سبحانه واجبة بالذات، و إطاعة النبي و أولي الأمر واجبة بإيجابه سبحانه.

و المهم في الآية هو التعرّف على المراد من أولي الأمر، فقد اختلف فيه المفسرون على أقوال ثلاثة:

أ. الأمراء.

ب. العلماء.

ج. صنف خاص من الأمة، و هم أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

و بما أنه سبحانه أمر بإطاعة أولي الأمر مطلقاً غير مقيدة بما إذا لم يأمر بالمعصية، فيمكن استظهار أن أولي الأمر - المشار إليهم في الآية و الذين وجبت طاعتهم على الإطلاق - معصومون من المعصية و الزلل كالنبي (صلى الله عليه و آله و سلم) حتى صاروا

مقترنين بالطاعة في الآية.

و بعبارة أخرى: إنَّه سبحانه أوجب طاعتهم على الإطلاق، كما أوجب طاعة نفسه، و طاعة رسوله، و لا يجوز أن تُوجَّب طاعة أحد على الإطلاق إلَّا من ثبتت عصمته، و علم أن باطنه كظاهره، و أمن منه الغلط و الأمر بالقيح، و ليس ذلك بحاصل في الأمراء، و لا العلماء سواهم. جلَّ سبحانه عن أن يأمر بطاعة من يعصيه، أو بالانقياد للمختلفين في القول و الفعل، لأنَّه محال أن يُطاع المختلفون، كما أنَّه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه. (١١)

و قد أوضحه الرازي في تفسيره، و ذهب إلى أن المقصود من أولى الأمر، هم المعصومون من الأئمة و إن لم يخض في التفاصيل، و لم يستعرض مصاديقهم، لكنَّه

(١) مجمع البيان: ٦٤/٣، ط صيدا.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢١

بينه بصورة واضحة، و قال:

و الدليل على ذلك، أن الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، و من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم و القطع لا بدّ و أن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير اقدمه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، و الخطأ لكونه خطأً منهى عنه، فهذا يفرض إلى اجتماع الأمر و النهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، و أنَّه محال.

فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم، و ثبت أن كلَّ من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم و جب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أن أولى الأمر المذكور في هذه الآية، لا بدّ و أن يكون معصوماً. (١١)

روى ابن شهر آشوب عن تفسير مجاهد، أن هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين حين خلفه رسول الله في المدينة، فقال: «يا رسول الله، تخلفني على النساء و الصبيان؟» فقال: «يا عليّ، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلَّا أنه لا نبي بعدي، حين قال: اخلفني في قومي و أصلح، فقال الله: (وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ)».

و قد أخذت الأئمة عن أهل البيت (عليهم السلام) خصوصاً الصادق و الباقر (عليهما السلام) في مجال المعارف و الأحكام ما ملأ كتب الفريقين، أمَّا الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) فحدّث عنه و لا حرج، و أمَّا الحسنان فقد قسا عليهما الزمان، و حالت الحكومة الأموية بينهما و بين الأئمة، و بالتالي فقد قلَّت الرواية عنهما، و عن علي بن الحسين (عليهم السلام) أيضاً.

(١) الفخر الرازي: التفسير الكبير: ١/١٤٤.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٢

العترة عيبة علم الكتاب و السنّة

إشارة

ترك النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) الكتاب العزيز، و قد رسمت فيه الخطوط العريضة للأحكام التي كانت بحاجة إلى تبيين و تفسير إذ فيها المجمل و المطلق و العام، و لا يُطَّلَع على حقيقتها إلَّا ببيان شارح، كما أنَّه ترك السنّة و هي في صدور الحفاظ الذين تفرّقوا في البلاد، و قد أكلت حروب الردة جماعة منهم. أضف إلى ذلك أن قسماً من السنّة وضعت المبادئ العامة دون تفسيرها و

بيانها.

كان الوضع على هذا المنوال حتى مُنعت كتابة الحديث و تدوينه و التحدّث به، و لا شك أنّ المنع لم يكن لدوافع شرعية، بل كان لدوافع سياسية، و قد مُنى من جرّاء ذلك، جمهور المسلمين بخسارة جسيمة، إلّا أنّ الشيعة لم يعيروا أهمية لهذا الحظر، بل دأبوا على كتابة السنّة و تدوينها و نشرها بين أبنائهم، علماً منهم بأنّ السنّة وحي كالقرآن الكريم لا يمكن التساهل فيها دون نشرها و إلّا تذهب أدراج الرياح، و المسلمون خلال الأعصار المتعاقبة لمسوا الحاجة إلى تدوين السنّة و الاطلاع عليها، لأنّ ما في الصدور يذهب بذهاب أصحابها.

قامت أئمة الشيعة و أتباعهم بوجه منع كتابة السنّة، و دوّنوا الحديث من غير اكتراث بحظر المنع، منهم:

١. الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)

قال النجاشي في ترجمة محمد بن عذافر الصيرفي، عن أبيه، قال: كنت مع الحكم بن عتيبة، عند أبي جعفر، فجعل يسأله، و كان أبو جعفر (عليه السلام) له مُكرماً، فاختلفا في شيء، فقال أبو جعفر (عليه السلام): «يا بُنَيَّ قم فأخرج كتاب علي (عليه السلام)» أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٣

فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً، ففتحه و جعل ينظر حتى أخرج المسألة، فقال أبو جعفر (عليه السلام): «هذا خط علي (عليه السلام) و إملاء رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)» و أقبل على الحكم و قال: «يا أبا محمد اذهب أنت و سلمة (بن كهيل) و «أبو المقدم» حيث شتتم يميناً و شمالاً، فو الله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل (عليه السلام)». و «١») قد أخرج العلامة الشيخ علي الأحمدي في موسوعته قسماً من الروايات المنتهية إلى كتاب علي (عليه السلام) الموثوقة في الكتب الحديثية لا سيما كتاب الوسائل. «٢»

و كان للإمام كتاب آخر يدعى «الصحيفة» جمع فيه ما يرجع إلى الديات، و قد قام أيضاً الشيخ الأحمدي بجمع ما روى عن تلك الصحيفة في غير واحد من الصحاح و المسانيد.

و بذلك يظهر «٣») أنّ ما رواه البخاري في باب كتابة العلم، - عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلّا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة» قال: قلت: و ما في هذه الصحيفة؟ قال: «العقل، و فكاك الأسير، و لا يقتل مسلم بكافر» «٤») - ليس علي صواب لوجهين:

أولاً: فقد كان للإمام كتاب وراء الصحيفة جاءت ميزاته و خصوصياته في رواية أئمة أهل البيت و كان طوله ٧٠ ذراعاً و ضخامته كفضد الإبل و كان الكتاب مدروجاً.

ثانياً: أنّ الصحيفة اشتملت على أحكام كثيرة في باب القصص و الديات،

(١) النجاشي: الرجال: الترجمة ٩٦٧.

(٢) لاحظ مكاتيب الرسول: ١/ ٧٢ - ٨٩.

(٣) لاحظ مكاتيب الرسول: ١/ ٦٦ - ٧١.

(٤) البخاري: الصحيح: ١/ ٣٨، باب كتابة العلم، الحديث الأول.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٤

و لم تكن مقتصرة على هذه الجمل الثلاث.

وقد تبعت الشيعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في تدوين السنة ولم يعيروا للمنع وزناً، وهذا أبو رافع الصحابي الجليل من شيعة علي بن أبي طالب، الذي أعتقه رسول الله عند ما بشر بإسلام العباس، يقول النجاشي:
ولأبي رافع كتاب السنن والأحكام والقضايا. (١)

ويظهر من النجاشي أن الكتاب كان مشتملاً على أبواب الصلاة والصيام والحج والزكاة والقضايا.

٣. علي بن أبي رافع التابعي

وقد اقتفى أثر أبيه في تدوين السنة، ابنه علي بن أبي رافع ذلك التابعي الذي كان من خيار الشيعة، وكان له صحبة مع أمير المؤمنين، وكان كاتباً له، وحفظ كثيراً، وجمع كتاباً في فنون من الفقه، الوضوء والصلاة وسائر الأبواب. (٢)

٤. عبيد الله بن أبي رافع التابعي

فقد ألف عبيد الله بن أبي رافع كتاباً في أقضية أمير المؤمنين، ذكره الشيخ في «الفهرست» وذكر سنده إليه. (٣) فإذن أبو رافع وولده: علي وعبيد الله حفظوا السنة النبوية التي ورثوها عن الإمام أمير المؤمنين والصحابة والتابعين.

(١) النجاشي: الرجال: ١/ ٦٥، الترجمة ١.

(٢) النجاشي: الرجال: ١/ ٦٥، الترجمة ١.

(٣) الطوسي: الفهرست: برقم ٤٤١.

أدوار الفقه الإمامي (للسبعماني)، ص: ٢٥

نعم زعم شيخنا التستري أن هناك كتاباً واحداً نسبته النجاشي إلى علي بن أبي رافع، والشيخ إلى عبيد الله بن أبي رافع والله العالم.
(١)

ولم يعلم مدركه لهذا الادعاء إذ لا مانع من وجود كتابين، أحدهما يرجع إلى أبواب الفقه كما هو صريح النجاشي، والآخر يرجع إلى باب أقضية الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام).

٥. ربيعة بن سميع التابعي

قال النجاشي عند ذكر الطبقة الأولى من مؤلفي الحديث: ربيعة بن سميع عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، له كتاب في زكوات النعم.
(٢)

ثم ذكر سنده إلى الكتاب ناقلاً عن ربيعة بن سميع، عن أمير المؤمنين أنه كتب له في صدقات النعم وما يؤخذ من ذلك، وهذا صريح في أن الإمام أملاه وكتبه ربيعة، أو كتبه نفس الإمام ودفعه إليه.

٦. عبيد الله بن الحر الجعفي، الفارس الفاتك، الشاعر التابعي

قال النجاشي: له نسخة يرويها عن أمير المؤمنين (عليه السلام).

وروى النجاشي أيضاً بسنده عنه أنه سئل الحسين بن علي عن خضابه، فقال (عليه السلام): «أما إنه ليس كما ترون إنما هو حناء وكنتم». (٣)

هذه هي الطبقة التي دونت السنة النبوية المأخوذة عن لسان أمير المؤمنين (عليه السلام) و سائر الصحابة و التابعين.

(١) التستري: قاموس الرجال: ٤٦، ترجمة علي بن أبي رافع.

(٢) النجاشي: الفهرست: برقم ٢.

(٣) النجاشي: ١ / ٧١ برقم ٥، و الكتم بالتحريك نبت يخلط بالحناء، و يختضب به الشعر، فيبقى لونه.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٦

بيد ان هذا الوضع لم يدم طويلاً، فقد كثرت الضغوط على الشيعة في عهد الأمويين خاصة في عهد معاوية و عبد الملك بن مروان و ابنائه، فقام الأئمة الثلاثة الذين أعقبوا الإمام أمير المؤمنين علياً (عليه السلام)، أعني: الحسن بن علي، و الحسين بن علي، و علي بن الحسين (عليهم السلام)، بأعباء الإمامة و إرشاد الأمة في أجواء مشحونة بالعداء و البغض لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، فلم تسنح الفرص للشيعة من أن ينهلوا من معين علوم الأئمة (عليهم السلام) إلماً قليلاً منهم، و سيوافيك أسماء من أخذ الفتيا عنهم في تلك الظروف العصيبة.

و مع هذا الضغط، فقد ذكر الشيخ الطوسي أصحاباً للإمام الحسن (عليه السلام) الذين صاحبه و رووا عنه، فبلغوا ٥٢ بين صحابي و تابعي ارتووا من معين علمه الفياض.

كما ذكر أصحاب الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) وفق الحروف الهجائية، فبلغوا ١٠٩ بين صحابي و تابعي، و قد رووا عنه في مختلف المجالات من العقائد و الفقه و التفسير.

و علي الرغم من أن الإمام السجاد كان محاطاً بالعيون و علي مرأى و مسمع من حكام بني أمية، لكنه ترك تراثاً علمياً في العقائد و الحقوق تتجسد في «الصحيفة السجادية» و رسالة «الحقوق».

أمّا الصحيفة، فهي في فصاحة ألفاظها، و بلاغة معانيها، و الأساليب العجيبة في طلب عفوه و كرمه سبحانه، فريدة في بابها ليس لها مثيل.

و أمّا الرسالة، فقد رواها الحسن بن شعبة في «تحف العقول» كما رواها الصدوق في «خصاله»، و هي من جلائل الرسائل في أنواع الحقوق، فيذكر الإمام فيها حقوق الله سبحانه على الإنسان، و حقوق نفسه عليه، و حقوق أعضائه من

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٧

اللسان و السمع و البصر و الرجلين و اليدين و البطن و الفرج، ثم يذكر حقوق الأفعال من الصلاة و الصوم و الحج و الصدقة و الهدى، ثم يذكر حقوق الأئمة، و الرعية و حقّ الرحم حتى بلغت ٥٠ حقاً آخرها حقّ الذمة. («١»)

و قد ذكر الطوسي في رجاله الرواة عنه (عليه السلام) و رتبها على حروف المعجم، فبلغ ١٧٥ شخصاً، و هم بين صحابي و تابعي. («٢»)

عصر الإمامين الباقر و الصادق (عليهما السلام)

إشارة

و لما ضعفت الدولة الأموية، و ازدادت الفلاقل و الفتن ضدها سنحت الفرصة للإمامين الباقر و الصادق (عليهما السلام)، لبثّ السنة النبوية، و تزويد الأمة بالعلوم الإلهية، فصارت الشيعة تتحمل عناء السفر و الحضور عند الأئمة بغية النهل من معين علومهم العذب، و ضبط كل ما سمعوه في كتبهم ما دامت الفرصة متاحة، فبثا من العلوم ما يشد إليه الركبان.

يقول البَحَّاثَةُ الكبير شيخنا الطهراني:

كانت الشيعة تتوصل بكلّ طريقة للتشرف بحضرتهم، وأخذ معالم دينهم عنهم، وتدوينها في كتبهم، و الفاحص في أحوال الرواة و أخبارهم يعرف مبلغ اهتمامهم في تلقى أنواع المعارف و العلوم من معانها في السر و العلانية حسب الاقتضاءات الزمّية، و يطّلع على مقدار رعايتهم للآداب في حالات حضور مجالس أئمتهم، و عرض المسائل عليهم و سماع الأجوبة عنهم، و إعدادهم ما يلزمهم لذلك من الأدوات بوضع الألواح من آبنوس و الاميال في أكمامهم، ثمّ

(١) انظر تحف العقول: ١٨٤-١٩٥؛ الخصال: ٥٦٤-٥٧٠، في أبواب الخمسين.

(٢) الطوسي: الرجال: ٨١-١٠٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٨

مبادرتهم إلى كتابة ما سمعوه عنهم بعينه صيانه من وقوع السهو، أو عروض نسيان، أو حصول تغيير في المعنى بتغيير اللفظ، ثمّ كفيته تحفظهم على كتبهم بعدم إخراجها إلى من لا يثقون به خوفاً من دسه شيئاً فيها، و عدم جعل سبيلها كسائر التركة، ثمّ يخرجونها عنهم في حياتهم إلى من يثقون بديانتهم و صلاحه و أهليته أو يوصون بها إليه، كلّ ذلك منهم طوعاً و انقياداً لطلبات مواليهم المعصومين (عليهم السلام). («١»)

قال ابن حجر في ترجمة الإمام الباقر (عليه السلام): سُمي بذلك لأنه من بقر الأرض، أي شقّها، و إثارة مخبئاتها و مكامنها، فكذلك هو أظهر من مخبئاتها كنوز المعارف و حقائق الأحكام، و الحكم و اللطائف ما لا يخفى إلّا على منظمس البصيرة أو فاسد الطوية و السريرة، و من ثمّ قيل فيه هو باقر العلم و جامعه و شاهر علمه و رافعه. («٢»)

و قال ابن كثير: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، و سمي بالباقر لبقرة العلوم، و استنباطه الحكم، كان ذاكرة خاشعاً صابراً، و كان من سلالة النبوة، رفيع النسب، عالي الحساب، و كان عارفاً بالخطرات، كثير البكاء و العبرات، معرضاً عن الجدل و الخصومات. («٣»)

و قال ابن خلكان: أبو جعفر محمد بن زين العابدين، الملقّب بالباقر، أحد الأئمة الاثني عشر في اعتقاد الإمامية، و هو والد جعفر الصادق. كان الباقر عالماً سيداً كبيراً، و إنّما قيل له الباقر لأنه تبقر في العلم أي توسّع، و فيه يقول الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التقى*** و خير من لبي على الأجل («٤»)

(١) الطهراني: الذريعة: ١/ ١٥-١٦، المقدمه.

(٢) الصواعق المحرقة: ٢٠١.

(٣) البداية و النهاية: ٩/ ٣٠٩.

(٤) وفيات الأعيان: ٤/ ١٧٤.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٩

و هذا هو محمد بن طلحة، يعرّف الإمام الصادق بقوله: هو من عظماء أهل البيت و ساداتهم ذو علوم جمّة، و عبادة موفورة، و زهادة بينة، و طراوة كثيرة، يتبع معاني القرآن الكريم، و يستخرج من جواهره، و يستنتج عجائبه، و يقسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليها نفسه، رؤيته تذكّر بالآخرة، و استماع كلامه يُزهد في الدنيا، و الاقتداء بهداه يورث الجنة، نور قسماته شاهد أنه من سلالة النبوة، و طهارة أفعاله تصدع أنه من ذرية الرسالة: نقل عنه الحديث و استفاد منه العلم جماعة من أعيان الأئمة و أعلامهم، مثل: يحيى بن سعيد الأنصاري، و ابن جريج، و مالك بن أنس، و الثوري، و ابن عيينة، و أبي حنيفة، و شعبة، و أبي أيوب السجستاني و

غيرهم، و عدّوا أخذهم عنه منقبة شرفوا بها و فضيلة اكتسبوها. («١»)

و لقد امتدّ عصر الإمام الصادق (عليه السلام) من نهاية خلافة عبد الملك بن مروان إلى منتصف خلافة المنصور الدوانيقي، أي من سنة ٨٣هـ - إلى سنة ١٤٨هـ. فقد أدرك فترة طويلة من العصر الأموي، و عاصر كثيراً من ملوكهم و شاهد من جورهم أعنف أشكاله، و قضى شطراً من حياته حتى الحادية عشرة مع جدّه زين العابدين، و حتى الثانية و الثلاثين مع أبيه الباقر، و نشأ في ظلّهما يتغذى من تعاليمهما حتى تكاملت تربيته الدينية، و تخرّج من تلك المدرسة الجامعة، فاختصّ بعد وفاة أبيه بالزعامة سنة ١١٤هـ، و اتسع نشاط مدرسته في المدينة و مكة و الكوفة و غيرها من الأمصار الإسلامية.

و قد اتّسم العصر المذكور الذي عاشه الإمام بظهور الحركات الفكرية، و وفود الآراء الاعتقادية الغريبة إلى المجتمع الإسلامي، لا سيما حركة الغلاة الهدامة، الذين تطلّعت رءوسهم في تلك العاصفة الهوجاء إلى بث روح التفرقة بين

(١) كشف الغمة: ٢/ ٣٦٨، و فيه أيوب السختياني، و الصحيح ما ذكرناه.

أدوار الفقه الإمامي (للسبغاني)، ص: ٣٠

المسلمين، و ترعرع بناء أفكارهم في ذلك العصر ليقوموا بمهمّة الانتصار لمبادئهم التي قضى عليها الإسلام، فقد اغتتموا الفرصة في بث تلك الآراء الفاسدة في المجتمع الإسلامي، فكانوا يبيّثون الأحاديث الكاذبة و يسندونها إلى حملة العلم من آل محمد، ليغرّوا به العافية، فكان المغيرة بن سعيد يدعى الاتّصال بأبي جعفر الباقر، و يروي عنه الأحاديث المكذوبة، فأعلن الإمام الصادق (عليه السلام) كذبه و البراءة منه، و أعطى لأصحابه قاعدة في الأحاديث التي تُروى عنه فقال: «لا تقبلوا علينا حديثاً إلّا ما وافق القرآن و السنّة، أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة».

لقد أضمر الخصوم لا سيما حكام بني أمية و بني العباس العداء لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) و سعوا إلى تضيق الخناق عليهم للحد من اختلاف الناس إليهم، إلّا أنّه شاءت الأقدار الالهية كسر هذا الطوق الذي فرضوه حيث سنحت الفرصة لهم (عليهم السلام) لنشر السنّة النبوية و بثها في أوساط المسلمين، و لما كان ذلك ثقيلاً على خصومهم عمدوا إلى بث الأكاذيب على لسان الأئمة (عليهم السلام) بغية تشويه سمعتهم و التقليل من شأنهم.

إنّ الإمام (عليه السلام) شرع بالرواية عن جدّه و آبائه عند ما اندفع المسلمون إلى تدوين أحاديث النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) بعد الغفلة التي استمرت إلى عام ١٤٣هـ - حيث اختلط آنذاك الحديث الصحيح بالضعيف، و تسرّبت إلى السنّة، العديد من الروايات الإسرائيلية و الموضوعية من قبل أعداء الإسلام من الصليبيين و المجوس بالإضافة إلى المختلقات و المجعلولات على يد علماء السلطنة و مرتزقة البلاط الأموي.

و من هنا فقد وجد الإمام (عليه السلام) أن أمر السنّة النبوية قد بدأ يأخذ اتجاهات خطيرة و انحرافات واضحة، فعمد (عليه السلام) للتصدّي لهذه الظاهرة الخطيرة، و تنفيذ الآراء الدخيلة على الإسلام، و التي تسرّب الكثير منها نتيجة الاحتكاك الفكري

أدوار الفقه الإمامي (للسبغاني)، ص: ٣١

و العقائدي بين المسلمين و غيرهم.

إنّ تلك الفترة شكّلت تحدياً خطيراً لوجود السنّة النبوية، و خلطاً واضحاً في كثير من المعتقدات، لذا فإنّ الإمام (عليه السلام) كان بحق سفينة النجاة في هذا المعترك العسير.

إنّ علوم أهل البيت (عليهم السلام) متوارثة عن جدّهم المصطفى محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) الذي أخذها عن الله تعالى بواسطة الأمين جبرئيل (عليه السلام) فلا غرو أن تجد الأمة ضالّتها فيهم (عليهم السلام) و تجدهم مرفأً أمان في هذه اللجج العظيمة، ففي ذلك الوقت حيث أخذ كلُّ يحدّث عن مجاهيل و نكرات، و رموز ضعيفة، و مطعون أو أسانيد مشوشة، تجد أنّ الإمام الصادق

(عليه السلام) يقول: «حديثي حديث أبي، و حديث أبي حديث جدّي، و حديث جدّي حديث علي بن أبي طالب، و حديث علي حديث رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و حديث رسول الله قول الله عزّ و جلّ». («١»)

هذا غيظ من فيض و قليل من كثير ممّا قيل في حقّ الإمامين الباقر و الصادق (عليهما السلام) و لو أردنا أن نستعرض كلمات المؤرّخين و المحدثين حول الأئمة الاثني عشر لضاق بنا المجال، فلنكتفٍ بهذا المقدار، و من أراد التفصيل فعليه مراجعة الكتب المؤلّفة في هذا الخصوص.

لقد أسّس الإمامان جامعاً علمية كبيرة في مهد الحديث تخرج منها الآلاف من المحدثين حفظوا السنّة النبوية، و هذا ممّا أذعن به التاريخ، و صرّح به المؤرّخون.

و نأتي هنا بنصين:

١. ما ذكره النجاشي في ترجمته «الحسن بن علي بن زياد الوشاء البجلي

(١) الوسائل: ١٨ / ٥٨، الباب ٨ من أبواب صفات القاضي، الحديث ٢٦.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٢

الكوفي» من أصحاب الرضا، قال- ناقلاً عن أحمد بن محمد بن عيسى:- خرجت إلى الكوفة في طلب الحديث، فلقيت بها الحسن بن علي الوشاء، فسألته أن يخرج لي كتاب العلاء بن رزين القلاء و أبان بن عثمان الأحمر، فأخرجهما إليّ، فقلت له: أحب أن تجيزهما لي، فقال لي: يا رحمك الله، و ما عجلتك، اذهب فاكتبهما و اسمع من بعد، فقلت: لا آمن الحدّان، فقال: لو علمت أنّ هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه، فأني أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ، كلّ يقول حدّثني جعفر بن محمد (عليه السلام) و كان هذا الشيخ عيناً من عيون هذه الطائفة، و له كتب، منها: ثواب الحج، و المناسك، و النوادر. («١»)

٢. ما ذكره المفيد في «إرشاده» و قال: نقل الناس عن الصادق (عليه السلام) من العلوم ما سارت به الركبان، و انتشر ذكره في البلدان، و لم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نقل عنه، و لا لقي أحد منهم من أهل الآثار و نقله الأخبار و لا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله، فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء و المقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل. («٢»)

و قال ابن شهر آشوب في «مناقبه»: و نقل عن الصادق (عليه السلام) من العلوم ما لم ينقل عن أحد، و قد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة من الثقات على اختلافهم في الآراء و المقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل. («٣»)

و قال شيخنا الفتال: قد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة عن الصادق (عليه السلام) من الثقات على اختلافهم في الآراء و المقالات، فكانوا أربعة آلاف. («٤»)

(١) رجال النجاشي: ١ / ١٣٨ - ١٣٩.

(٢) المفيد: الإرشاد: ٢٨٨.

(٣) ابن شهر آشوب: المناقب: ٢٤٧ / ٤.

(٤) محمد بن علي الفتال: روضة الواعظين: ١٧٧.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٣

و قد قام أبو العباس المعروف ب- «ابن عقدة» (المتوفى ٣٣٣ هـ-) بضبط أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) في كتاب خاص له قال النجاشي في ترجمته: له كتاب الرجال، و هو كتاب من روى عن جعفر بن محمد. («١»)

و قال بمثله الشيخ في «الفهرست». (٢)»
 و ممّا يؤسف له أنّ «رجال ابن عقدة» قد تلاعبت به يد الأقدار، فلم يصل إلينا شيء منه بعد الفحص عنه في فهارس المكتبات، و قد اتصلنا بعلماء اليمن، فلم يحدثوا عنه شيئاً.
 نعم قام الشيخ الطوسي بإخراج أسماء الذين رووا عن الإمام الصادق (عليه السلام) مع أنّ المذكور في رجاله لا يتجاوز عن ثلاثة آلاف و خمسين رجلاً.
 و على أيّة حال فجهاد الإمام الصادق (عليه السلام) يُعرب عن بث السنّة و نشرها في عصره على كافّة الأصعدة حيث لم يقتصر مجلسه على الشيعة فحسب، بل عمّ حتى المخالفين في العقائد.

الأصول و المصنّفات

كان لأصحابنا في عصر الصادقين (عليهما السلام) و ما تلاه لوانان من التأليف، يسمّى أحدهما بالأصول، و الآخر بالتصنيف، و يعرب عن ذلك تعبير الشيخ الطوسي في ديباجة الفهرست، قال: «أما بعد فإنّي لَمّا رأيت جماعة من شيوخ طائفنا من أصحاب الحديث عملوا فهرست كتب أصحابنا و ما صنّفوه من التصنيفات و رووه

(١) النجاشي: الرجال: رقم ٢٣٣.

(٢) الشيخ: الفهرست: ٥٣.

أدوار الفقه الإمامي (للسبغاني)، ص: ٣٤

من الأصول، و لم يتعرّض أحد منهم لاستيفاء جميعه إلّا ما قصده أبو الحسين أحمد ابن الحسين بن عبيد الله (رحمه الله)، فإنّه قد صنّف كتابين ذكر في أحدهما المصنّفات و في الآخر، الأصول، و استعرضهما على مبلغ ما وجد و قدر عليه.
 و الفرق بين الأصول و المصنّفات هو أنّ احتمال الخطأ و الغلط و السهو و النسيان أقل بكثير منها في المصنّفات، و ذلك لأنّ الأصل يمتاز عن المصنّف أنّه يشمل الأحاديث التي رواها الراوي عن المعصوم مباشرة أو بواسطة واحدة، بخلاف المصنّف، فإنّه في سعة من ذلك الالتزام.

و قام تلامذة أتية أهل البيت بتأليف أصول أربعمئة ما بين عصر الإمام الصادق (عليه السلام) إلى نهاية عصر الإمام الرضا (عليه السلام)، و هذه الأصول هي المعروفة بالأصول الأربعمئة، فلها من الاعتبار و المكانة ما ليس لغيرها.
 قال: السيد رضی الدين على بن طاوس (المتوفى ٦٦٤ هـ): حدّثني أبي قال: كان جماعة من أصحاب أبي الحسن من أهل بيته و شيعته يحضرون مجلسه، و معهم في أكماتهم ألواح آبنوس لطاف و أميال، فإذا نطق أبو الحسن (عليه السلام) بكلمة، أو أفتى في نازلة، أثبت القوم ما سمعوه منه في ذلك. (١)»

قال شيخنا بهاء الدين العاملي في «مشرق الشمسيين»: إنّه قد بلغنا من مشايخنا قدس سرهم أنّه كان من دأب أصحاب الأصول أنّهم إذا سمعوا عن أحد من الأئمّة حديثاً بادروا إلى إثباته في أصولهم، لئلا يعرض لهم نسيان لبعضه أو كله بتمادى الأيام. (٢)»
 و بمثله قال السيد الداماد في «رواشحه». (٣)»

(١) ابن طاوس: مهج الدعوات: ٢٢٤، الطبعة الحجرية.

(٢) بهاء الدين العاملي: مشرق الشمسيين. كما في الذريعة: ١٢٨/٢.

(٣) السيد الداماد: الرواشح: ٩٨، الراشحة ٢٩.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٥

قال المحقق الحلّي: كتب من أجوبة مسائله - أي جعفر بن محمد (عليهما السلام) - أربعمئة مصنف سمّوها أصولاً. (١) قال الطبرسي في «إعلام الوري بأعلام الهدى»: روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) من مشهور أهل العلم أربعة آلاف إنسان، و صُنّف من جواباته في المسائل أربعمئة كتاب تسمى «الأصول» رواها أصحابه و أصحاب ابنه موسى الكاظم (عليه السلام). (٢) وقال الشهيد الثاني في «شرح الدراية»: و كان قد استقر أمر المتقدمين على أربعمئة مصنف لأربعمئة مصنف سمّوها الأصول، فكان عليها اعتمادهم. (٣)

إلى غير ذلك من كلمات أصحابنا التي جاءت حول الأصول الأربعمئة.

و بما أنّ معظم أصحاب الأصول من أصحاب الباقر و الصادق و الكاظم و الرضا (عليهم السلام)، يمكن الحدس بأنّ أكثرها أُلّفت في فترة ظهور الضعف في الدولة الأموية عام ١٢٥ هـ - إلى عصر هارون الرشيد عام ١٧٠ هـ - الذي بلغت فيه الدولة العباسية من القوة بمكان.

و لما لم يكن للأصول ترتيب خاص إذ أنّ جلّها إملاءات المجالس و أجوبة المسائل النازلة المختلفة، عمد أصحاب الجوامع إلى نقل رواياتها مرتبة مبوبة منقحة تسهيلاً للتناول و الانتفاع، فما كان في هذه الأصول انتقل إلى الجوامع الحديثية لا سيما الكتب الأربعة، و لكن بترتيب خاص، و باشتهارها قلّت الرغبات في استنساخ الأصول و الصيانة على أعيانها.

(١) نجم الدين الحلّي: المعبر: ٢٦/١.

(٢) اعلام الوري: ١٦٦.

(٣) زين الدين العاملي: شرح الدراية: ١٧. ط النجف.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٦

و قد كان قسم من تلك الأصول باقياً إلى عهد ابن إدريس (٥٤٣-٥٩٨ هـ) حيث قام بنقل جملة منها في كتابه «السرائر» و أطلق عليها المستطرفات، كما نقل جملة منها عنه السيد رضى الدين بن طاوس كما ذكرها في «كشف المحجّة» و قد وقف أستاذنا السيد محمد الحجّة الكوه كمرى (١٣٠١-١٣٧٢) على ستة عشر من تلك الأصول و قام بطبعها.

و هذا لا- يعنى أنّ كتابه الحديث قد انحصرت بهذه الأصول، بل ثمة ألوان آخر للتأليف في مجال الحديث يطلق عليها الكتاب، و المصنف، و لكلّ خصوصياته و ميزاته.

و قد أكثر جملة من أصحاب الأئمة في التأليف.

فهذا هو هشام الكلبي أُلّف أكثر من ٢٠٠ كتاب، و أُلّف ابن شاذان ١٨٠ كتاباً، و لابن دوثل مائة كتاب، و لابن أبي عمير ٩٤ كتاباً، و للحسن و للحسين الأهوازيين ٣٠ كتاباً، و قد ذكر المحدث الحرّ العاملي أنّه أُلّف بعد رحيل الرسول إلى عصر الغيبة الصغرى (١١-٣٦٠ هـ) ما يقارب عشرة آلاف كتاب. (١)

و قد قام غير واحد من أصحابنا بترجمة رجال الحديث، و بيان منزلتهم في القوة و الضعف نظير:

أ. كتاب الرجال لعبد الله بن جيلة الكناني (المتوفى ٢١٩ هـ).

ب. مشيخة الحسن بن محبوب (المتوفى ٢٢٤ هـ).

ج. رجال الحسن بن فضال (المتوفى ٢٢٤ هـ).

د. رجال ولده علي بن الحسن بن فضال.

(١) شرف الدين: المراجعات: ٣٠٨.
 أدوار الفقه الإمامي (للسبجاني)، ص: ٣٧
 هـ- رجال العقيقي (المتوفى ٢٨٠ هـ).
 وهذا غير ما قام به المتأخرون بترجمة رجال الحديث، نظير:
 أ. رجال الكشي، المتوفى نحو سنة (٣٢٩ هـ).
 ب. رجال أبي العباس بن عقدة (٢٤٩-٣٣٣ هـ).
 ج. رجال النجاشي (٣٧٢-٤٥٠ هـ).
 د. الفهرست و الرجال للشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠ هـ).
 ثم تلتهم طبقة أخرى من مشاهير علماء الرجال، كابن داود و العلامة الحلبي.
 كل ذلك يعرب عن أن الفترة بين رحيل الرسول و غياب الحجّة كان عصر بسط السنّة، و تبين الأحكام، و تفسير القرآن على أيدي
 أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم عيبة علم الرسول و حفظة سنّته.
 إن صاحب الجامع الحديثي الشيخ الحر العاملي ذكر في الفائدة الرابعة من خاتمة الكتاب، المصادر التي نقل عنها الأحاديث بلا
 واسطة، فبلغت ثمانين كتاباً، ثم ذكر أسماء الكتب التي نقل عنها بواسطة، فقال في آخر المبحث: و أمّا ما نقلوا منه و لم يصرحوا
 باسمه فكثير جداً مذكور في كتب الرجال يزيد على ستة آلاف و ستمائة كتاب على ما ضبطناه. («١») و جلّ هذه الكتب مؤلفة في
 عصر الأئمة إلى نهاية القرن الثالث.
 يقول العلامة شرف الدين في «المراجعات»: و كان أصحاب هذين الإمامين العابدين الباقرين من سلف الإمامية أوفاً مؤلفاً لا يمكن
 إحصاؤهم، لكن الذين دونت أسماؤهم و أحوالهم في كتب التراجم من حملة العلم عنهما يقاربون أربعة

(١) الوسائل: ٢٠ / ٤٩، الفائدة الرابعة.

أدوار الفقه الإمامي (للسبجاني)، ص: ٣٨
 آلاف بطل، و مصنفاتهم تقارب عشرة آلاف كتاب، أو تزيد رواها أصحابنا في كل خلف عنهم بالأسانيد الصحيحة، و فاز جماعه من
 أعلام أولئك الأبطال بخدمتهما و بخدمة بقيتهما.
 ثم ذكر أسماء عدّة منهم:
 ١. أبو سعيد أبان بن تغلب بن رباح الجريري، و ذكر ترجمته على وجه التفصيل.
 ٢. أبو حمزة الثمالي ثابت بن دينار، و فضل الكلام في ترجمته و كتبه. («١») إلى غير ذلك من الأبطال الأخيار الذين قام صرح التشيع على وجودهم.
 نعم لم يدم بسط السنّة على وتيرة واحدة، بل أعقبته نجاحات و إخفاقات تبعاً للظروف السياسية السائدة آنذاك، فكلما سنحت الفرصة
 للشيعة للاتصال بأئمتهم أخذوا منهم الحديث، و سجّلوا ما سمعوه، و عند اشتداد الضغط و التنكيل من قبل السلطات الحاكمة نحت
 الشيعة منحي آخر، و هو أخذ الأحكام و الأحاديث عن بطانة علومهم من أصحابهم.
 و أخيراً نقول: إن الشيخ الطوسي ذكر في كتاب «الفهرست» أسماء ٩٠٠ من المصنّفين، و ربما كان لمصنّف مصنّفات كثيرة، كما هو
 ظاهر لمن راجع.

و يعرب عن اهتمام الشيعة ببسط السنّة في تلك الفترة، هو كثرة عدد المحدّثين و الرواة، و هذا هو العلامة المامقاني ترجم في «تنقيح

المقال «١٣٣٦٥ محدثاً». (٢)

و قد استدرّك عليه المحقّق السيد الخوئي في «معجمه»، فترجم ١٥١٢٨

(١) شرف الدين العاملي: المراجعات: المراجعة رقم ١١٠.

(٢) المامقاني: تنقيح المقال: ٣/٣٤٤.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٩

محدثاً. (١)

و ناهز عدد الرواة في دليل معجم رجال الحديث ١٥٦٧٦ محدثاً.

و لو افترضنا أنّ بعض من جاءت ترجمته في الكتابين من غير الشيعة الإمامية، أو أنّ بعض التراجم يتحد بعضها مع بعض، فلا يضر بالعدد الهائل الذي نشأه في هذين المعجمين بعد استثناء ما ذكرنا من الدخلاء أو المتحدّين.

هذا و قد أخذ عن أئمة أهل البيت جيل كبير من الفقهاء و المجتهدين قد سجلت أسماءهم معاجم الرجال، و من حاول أن يقف على أسماء كثير منهم فعليه بالرجوع إلى فهرست الشيخ الطوسي و رجاله و رجال النجاشي و أخيراً معجم رجال الحديث مضافاً إلى ما جاء في معاجم الرجال من أهل السنة كميزان الاعتدال و لسان الميزان و تهذيب التهذيب.

(١) الخوئي: معجم رجال الحديث: ٢٢/٢٠٠.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٤٠

الشيعة و تدوين السنة

إشارة

قد عرفت أنّ السنة هي المصدر الثاني للتشريع فلها من الأهمية ما للقرآن الكريم غير أنّ القرآن وحي بلفظه و معناه، و السنة وحي بمعناها دون لفظها، و لأجل هذه الأهمية قام غير واحد من أصحاب النبي و الأئمة بتدوين الحديث نشير إليهم على وجه الإيجاز حسب تسلسلهم الزمني:

الطبقة الأولى

١. أبو رافع، صحابي، له كتاب «السنن و الأحكام و القضايا».

٢. سلمان الفارسي، قال الشيخ الطوسي: سلمان الفارسي (رحمه الله) روى حديث الجاثليق الذي بعثه ملك الروم بعد النبي. توفي بالمداين سنة ٣٥ هـ. (١)

و قد روى له البخاري و مسلم ٦٠ حديثاً.

٣. أبو ذر الغفاري، (المتوفى ٣٢ هـ) له خطبة يشرح فيها الأمور بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم). (٢)

و أمّا الذين تربوا على يد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، فنخبة من التابعين منهم:

(١) الطوسي: الفهرست: ١٠٦ برقم ٣٤٠.

(٢) الطوسي: الفهرست: ٧٠، برقم ١٦٠.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٤١

٤. الأصبغ بن نباتة المجاشعي، والذي هو من خواص أمير المؤمنين (عليه السلام)، روى عنه (عليه السلام) عهده إلى مالک الأشر و وصيته إلى ابنه محمد.

٥. سليم بن قيس الهلالي، أبو صادق، له كتاب باسم أصل «سليم بن قيس».

٦. زيد بن وهب الجهني، له كتاب خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) على المنابر في الجمع والأعياد وغيرها. («١»)

وقد مر ذكر الأبطال الأربعة في عصر الإمام علي (عليه السلام) أعنى علي بن أبي رافع و عبيد الله بن رافع، و عبيد الله بن حرّ الجعفي و ربيعة بن سميع («٢») الذين دونوا الحديث في عصر الإمام (عليه السلام).

الطبقة الثانية

ارتحل الوصي أمير المؤمنين (عليه السلام) عن هذه الدنيا فتوجهت أنظار الشيعة نحو الحسن (عليه السلام) خليفته الشرعي، و لكن الضغوط المتزايدة التي مارسها معاوية بحق الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) و شيعتهما حالت دون تدوين الأحاديث المروية عن النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) فلم يتسنّ لهما تربية جيل يأخذ على عاتقه تدوين الأحاديث، إلى أن وصل الأمر إلى ابن الحسين الإمام السجاد (عليه السلام) صاحب «الصحيفة الكاملة» فرّبي جيلاً واعياً، منهم:

١. جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي، أبو عبد الله (المتوفى ١٢٨ هـ).

٢. زياد بن المنذر، كان مستقيماً ثم انحرف، له أصل و كتاب التفسير.

(١) الطوسي: الفهرست: ٩٧، برقم ٣٠٣.

(٢) لاحظ ص ١٨-١٩ من هذا الكتاب.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٤٢

٣. لوط بن يحيى بن سعيد، شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة، له كتب كثيرة ذكر أسماءها النجاشي في «رجالها». («١»)

٤. جارود بن المنذر الثقة، أورده الشيخ في أصحاب الباقر و الصادق (عليهما السلام)، له كتب. («٢»)

الطبقة الثالثة

ثم جاء دور الباقر و الصادق (عليهما السلام) بعد وفاة الإمام زين العابدين (عليه السلام) في ظروف مهتأة بعد ما أصاب كيان بني أمية الضعف و الانهيار تحت وطأة النزاعات التي نشبت مع خصومها و خاصة بني العباس، فوجد الإمامان فرصة ذهبية لإشاعة حديث الرسول، فشيّدوا أسس جامعة إسلامية قلّ نظيرها، قصدها رواد العلم من كل صوب و حذب.

قال المفيد: لم يظهر من أحد من ولد الحسن و الحسين ما ظهر في علم الدين و الآثار و السنّة و علم القرآن و السيرة و فنون الآداب ما ظهر من أبي جعفر الباقر (عليه السلام). («٣»)

و روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة و وجوه التابعين و فقهاء المسلمين، و سارت بذكر علومه الأخبار، و أنشدت في مدائحه الأشعار. («٤»)

و أمّا الإمام الصادق (عليه السلام) فحدّث عنه و لا حرج، فقد ذاع صيته في جميع الأمصار الإسلامية، و أصبح قدوة لرواد العلم، روى عنه جماعة من أعيان الأمة،

(١) النجاشي: الرجال: ١٩١ برقم ٨٧٣ و الشيخ في فهرسته برقم ٥٨٤.

(٢) الطوسي: الرجال: ١١٢ في أصحاب الباقر (عليه السلام).

(٣) المفيد: الإرشاد: ٢٤١.

(٤) ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمة: ٢١٠.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٤٣

منهم: يحيى بن سعيد، و ابن جريج، و مالك بن أنس، و الثوري، و ابن عيينة، و أبو حنيفة، و شعبة، و أبو أيوب السجستاني، و غيرهم. («١»)

قام الإمام بهداية الأمة إلى النهج الصواب في عصر تضاربت فيه الآراء، و الأفكار، و اشتعلت فيه نار الحرب بين الأمويين و معارضيه من العباسيين، ففي تلك الظروف الصعبة و القاسية استغل الإمام الفرصة لنشر أحاديث جدّه و علوم آبائه ما سارت إليه الركبان، و تربى على يديه آلاف من المحدثين و الفقهاء.

و ليس بإمكاننا أن نذكر قائمة بأسماء المحدثين الذين رووا عن الإمام الصادق (عليه السلام) و تربوا في مدرسته، و كفانا في ذلك ما كتبه علماء الرجال في ذلك المضمرة. («٢»)

و تعاقبت أئمة أهل البيت بعد الصادق (عليه السلام)، فغدوا قمماً شامخه في سماء الحديث، و عنهم أخذت شيعتهم أحاديث الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) فدوّنوها في جوامعهم الحديثية واحداً تلو الآخر.

و ثمة نقطة جديرة بالبحث، و هي أنّ الجهود لم تقتصر على نشر السنّة و تبين الأحكام و الإجابة على المستجدات، بل تعدتها إلى نهج إحياء الفكر، و بث الوعي في الأمة الإسلامية خصوصاً بين شيعتهم و حواريين الذين أناخوا ركبهم عند عتبة أبواب الأئمة (عليهم السلام)، فنهلوا من العلم الناجح حتى بلغوا مكانة سامية في الذب عن حياض العقائد جعلتهم سداً منيعاً أمام شبهات المعاندين و المغرضين، و في الإحاطة بالفروع جعلتهم محنكين في رد الفروع إلى الأصول، و استنباط الأحكام من الكتاب و السنّة.

و هكذا نشأ المنهجان في أحضان الأئمة (عليهم السلام) منذ عهد الصادقين إلى عهد

(١) المصدر السابق: ٢٢٢.

(٢) لاحظ ص ٢٤.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٤٤

الإمام العسكري (عليه السلام)، فلم تمنعهم العناية بالحديث و نشر السنّة عن تربية جيل واع في مجالى العقائد و الأصول، وها نحن نذكر أسماء ثلّة من متكلمي تلك العصور و فقهاءهم.

فمن المتكلمين:

١. زرارة بن أعين (٨٠- ١٥٠ هـ): كان فقيهاً، متكلماً، شاعراً، أديباً، قد اجتمعت فيه خصال الفضل و الدين.

٢. أبو جعفر محمد بن علي بن النعمان، مؤمن الطاق: توفى نحو ١٦٠ هـ، من متكلمي عصر الإمام الصادق (عليه السلام)، قال ابن النديم: كان متكلماً حاذقاً، ثم ذكر كتبه. («١»)

٣. هشام بن الحكم: هو من متكلمي الشيعة الإمامية و بطانتهم، و أكبر شخصية في الكلام، توفى عام ١٩٩ هـ.

٤. عيسى بن روضة، حاجب المنصور: كان متكلماً، و له كتاب في الإمامة، من متكلمي القرن الثاني.

٥. الضحاك أبو مالك الحضرمي: كوفي عربي أدرك أبا عبد الله (عليه السلام) و روى عن أبي الحسن (عليه السلام) و كان متكلماً،

- ثقة ثقة في الحديث، و له كتاب في التوحيد. (٢)»
٦. على بن محمد بن حسن الطائي: عدّه ابن النديم من متكلمي الشيعة، و له من الكتب كتاب «الإمامة» كما ذكره ابن النديم.
٧. الحسن بن علي بن يقطين بن موسى: كان فقيهاً، متكلماً، روى عن أبي الحسن و الرضا (عليهما السلام)، ذكره الشيخ في «رجال» في أصحاب الرضا (عليه السلام). (٣)»

- (١) ابن النديم: الفهرست: ٢٦٤.
- (٢) النجاشي: الرجال: برقم ٥٤٤.
- (٣) الطوسي: الرجال: برقم ٧.
- أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٤٥
٨. حديد بن حكيم، أبو علي الأزدي المدائني: متكلم، جليل، يروى عن الصادق و الكاظم (عليهما السلام). (١)»
٩. فضال بن الحسن بن فضال: من متكلمي عصر الصادق (عليه السلام)، و له مناظرات مع أبي حنيفة.
- إلى غير ذلك من متكلمي الشيعة الكبار، كحمران بن أعين الشيباني، و هشام بن سالم الجواليقي، و السيد الحميري، و الكمي الأدي. (٢)»
- هذه نظرة عابرة حول مفكرى الشيعة و متكلميهم في العقائد في عهد الأئمة.
- و أما الفقهاء الكبار الذين رزقوا ملكة الاستنباط في عهد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) حتى صاروا أئمة في الفقه، متضلّعين في استنباط الفروع، فنذكر منهم على سبيل المثال ما يلي:

الطبقة الأولى من الفقهاء

١. سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المدني الفقيه: أحد الفقهاء الثمانية، ولد في أيام خلافة عمر بن الخطاب، و توفى عام ٩٤ هـ.
٢. القاسم بن محمد بن أبي بكر: أحد الفقهاء في المدينة، توفى عام ١٠٦ هـ.
٣. أبو خالد الكابلي: روى الكليني عن إسحاق بن جرير، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «كان سعيد بن المسيب، و القاسم بن محمد بن أبي بكر، و أبو خالد الكابلي، من ثقات علي بن الحسين». (٣)»

- (١) النجاشي: الرجال: برقم ٣٨٣.
- (٢) لاحظ أعيان الشيعة: ١/ ١٣٤-١٣٥.
- (٣) الكليني، الكافي: ١/ ٤٧٢، باب مولد أبي عبد الله الصادق (عليه السلام).
- أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٤٦

الطبقة الثانية

ثم أعقبتهم طبقة أخرى كانوا من فقهاء عصر الصادقين (عليهما السلام) و من بعدهم من الأئمة، و قد تربى جُلهم في أحضان الأئمة حتى بلغوا القمة في رد الفروع إلى الأصول. نذكر أسماءهم على وجه الإيجاز، فإن التفصيل يحوجنا إلى تأليف مفرد، و الأصل في هذا ما ذكره الرجالي الكبير الكشي المتوفى نحو (٣٢٠ هـ) في كتابه القيم المعروف الذي لخصه الشيخ الطوسي.

عقد الكشي باباً أسماه «تسمية الفقهاء من أصحاب أبي جعفر و أبي عبد الله (عليهما السلام)» قال: أجمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر (عليه السلام) و أصحاب أبي عبد الله (عليه السلام) و انقادوا لهم بالفقه فقالوا: أفتقه الأولين ستة:

١. زرارة، ٢. معروف بن خربوذ، ٣. بريد بن معاوية، ٤. أبو بصير الأسدي، ٥. الفضيل بن يسار، ٦. محمد بن مسلم الطائفي.
- قالوا: أفتقه الستة زرارة.

هؤلاء الستة تخرجوا على يدي الصادقين (عليهما السلام).

و هناك طبقة أخرى تلتهم، و هم خزرجو مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) و لم يدركوا عهد الباقر (عليه السلام)، ذكرهم الكشي في باب أسماه «تسمية الفقهاء من أصحاب أبي عبد الله (عليه السلام)»:

أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عن هؤلاء، و تصديقتهم بما يقولون، و أقروا لهم بالفقه، من دون أولئك الستة الذين عددناهم و سميناهم، و هم ستة:

١. جميل بن درّاج، ٢. عبد الله بن مسكان، ٣. عبد الله بن بكير، ٤. حماد ابن عثمان، ٥. حماد بن عيسى، ٦. أبان بن عثمان.
- أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٤٧

و قال أبو إسحاق الفقيه، و هو ثعلبة بن ميمون: إن أفتقه هؤلاء جميل بن درّاج، و هم أحداث أصحاب أبي عبد الله (عليه السلام).

الطبقة الثالثة

و هناك طبقة ثالثة تربوا على يدي الإمام موسى بن جعفر و علي بن موسى الرضا (عليهما السلام) ذكرهم الكشي في باب أسماه «تسمية الفقهاء من أصحاب أبي إبراهيم و أبي الحسن (عليهما السلام)» قال:

أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عن هؤلاء و تصديقتهم، و أقروا لهم بالفقه و العلم، و هم ستة:

١. يونس بن عبد الرحمن، ٢. صفوان بن يحيى بياع السابري، ٣. محمد بن أبي عمير، ٤. عبد الله بن المغيرة، ٥. الحسن بن محبوب، ٦. أحمد بن محمد بن أبي نصر.

و قال بعضهم مكان الحسن بن محبوب، الحسن بن علي بن فضال، و فضالة ابن أيوب.

و قال بعضهم مكان فضالة بن أيوب، عثمان بن عيسى، و علي كلاً تقدير، فأفتقه هؤلاء يونس بن عبد الرحمن، و صفوان بن يحيى بياع السابري.

هؤلاء هم أقطاب الاجتهاد في عهد الأئمة الأربعة: الباقر و الصادق و الكاظم و الرضا (عليهم السلام) و استمرّ الركب سارياً على هذا المنوال في عصر الأئمة الآخرين.

و من النجوم اللامعة في هذه الطبقة هو الفضل بن شاذان بن الخليل، أبو محمد الأزدي النيسابوري (المتوفى ٢٦٠ هـ) كان أبوه من أصحاب يونس، و روى

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٤٨

عن أبي جعفر الثاني، و قيل الرضا أيضاً، و كان ثقة، أخذ عنه أصحابنا الفقهاء و المتكلمون، و له جلاله في هذه الطائفة، و هو في قدره أشهر من أن يوصف، و نقل الكشي أنه صنف ١٦٠ كتاباً. («١»)

و قد ألفت في الفقه غير واحد من الكتب، منها: كتاب «الطلاق»، و منها كتاب «الفرائض الكبير» و كتاب «الفرائض الأوسط» و كتاب «الفرائض الصغير» إلى غير ذلك من الكتب.

و كتبه هذه و إن لم تصل إلينا، و لكن نقل الشيخ الكليني شطراً وافرّاً من كتاب الطلاق و الفرائض، و المتتبع في ما نقله يقف على أنّ

الفقه الشيعي قد استقل بالتأليف في عصره، وأنهم لم يكونوا ملتزمين بالإفتاء بنفس النص، أو التأليف بتجريد الأسانيد عن المتون، و تخصيص المتن بالذكر، بل قام الفضل بالتأليف على غير هذا النمط، فلاحظ المصادر أدناه («٢») لتقف بجلاء على ما قلناه. فقد نقل في كتاب المواريث- باب ميراث ولد الولد- شيئاً كثيراً من كتاب الفرائض للفضل. و باب («٣») ميراث ولد الولد مع الأبوين، فنقل فيه شيئاً كثيراً عن الفضل. («٤») و أيضاً باب ميراث الأبوين مع الزوج، فنقل شيئاً من عبارات الفضل. («٥») و قد وصل إلينا من كتب الفضل كتاب «الإيضاح» و هو مطبوع منتشر، و قد وردت فيه مسائل فقهية، استدلل عليها و بحث عنها على نمط المتأخرين.

(١) رجال الكشي: ٤٥٦، و رجال النجاشي رقم ٨٣٨.

(٢) الكافي: ٩٢/٦-٩٦، كتاب الطلاق، باب الفرق بين من طلق على غير السنة.

(٣) لاحظ الكافي: ٨٨/٧-٩٠، كتاب المواريث، باب ميراث ولد الولد.

(٤) لاحظ الكافي: ٩٠/٧-٩٦، كتاب المواريث، باب ميراث ولد الولد.

(٥) لاحظ الكافي: ٩٨/٧، كتاب المواريث، باب ميراث الأبوين مع الزوج.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٤٩

و لا نستبعد أن يكون كتب بعض الفقهاء المتقدمين على الفضل، على هذا النمط أيضاً، فإنّ يونس بن عبد الرحمن أحد الفقهاء الكبار من أصحاب الرضا و ألف في الفقه شيئاً كثيراً، كما سيوافيك.

و لو أردنا استعراض أسمائهم إلى عصر الإمام الحجة لطلال بنا الكلام.

و الغرض من استعراض أسماء هؤلاء الإيعاز إلى أنّ الجهود لم تكن منصبّة على نشر السنّة النبويّة و تربيته المحدّثين فحسب، بل كان يواكبه خط آخر و هو تربية أهل الفكر في كلا المجالين، و هذا من خصائص الشيعة الإمامية، خصوصاً عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي أخرج في خطبه كثيراً من المعارف و المسائل التي صار لها دور مؤثر في العصور المتأخّرة، و من قارن كتاب «التوحيد» للشيخ الصدوق (٣٠٦-٣٨١ هـ) و كتاب «التوحيد» لابن خزيمة الذي تنشره السلفية، لرأى بوناً شاسعاً بين الكتابين، فالثاني يركز على النقل، و فيه من الإسرائيليات و المسيحيات و المجوسيات ما لا يحصى بخلاف الأول، فإنّه يركز على القرآن و السنّة القطعية و الفكر و التفكير و يدعم العقيدة بالبرهان.

الاجتهاد الصحيح عند الشيعة هو استنطاق الكتاب و السنّة، و ليس الاجتهاد شريعة لكل وارد، و إنّما يطلع عليه من رُزق ملكة الاستنطاق وها نحن نذكر نماذج لكيفية تعليمهم ردّ الفروع إلى الأصول، و قد كان هتافهم على رءوس أصحابهم: «إنّما علينا إلقاء الأصول و عليكم التفريع». («... ١»)

كان الأئمة ينهضون همم أصحابهم في أعمال التدبّر و الفكر في فهم السنّة، و هذا هو الإمام الصادق (عليه السلام) يقول: «أنتم أفقه الناس إذا عرفتم معاني كلامنا، أنّ الكلمة لتصرف على وجوه، فلو شاء إنسان لصرف كلامه كيف شاء و لا

(١) الوسائل: ج ١٨، الباب ٦ من أبواب صفات القاضي، الحديث ٥٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٥٠

يكذب». («١»)

و لأجل إيقاظ روح التفكير في صفوف أصحابهم كانوا يرشدونهم بالقول: «إنّ في أخبارنا محكماً كمحكّم القرآن، و متشابهاً

كمتشابه القرآن، فردوا متشابهها إلى محكمها، ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا». (٢٠٠)
وقد أنهضت هذه الكلمات روح الاجتهاد، ووجدت نشاط الاستنباط، فبلغت رتبة بعض أصحابهم درجة عالية صالحة للإفتاء، فهذا أبو جعفر الباقر (عليه السلام) يقول لأبان بن تغلب: «اجلس في المسجد وافت الناس، فإني أحب أن يرى في شيعة مثلك». (٢٠١)

تدريب أصحابهم على الاجتهاد

١. اختلفت كلمة الفقهاء في مقدار المسح الواجب على الرأس عند الوضوء، وقد سأل زرارَةَ الإمام الصادق (عليه السلام) عن مقدار المسح، فقال له: ألا تخبرني من أين علمت، وقلت إن المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين؟ فضحك، وقال: «يا زرارَةَ، قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونزل به الكتاب عن الله عز وجل قال: (فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ) فَعَرَفْنَا أَنَّ الْوَجْهَ كُلَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَغْسَلَ، ثُمَّ قَالَ: (وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ) فَوَصَلَ الْيَدَيْنِ إِلَى الْمَرَافِقِ بِالْوَجْهِ، فَعَرَفْنَا أَنَّهُ يَنْبَغِي لهُمَا أَنْ يَغْسَلَا إِلَى الْمَرَافِقَيْنِ، ثُمَّ فَصَلَ بَيْنَ الْكَلَامِ فَقَالَ: (وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ) فَعَرَفْنَا حِينَ قَالَ: بِرُؤُوسِكُمْ أَنَّ الْمَسْحَ بِبَعْضِ الرَّأْسِ لِمَكَانِ الْبَاءِ، ثُمَّ وَصَلَ الرَّجْلَيْنِ بِالرَّأْسِ كَمَا وَصَلَ الْيَدَيْنِ بِالْوَجْهِ فَقَالَ: (وَارْجُلَيْكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) فَعَرَفْنَا حِينَ

(١) الوسائل: ج ١٨، الباب ٩ من أبواب صفات القاضي، الحديث ٦.

(٢) الوسائل: ج ١٨، الباب ٩ من أبواب صفات القاضي، الحديث ٢٢.

(٣) النجاشي: ٧٣ / ١، في ترجمة أبان بن تغلب.

أدوار الفقه الإمامي (للسبعماني)، ص: ٥١

وصلهما بالرأس إن المسح على بعضها، ثم فسر ذلك رسول الله فضيعة». (٢٠١)

٢. سأل عبد الأعلى، مولى آل سام، الإمام الصادق عن كيفية المسح على الظفر الذي أصابه الجرح وجعل عليه جبيره؟ قال: «هذا وأشباهه يعرف من كتاب الله، قال الله تعالى: (مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (٢) امسح على المرارة». (٢٠٣)
فقد أوضح للسائل كيفية الاستنباط ورد الفرع إلى الأصل.

٣. روى زرارَةَ و بكير، أنهما سألا- أبا جعفر عن وضوء رسول الله، فدعا بطست، إلى أن قال: إن الله عز وجل يقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ) فليس له أن يدع شيئاً من وجهه إلا غسله، وأمر أن يغسل اليدين إلى المرفقين، فليس له أن يدع شيئاً من يديه إلى المرفقين إلا غسله، لأن الله تعالى يقول: (فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ)». (٢٠٤)

٤. عن حكم بن الحكم، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول، و سئل عن الصلاة في البيع والكنائس، فقال: «صل فيها قد رأيتها ما أنظفها» قلت: أ يصلّي فيها وإن كانوا يصلون فيها؟ فقال: «نعم أما تقرأ القرآن (قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَيَّ شَاكِلَتِهِ فَرُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا) (٥) صل إلى القبلة و غزبهم». (٢٠٦)

(١) الوسائل: ١، الباب ٢٣ من أبواب الوضوء، الحديث ١. والآية ٦ من سورة المائدة.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) الوسائل: ١ / ٢٩٠ ح ١، الباب ٢٣ من أبواب الوضوء.

(٤) الوسائل: ١، الباب ١٥ من أبواب الوضوء، الحديث ٣، والآية ٦ من سورة المائدة.

(٥) الإسراء: ٨٤.

(٦) الوسائل: ٣، الباب ١٣ من أبواب مكان المصلي، الحديث ٣.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٥٢

٥. روى سماعه بن مهران، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إنَّ الله فرض للفقراء في أموال الأغنياء فريضة لا يحمدون إلَّا بأدائها، و هي الزكاة بها حقنوا دماءهم و بها سموا مسلمين، و لكن الله فرض في أموال الأغنياء حقوقاً غير الزكاة، فقال عزَّ و جلَّ: (وَ الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ) (١)» فالحقَّ المعلوم غير الزكاة، و هو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته و سعة (٢) ماله».

٦. روى سماعه عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: جعلت فداك، يدخل علي شهر رمضان فأصوم بعضه فتحضرني نية زيارة قبر أبي عبد الله (عليه السلام) فأزوره و أفطر ذاهباً و جائياً، أو أقيم حتى أفطر و أزوره بعد ما أفطر بيوم أو يومين؟ فقال: «أقم حتى تفطر» فقلت له: جعلت فداك فهو أفضل، قال: «نعم، أما تقرأ في كتاب الله (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)» (٣)».

(٤)

و كيفية الاستدلال واضحة حيث إنَّ الكتاب لم يوجب شهود الشهر، و إنما علق الصيام على من شهد اختياراً، و أمَّا من لم يشهد و لو بالسفر، فلم تكتب عليه الصيام و إن كتب عليه القضاء.

٧. روى أبو حمزة، عن أبي جعفر في حديث قال: إنَّ الله جعل لنا أهل البيت سهماً ثلاثة في جميع الفيء، فقال تبارك و تعالي: (وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى وَ لِتِيَامِي وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ) (٥) فنحن أصحاب الخمس و الفيء، و قد حرمانا على جميع الناس ما خلا

(١) المعارج: ٢٥.

(٢) الوسائل: ٦، الباب ٧ من أبواب ما تجب فيه الزكاة، الحديث ٢.

(٣) البقرة: ١٨٥.

(٤) الوسائل: ٧ / ١٣٠، الباب ٣ من أبواب من يصح منه الصوم، الحديث ٧.

(٥) الأنفال: ٤١.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٥٣

شيعتنا». (١)

و قد استفاد الإمام من اللام الواردة في قوله: (وَ لِذِي الْقُرْبَى) انَّ اختيار الخمس بيدهم، فلهم أن يبيحوه أو يحرموه لمن شاءوا.

٨. روى الكليني في «الكافي» مرفوعاً، أنه خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) و قال: «يا أيها الناس إنَّ آدم لم يلد عبداً و لا أمه، و إنَّ الناس كلهم أحرار، و لكن الله خوَّل بعضكم بعضاً، فمن كان له بلاء فصبّر في الخير، فلا يمن به على الله عزَّ و جلَّ، ألا و قد حضر شيء و نحن مسؤولون فيه بين الأسود و الأحمر، فقال مروان لطلحة و الزبير: ما أراد بهذا غير كما، قال: فأعطى كل واحد ثلاثة دنانير و أعطى رجلاً من الأنصار ثلاثة دنانير، و جاء بعد غلام أسود فأعطاه ثلاثة دنانير، فقال الأنصاري: يا أمير المؤمنين هذا غلام اعتقته بالأمس تجعلني و إياه سواء، فقال (عليه السلام): «إني نظرت في كتاب الله، فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضلاً». (٢)»

هذه نماذج من الأساليب التعليمية التي علم بها الأئمة (عليهم السلام) أصحابهم نهج الاستنباط و الاجتهاد، و لو أردنا استقصاء ما ورد في ذلك المضممار لطلال فيها الكلام، و يكفيك النظر في الروايات الواردة في أبواب الحيض حيث إنَّ الإمام يستدل في كثير من الروايات على أحكام الحيض عن طريق السنة. (٣)»

فخرنا من هذا الدور بميزتين:

الأولى: إن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) صرفوا همهم إلى نشر السنة النبوية في مجال تفسير الكتاب و بيان الأحكام و الحقوق و العقائد بعد التحاق الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم)

(١) الوسائل: ٦ / ٣٨٥، الباب ٤ من أبواب الأنفال، الحديث ١٩.

(٢) الكليني: الكافي: ٨ / ٦٩.

(٣) لاحظ الوسائل: ٢، الباب ٣ من أبواب الحيض، الحديث ٣ و ٤، و الباب ٥، الحديث ١ من تلك الأبواب أيضاً.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٥٤

بالرفيق الأعلى، و قد ألفت لتلك الغاية آلاف من الكتب و الرسائل بألوان مختلفة.

الثانية: قد و اكب الخط الحديثي خط إنهاض الفكر و اعماله في الكتاب و السنة بغيه استنباط الأحكام من مظانها، و لم يكن بين أصحاب المنهجين أي تعارض، كل يمارس ما يوافق ذوقه و يتجاوب مع سليقته و نزعته النفسيه، و ليس الناس على وتيرة واحدة في الحفظ و التعقل.

فأصحاب المنهج الأول يهتمون بنقل النصوص و ضبطها في كتبهم و رسائلهم، بيد أن أصحاب المنهج الثاني يهتمون بالتفكر و التعقل فيما روى عنهم (عليهم السلام).

و لم يول الأئمة (عليهم السلام) اهتماماً لمنهج دون آخر، بل قد شجعوا على كلا المنهجين على حد سواء.

الأساليب المختلفة لتدوين الفقه

إشارة

و بالسبر في الكتب المؤلفة في تلك الفترة من لدن رحيل الرسول إلى عصر الغيبة يقف الباحث على أنه كانت لهم في تدوين الفقه أساليب مختلفة، منها:

أ. تدوين الفقه عن طريق جمع الأحاديث بلا ترتيب و تنظيم، كالأصول الأربعمائة، فإن صاحب كل أصل يذكر جميع الروايات التي سمعها من الإمام، أو ممن سمعه منه، دون التزام بذكر كل رواية في باب خاص، كما هو المشاهد من النماذج الباقية من الأصول الأربعمائة المطبوعة، و هذا كان تدويناً للحديث من جانب، و تدويناً للفقه من جانب آخر، لما عرفت أن بين تاريخي العلمين صلة وثيقة.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٥٥

ب. تدوين الفقه عن طريق ترتيب الأحاديث و تنظيمها في أبوابها الخاصة بنقل كل ما يمت إلى الطهارة بصله في بابها و إلى الصلاة في بابها، و هذه هي الصورة الغالبة على تأليفات تلك الفترة.

ج. الفقه الروائي بحذف الأسانيد و حفظ تعبير الحديث غالباً و أحياناً ممزوجاً بتعابير المؤلف، و هذا هو الفقه المنصوص.

إن هناك نمطاً آخر لعرض الفقه هو الاستمداد من ألفاظ الروايات، لكن بإنشاء من المؤلف فلا يعد الكتاب فقهاً منصوصاً، («١») كالمقنع للشيخ الصدوق، و لا فقهاً تفرعياً على الأصول و القواعد، بل كتاباً يستمد من النصوص و يستعرض المسائل بتعبير المؤلف، و أظن أن الكتب المعروضة على أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، ألفت على هذا النمط نظير:

١. كتاب عبيد الله الحلبي

عرض عبيد الله بن أبي شعبة الحلبي كتابه على أبي عبد الله (عليه السلام) و صحّحه، و قال عند قراءته: «أ ترى لهؤلاء مثل هذا؟». (٢)

٢. كتاب يونس بن عبد الرحمن

قال أحمد بن أبي خلف: كنت مريضاً فدخل عليّ أبو جعفر يعودني عند مرضي، فإذا عند رأسي كتاب «يوم و ليلة» فجعل يصفح ورقه حتى أتى عليه من

(١) سيوايك أن أول من جرّد المتون عن الأسانيد و صنّف على هذا النمط كتاباً فقهياً هو علي بن بابويه القمي المتوفى (٣٢٩ هـ).

(٢) النجاشي: الرجال: برقم ٦١٠.

أدوار الفقه الإمامي (للسبعماني)، ص: ٥٦

أوله إلى آخره، و جعل يقول: «رحم الله يونس، رحم الله يونس، رحم الله يونس». (١)

و روى أيضاً عن أبي هاشم الجعفرى قال: أدخلت كتاب «يوم و ليلة» الذى ألفه يونس بن عبد الرحمن على أبي محمد الحسن العسكرى فنظر فيه و تصفّحه، ثم قال: «هذا دينى و دين آبائى و هو الحقّ كلّ». (٢)

روى محمد بن إبراهيم الورّاق السمرقندى فى حديثه مع بورق قال: فقال بورق: فخرجت إلى سرّمن رأى و معى كتاب «يوم و ليلة» فدخلت على أبي محمد و أريته ذلك الكتاب، فقلت له: جعلت فداك إنى رأيت أن تنظر فيه، فلما نظر فيه و تصفّحه ورقة ورقة، قال: «هذا صحيح ينبغى أن يعمل به». (٣)

و الذى يؤيد كون هذه الكتب إما من هذا اللون من التأليف، أو من النمط الرابع، ما ذكره الكشى حيث قال: كان ليونس بن عبد الرحمن أربعون أخاً يدور عليهم فى كلّ يوم مسلماً ثم يرجع إلى منزله فى أكل و يتهبأ للصلاة ثم يجلس للتصنيف و تأليف الكتب. (٤)

٣. كتاب الفضل بن شاذان

روى الكشى أن أبا محمد الفضل بن شاذان (رحمه الله) كان ووجه حامد بن محمد الأزدي إلى حيث به أبو محمد الحسن بن على، فذكر أنّه دخل على أبي محمّد،

(١) الكشى: الرجال: برقم ٣٥١.

(٢) الكشى: الرجال: برقم ٣٥١.

(٣) الكشى: الرجال: ٤٥١، برقم ٤١٦.

(٤) الكشى: الرجال: برقم ٣٥١.

أدوار الفقه الإمامي (للسبعماني)، ص: ٥٧

فلمّا أراد أن يخرج سقط منه كتاب فى حوضه ملفوف فى ردايه، فتناوله أبو محمد و نظر فيه، و كان الكتاب من تصنيف الفضل بن شاذان و ترخّم عليه و ذكر أنّه قال: «أعجب أهل خراسان بمكان الفضل بن شاذان و كونه بين أظهرهم». (١)

د. إفراغ المسائل الفقهية فى قوالب خاصة و تخريج الفروع غير المنصوصة، و يدل على وجود هذا النمط من التأليف فى عصر الأئمة ما رواه «الكافى» عن زرارة، و الفضل بن شاذان، و ما رواه الشيخ، عن عبد الله بن بكير، و نحن نستعرض النصوص الباقية من هؤلاء

الأقطاب في هذا الصدد.

نماذج من فتاوى أصحاب الأئمة

إشارة

قد أوقفك البحث على أن أئمة أهل البيت ساهموا في تربية محدثين كبار و فقهاء عظام، يرجع الناس إليهم في الأخذ بالأحكام الشرعية، و سنقوم بذكر مقتطفات من فتاواهم، و نحيل القارئ الكريم في الهامش إلى مواضع أخرى من فتاواهم مما لم نذكرها:

أ. فتاوى زرارة (المتوفى عام ١٥٠ هـ)

يعد زرارة بن أعين أحد الفقهاء العظام، ممن يؤخذ عنه الحلال و الحرام و الفتيا و الأحكام، و كفى في حقه قول الإمام الصادق (عليه السلام): «إن زرارة من أمناء الله على حلاله و حرامه، و من الذين ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين و تأويل الغالين، و من القوامين بالقسط، و السابقين إلينا في الدنيا، و السابقين إلينا في

(١) الكشي: الرجال: ٤٥١، برقم ٤١٦.

أدوار الفقه الإمامي (للسبعماني)، ص: ٥٨

الآخرة، و هو أحب الناس إليّ أحياءً و أمواتاً، و لولاه لظننت أن أحاديث أبي سذهب». (١)

قال ابن النديم: و زرارة أكبر رجال الشيعة فقهاً و حديثاً و معرفه بالكلام و التشيع. (٢)

و قال النجاشي: شيخ أصحابنا في زمانه و متقدمهم، و كان قارئاً فقيهاً متكلماً شاعراً أديباً، قد اجتمعت فيه خلال الفضل و الدين، صادقاً فيما يرويه. (٣)

و قد كان مرجعاً في عصره لتمييز الصحيح من الروايات عن سقيمها.

روى الكليني عن عمر بن أذينة، أنه قال: قلت لزرارة: إن أناساً حدّثوني عنه - يعني الصادق (عليه السلام) - و عن أبيه (عليه السلام) بأشياء في الفرائض، فأعرضها عليك، فما كان منها باطلاً فقل هذا باطل، و ما كان منها حقاً فقل هذا حق، و لا تروه و اسكت، فحدّثته بما حدّثني به محمد بن مسلم، عن أبي جعفر في الابنة و الأب، و الابنة و الأم، و الابنة و الأبوين، فقال: «هو و الله الحق». (٤) و إليك نماذج من فتاواه:

١. عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن جميل بن دراج، عن زرارة، قال: إذا ترك الرجل أمه أو أباه أو ابنة أو ابنته، فإذا ترك واحداً من الأربعة فليس بالذي عنى الله عزّ و جلّ في كتابه: (قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ) (٥) و لا يرث مع الأم و لا مع الأب و لا مع الابن و لا مع الابنة أحد خلقه الله عزّ و جلّ، غير زوج أو زوجة. (٦)

(١) الكشي: الرجال: برقم ٤٣١.

(٢) ابن النديم: الفهرست: ٣٢٣.

(٣) النجاشي: الرجال: برقم ٤٦٣.

(٤) الكافي: ٧ / ٩٥، ٩٨.

(٥) النساء: ١٧٦.

(٦) وسائل الشيعة: ١٧ / ٤٢٨، الحديث ٨، كتاب الفرائض، باب ٧ من أبواب موجبات الإرث؛ مسند زرارة بن أعين، الحديث ١٦٨٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٥٩

٢. علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة قال: قال زرارة: إذا أردت أن تلقى العول، فإنما يدخل النقصان على الذين لهم الزيادة من الولد والإخوة من الأب، وأما الزوج والإخوة من الأم، فإنهم لا ينقصون مما سمي لهم الله شيئاً. (١)

٣. محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي، عن عبد الله بن المغيرة، عن موسى بن بكر قال: قلت لزرارة: إن بكبيراً حدثني عن أبي جعفر (عليه السلام)، أن الإخوة للأب والأخوات للأب والأم يزدادون وينقصون لأنهن لا يكن أكثر نصيباً من الإخوة والأخوات للأب والأم لو كانوا مكانهن لأن الله عز وجل يقول: (إِنَّ امْرَأَتَكَ لَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: (٢)) يقول: يرث جميع مالها إن لم يكن لها ولد، فاعطوا من سمي الله له النصف كملماً، وعمدوا فاعطوا الذي سمي الله له المال كله أقل من النصف، والمرأة لا تكون أبداً أكثر نصيباً من رجل لو كان مكانها، قال: فقال زرارة: وهذا قائم عند أصحابنا لا يختلفون فيه. (٣)

ب. فتاوى محمد بن مسلم الثقفي (المتوفى عام ١٥٠ هـ)

يذكر النجاشي لمحمد بن مسلم كتاباً باسم «الأربعمئة مسألة في أبواب الحلال والحرام» وحيث إن محمد بن مسلم قد حفظ عن الصادقين آلافاً من الأحاديث، كما ذكرت في ترجمته، يبدو أن هذا الكتاب كان جامعاً لأحاديث

(١) وسائل الشيعة: ١٧ / ٤٢٥، الحديث ١، كتاب الفرائض والمواريث، باب ٧ من أبواب موجبات الارث.

(٢) النساء: ١٧٦.

(٣) الكافي: ٧ / ١٠٤، ولاحظ أيضاً ص ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ١٠٠.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٦٠

جامعته متضمنة لقواعد كلية، وإلا فلما خصص هذا العدد القليل بالنسبة إلى ما حفظه بالتأليف، وقد كان مرجعاً للأحكام، وكان القضاء يرجعون إليه فيما لا يعلمون، ونذكر هنا القضيتين التاليتين:

١. روى الشيخ في «التهذيب» أنه قدّم إلى ابن أبي ليلى رجلاً خصماً له فقال:

إن هذا باعني هذه الجارية، فلم أجد على ركبها (١) حين كسفتها شعراً، وزعمت أنه لم يكن لها قط، فقال ابن أبي ليلى: إن الناس ليحتالون لهذا بالحيل حتى يذهب به، فما الذي كرهت؟! قال: أيها القاضي إن كان عيباً فاقض لي به، قال: حتى أخرج إليك، فأني أجد أذى في بطني، ثم إنه دخل فخرج من باب آخر، فأتى محمد بن مسلم الثقفي فقال: أي شيء تروون عن أبي جعفر (عليه السلام) في المرأة لا يكون على ركبها شعر أ يكون ذلك عيباً؟ فقال له محمد بن مسلم: أما هذا نصاً فلا أعرفه، ولكن حدثني أبو جعفر، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: كل ما كان في أصل الخلقة فزاد أو نقص فهو عيب، فقال له ابن أبي ليلى: حسبك، ثم رجع إلى القوم فقصي لهم بالعيب. (٢)

٢. روى الكشي عن محمد بن مسلم، قال: ما شجر في رأيي شيء قط إلا سألت عنه أبا جعفر، حتى سألت عن ثلاثين ألف حديث، و سألت أبا عبد الله عن ستة عشر ألف حديث.

روى م (٣) حمد بن مسلم قال: إنني لنائم ذات ليلة على السطح، إذ طرق الباب طارق، فقلت: من هذا؟ فقال: شريك رحمك الله، فأشرفت فإذا امرأة، فقالت: لي بنت عروس ضربها الطلق، فما زالت تطلق حتى ماتت و الولد يتحرك في بطنها

(١) الركب: موضع العانة.

(٢) التهذيب: ٦٥/٧، ح ٢٨٢، الكافي: ٥/٢١٥ ح ١٢.

(٣) الكشي: الرجال: ١٤٧ برقم ٦٧، ولاحظ أيضاً الكافي: ٧/٩٣.

أدوار الفقه الإمامي (للسبعماني)، ص: ٦١

ويذهب ويجيء فما أصنع؟ فقلت: يا أمه الله سئل محمد بن علي بن الحسين الباقر (عليه السلام) عن مثل ذلك، فقال: يشق بطن الميت ويستخرج الولد، يا أمه الله افعلی مثل ذلك، انا يا أمه الله رجل في ستر، من وجهك، إلتي؟ قال: قالت لي: رحمك الله جئت إلى أبي حنيفة صاحب الرأي، فقال: ما عندي في هذا شيء، و لكن عليك بمحمد بن مسلم الثقفي، فإنه يخبر، فما أفتاك به من شيء فعودي إلتي فاعلميني، فقلت لها: امضي بسلام.

فلما كان الغد خرجت إلى المسجد، و أبو حنيفة يسأل عنها أصحابه فتنحنت، فقال: اللهم اغفر دعنا نعيش. («١»)

ج. فتاوى عبد الله بن بكير بن أعين الشيباني

قال عنه المفيد في رسالته العديدة: من الفقهاء الأعلام و الرؤساء المأخوذ عنهم الحلال و الحرام و الفتيا و الأحكام الذين لا يطعن عليهم و لا طريق إلى ذم واحد منهم.

روى محمد بن أبي عبد الله، عن معاوية بن حكيم، عن عبد الله بن المغيرة، قال: سألت عبد الله بن بكير عن رجل طلق امرأته واحدة ثم تركها حتى بانت منه ثم تزوجها؟ قال: هي معه كما كانت في التزويج.

قال: قلت: فإن رواية رفاعه إذا كان بينهما زوج؟ فقال لي عبد الله: هذا زوج و هذا ممّا رزق الله من الرأي. («٢») و للفقهاء حول رأيه هذا كلام في كتاب الطلاق فراجع.

(١) الكشي: الرجال: ١٤٧ برقم ٦٧، و لاحظ أيضاً الكافي: ٧/٩٣.

(٢) الكافي: ١٠٣/٢، تهذيب الأحكام: ٨/٣٠ ح ٨، الاستبصار: ٣/٢٧١ ح ٦.

أدوار الفقه الإمامي (للسبعماني)، ص: ٦٢

د. فتاوى يونس بن عبد الرحمن (المتوفى ٢٠٨ هـ)

كان يونس بن عبد الرحمن وجهاً في أصحابنا، متقدماً، عظيم المنزلة، روى الفضل بن شاذان قال: حدثني عبد العزيز بن المهدي - و كان خير قمي رأيت، و كان وكيل الرضا (عليه السلام) و خاصته - فقال: إتي سألته و قلت: لا أقدر على لقائك في كل وقت فعمن آخذ معالم ديني؟ فقال: «خذ عن يونس بن عبد الرحمن».

يقول النجاشي بعد نقل هذه الرواية: «و هذه منزلة عظيمة» و يظهر في غير واحد من مواضع في «الكافي» أنه كان يفتي الناس، و إليك نموذجين منها:

١. على بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس قال: العلة في وضع السهام على ستة لا أقل و لا أكثر لعله وجوه أهل الميراث، لأن الوجوه التي منها سهام الموارث ستة جهات، لكل جهة سهم، فأول جهاتها: سهم الولد، و الثاني: سهم الأب، و الثالث: سهم الأم، و الرابع: سهم الكلاله - كلاله الأب - و الخامس: سهم كلاله الأم، و السادس: سهم الزوج و الزوجة؛ فخمسة أسهم من هذه السهام الستة، سهام القرابات، و السهم السادس هو سهم الزوج و الزوجة من جهة البينة و الشهود، فهذه علة مجارى السهام و إجرائها من ستة أسهم لا يجوز أن يزداد عليها و لا يجوز أن ينقص منها إلا على جهة الرد، لأنه لا حاجة إلى زيادة في السهام، لأن السهام قد استغرقتها

سهام القرابة ولا قرابة غير من جعل الله عز وجل لهم سهماً، فصارت سهام الموارث مجموعة في ستة أسهم، مخرج كل ميراث منها، فإذا اجتمعت السهام الستة للذين سمى الله لهم سهماً، فكان لكل مسمى له سهم على جهة ما سمي له، فكان في استغراقه سهمه، استغراق لجميع السهام لاجتماع جميع الورثة الذين يستحقون جميع السهام الستة، وحضورهم في الوقت الذي فرض الله لهم في مثل ابنتين وأبوين فكان للابنتين أربعة أسهم وكان للأبوين سهمان،

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٦٣

فاستغرقوا السهام كلها ولم يحتج أن يزداد في السهام ولا ينقص في هذا الموضوع، إذ لا وارث في هذا الوقت غير هؤلاء مع هؤلاء، وكذلك كل ورثة يجتمعون في الميراث فيستغرقونه، يتم سهامهم باستغراقهم تمام السهام، وإذا تمت سهامهم وموارثهم لم يجز أن يكون هناك وارث يرث بعد استغراق سهام الورثة كماً التي عليها الموارث، فإذا لم يحضر بعض الورثة كان من حضر من الورثة يأخذ سهمه المفروض ثم يرد ما بقي من بقية السهام على سهام الورثة الذين حضروا بقدرهم، لأنه لا وارث معهم في هذا الوقت غيرهم.

٢. على بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل بن مرار، عن يونس قال: إنما جعلت الموارث من ستة أسهم على خلق الإنسان، لأن الله عز وجل بحكمته خلق الإنسان من ستة أجزاء، فوضع الموارث على ستة أسهم، وهو قوله عز وجل: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) ففي النطفة دية، (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً) ففي العلقه دية، (فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً) وفيها دية، (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا) وفيها دية، (فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) وفيه دية أخرى، (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) («١») وفيه دية أخرى، فهذا ذكر آخر المخلوق. («٢»)

هـ- فتاوى الفضل بن شاذان (المتوفى ٢٦٠هـ)

إن الفضل بن شاذان أحد أصحابنا الفقهاء والمتكلمين، يصفه النجاشي بقوله: وله جلاله في هذه الطائفة، وهو في قدره أشهر من أن نصفه، وكان أبوه من أصحاب يونس، فلو تبع الفضل بن شاذان الخط الموروث من يونس لما كان به

(١) المؤمنون: ١٢-١٤.

(٢) الكافي: ٨٣/٧، ٨٤. ولاحظ أيضاً ص ١١٥، ١١٦-١٢١، ١٢٥.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٦٤

عجب، وقد جاء قسم من فتاواه في كتابه المطبوع باسم «الإيضاح» وها نحن نستعرض بعض فتاواه التي نقلها الكليني في «الكافي»: قال الفضل بن شاذان: لو أن رجلاً ضرب ابنه غير مسرف في ذلك يريد تأديبه، فقتل الابن من ذلك الضرب ورثه الأب ولم تلزمه الكفارة، لأن ذلك للأب، لأنه مأمور بتأديب ولده، لأنه في ذلك بمنزلة الإمام يقيم حداً على رجل فمات، فلا دية عليه ولا يسمي الإمام قاتلاً؛ وإن ضربه ضرباً مسرفاً لم يرثه الأب، فإن كان بالابن جرح أو خراج، فبطه الأب، فمات من ذلك، فإن هذا ليس بقاتل ولا كفارة عليه، وهو يرثه، لأن هذا بمنزلة الأدب والاستصلاح والحاجة من الولد إلى ذلك وإلى شبهه من المعالجات. ولو أن رجلاً كان ركباً على دابة، فأوطأت الدابة أباه أو أخاه، فمات لم يرثه، ولو كان يسوق الدابة أو يقودها، فوطأت الدابة أباه أو أخاه فمات، ورثه وكانت الدية على عاقلته لغيره من الورثة، ولم تلزمه الكفارة.

ولو أنه حفر بئراً في غير حقه أو أخرج كنيفاً أو ظلمة، فأصاب شيء منها وارثاً له فقتله لم تلزمه الكفارة، وكانت الدية على العاقله ورثه، لأن هذا ليس بقاتل، ألا ترى أنه لو كان فعل ذلك في حقه لم يكن بقاتل ولا وجب في ذلك دية ولا كفارة، فأخراجه ذلك الشيء في غير حقه ليس هو بقاتل، لأن ذلك بعينه يكون في حقه فلا يكون قتلاً، وإنما ألزم الدية في ذلك إذا كان في غير حقه

احتياطاً للدماء، وثلثاً يبطل دم امرئ مسلم، وكيلاً يتعدى الناس حقوقهم إلى ما لا حقّ لهم فيه، وكذلك الصبي والمجنون لو قتلوا لورثا، وكانت الدية على العاقلة، والقاتل يحجب وإن لم يرث.

قال: ولا يرث القاتل من المال شيئاً؛ لأنه إن قتل عمداً، فقد أجمعوا أنه لا

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٦٥

يرث؛ وإن قتل خطأً، فكيف يرث وهو تؤخذ منه الدية؟ وإنما منع القاتل من الميراث احتياطاً لدماء المسلمين، كيلاً- يقتل أهل الميراث بعضهم بعضاً طمعاً في الموارث. (١١)

هذه نماذج من فقهاء أصحاب الأئمة (عليهم السلام)، و نماذج من فتاواهم، و كم لهم من نظير كجميل بن درّاج و ابن أبي عمير، اللذين نقلت فتاواهم في ثنايا الأحاديث المروية في الكتب الأربعة و رجال الكشي.

إنّ اجتهاد هؤلاء كان يدور حول استخراج الفروع من النصوص و الأصول الكلية بعد تخصيص العام بخاصة، و المطلق بمقيده، و تمييز الصحيح عن السقيم دون أن يتجاوزوا تلك القواعد و النصوص الكلية، و أمّا الاجتهاد في الدور الثاني الآتي فقد اتخذ لنفسه منهجاً خاصاً يميزه عن الدور الأول ألا و هو الاستفادة في بعض الأحيان من القواعد العقلية بغية الإجابة على المستجدات.

نعم بذرت بذرة الاجتهاد في الدور الأول على يد هؤلاء الأعاظم من أصحاب أئمة أهل البيت (عليهم السلام) و نمت و تعالت حسب الإمكانيات و الظروف المتاحة على مرّ العصور.

المراكز الفقهية التي ازدهرت في هذا الدور

إشارة

الإسلام دين العلم و المعرفة، رفع الإنسان من حضيض الجهل و الأمية إلى أعلى مستويات العلم و الكمال من خلال تشجيعه للقراءة و الكتابة و التدبر في آثار الكون و مظاهر الطبيعة، و نبذ التقليد في العقيدة، فأراد للإنسان حياة كريمة نابضة

(١) الكافي: ١٤٢ / ٧؛ و لاحظ أيضاً: ٨٨ - ٩٠ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٥ - ١٠٨ - ١١٦ - ١١٨ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٤٢ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٦ - ١٦٨.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٦٦

بالفكر و الثقافة.

و قد كانت للشيعة مراكز علمية مهمة خلال القرون الماضية، نشير في كلّ دور إلى أبرزها، ففي هذا الدور نشأت الجامعات التالية:

١. جامعة المدينة المنورة.

٢. جامعة الكوفة و جامعها الكبير.

٣. جامعة قم و الري.

و إليك لمحة خاطفة عن تلك الجامعات:

١. المدينة المنورة

إنّ المدينة المنورة هي المنطلق العلمي الأول، نشأ فيها عدّة من الأعلام من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام)، و على رأسهم ابن عباس حبر الأئمة، و سلمان الفارسي، و أبو ذر الغفاري، و أبو رافع، الذي هو من خيار شيعة الإمام علي، مؤلّف كتاب السنن و الأحكام و

القضاء، (١) و غيرهم.

ثم أعقبتهم طبقه من التابعين، تخرجوا من تلك المدرسة على يد الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليهما السلام) و لقد روى الكليني عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «كان سعيد بن المسيب و القاسم بن محمد بن أبي بكر و أبو خالد الكابلي من ثقات علي بن الحسين (عليهما السلام).» (٢)

و ازدهرت تلك المدرسة في عصر الإمامين الصادق و الباقر (عليهما السلام)، و زخرت بطلاب العلوم، و وفود الأقطار الإسلامية، حتى أضحت جامعة إسلامية مكتظة برجال العلم و حملة الحديث.

(١) النجاشي: الرجال: ٦٤ برقم ١.

(٢) الكليني: الكافي، كما في تأسيس الشيعة: ٢٩٩.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٦٧

٢. الكوفة و جامعها الكبير

قد سبق أن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) هاجر من المدينة إلى الكوفة، و استوطن معه خيار شيعته و من تربى على يديه من الصحابة و التابعين.

و لقد أتى ابن سعد في «طبقاته الكبرى» على ذكر جماعة من التابعين الذين سكنوا الكوفة. (١) و لقد أعان على ازدهار مدرسة الكوفة مغادرة الإمام الصادق (عليه السلام) المدينة المنورة إليها أيام أبي العباس السفاح، حيث بقي فيها سنتين. اغتتم الإمام فرصة ذهبية أوجدتها الظروف السياسية آنذاك، و هي أن الدولة العباسية جاءت على أنقاض الدولة الأموية و كانت جديدة العهد، فلم يكن للعباسيين يومذاك قدرة على الوقوف في وجه الإمام لانشغالهم بأمر الدولة، بالإضافة إلى أنهم كانوا قد رفعوا شعار العلويين للوصول إلى السلطة، و قد نشر زمن إقامته بها علوماً جمّة.

و قد انتشر نبأ وروده الحيرة، فتقاطرت وفود للارتواء من منهله العذب، و قد حكى الحسن بن علي بن زياد الوشاء ازدهار مدرسة الكوفة في تلك الظروف، في كلامه السابق. (٢)

و كان من خريجي هذه المدرسة لفيف من الفقهاء الكوفيين، نظير: أبان بن تغلب بن رباح الكوفي، و محمد بن مسلم الطائفي، و زرارة بن أعين، إلى غير ذلك ممن تكفّلت كتب الرجال بذكرهم، و قد وقفت على أسماء عدّة منهم عند ذكر تلاميذ الإمام الباقر و الصادق (عليهما السلام). (٣)

لقد ألف فقهاء الشيعة و محدّثوهم في تلك الظروف في الكوفة ٦٦٠٠ كتاب،

(١) الطبقات الكبرى: ٦، و قسمهم على تسع طبقات.

(٢) النجاشي: الرجال: ١/١٣٧، رقم ٧٩ و ص ٣٢ من هذا الكتاب.

(٣) لاحظ ص ٤٦ من هذا الكتاب.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٦٨

و لقد امتاز من بينها ٤٠٠ كتاب اشتهرت بالأصول الأربعمائه (١)، فهذه الكتب هي التي أدرجها أصحاب الجوامع الحديثية في كتبهم كما مرّ آنفاً.

و لم تقتصر الدراسة آنذاك على الحديث و التفسير و الفقه بل شملت علوماً أخرى، فأنجبت مؤلفين كباراً صنّفوا كتباً كثيرة في علوم

شّتي، كهشام بن محمد بن السائب الكلبي ألف أكثر من مائتي كتاب، وابن شاذان ألف ٢٨٠ كتاباً، وابن أبي عمير صنّف ١٩٤ كتاباً، وابن دؤال الذي صنّف ١٠٠ كتاب (٢)، و جابر بن حيان أستاذ الكيمياء والعلوم الطبيعية، إلى غير ذلك من المؤلّفين.

٣. مدرسة قم و الري

إشارة

دخل الفرس الإسلام و كان أكثرهم على غير مذهب الشيعة، نعم كانت قم و الري و كاشان و قسم من خراسان مركزاً للشيعة، و قد هاجر الأشعريون - خوفاً من الحجاج - إلى قم و جعلوها موطنهم و مهجرهم، و كانت تلك الهجرة نواة للشيعة في إيران. كانت مدرسة الكوفة مزدهرة بالعلم و الثقافة، إلّا أنّها عانت الويلات من الظلم العباسي ممّا حدا بكبار الفقهاء و المحدثين إلى النزوح عنها، ففي هذه الفترة نحو سنة ٢٥٠ هـ - هاجر إبراهيم بن هاشم الكوفي تلميذ يونس بن عبد الرحمن، و هو من أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) إلى قم، و نشر فيها حديث الكوفيين، فصارت مدرسة قم و الري مزدهرة بعد ذاك بالمحدثين و الرواة الكبار.

(١) وسائل الشيعة: ج ٢٠، الفائدة الرابعة، و قد بينا الفرق بين الكتاب و الأصل في كتابنا «كليات في علم الرجال».

(٢) الطهراني: الذريعة: ١٧/١.

أدوار الفقه الإمامي (للسبعماني)، ص: ٦٩

و قد أضحت مدينة قم مركزاً نشطاً للحديث، و مأوى لموالي أئمة أهل البيت (عليهم السلام) و نخبة من المحدثين و الفقهاء، أمثال:

أ. زكريا بن آدم

قال النجاشي: زكريا بن آدم بن عبد الله بن سعد الأشعري القمي، ثقة جليل، عظيم القدر، و كان له وجه عند الرضا، و له كتاب. يروى محمد بن الحسن الصفار (المتوفى ٢٩٠ هـ-)، عن أحمد بن محمد بن عيسى (المتوفى نحو ٢٨٠ هـ-)، عن محمد بن خالد، عن زكريا بن آدم، و له كتاب مسائله للرضا (عليه السلام). (١)

و على أيّة حال فالرجل من أصحاب الأئمة: الصادق و الرضا و الجواد (عليهم السلام).

ب. سعد بن سعد بن الأحوص بن سعد بن مالك الأشعري القمي.

قال النجاشي: ثقة، روى عن الرضا و أبي جعفر (عليهما السلام) كتابه المبوب، يروى عنه محمد بن خالد البرقي. (٢)

و ذكره الشيخ في «رجال» في أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام)، و قال: سعد بن سعد الأحوص القمي، ثقة. (٣)

(١) النجاشي: الرجال: ٣٩٣ برقم ٤٥٦.

(٢) النجاشي: الرجال: برقم ٤٦٨.

(٣) الطوسي: الرجال: ٣٧٨، فصل أصحاب الرضا، و ذكره الكشي في الرجال: ٤٢٣، برقم ٣٦٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبعماني)، ص: ٧٠

ج. العباس بن معروف، أبو الفضل، مولى جعفر بن عبد الله الأشعري.

قَمِي، ثقة، له كتاب الآداب، وله نوادر. ذكره النجاشي، ثم ذكر سنده بجميع أحاديثه ومصنفاته. («١»)

(١) النجاشي: الرجال: برقم ٧٤١، و ذكره الشيخ في «رجال» برقم ٣٤، في أصحاب الرضا.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٧١

أدوار الفقه الإمامي

٢

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٧٣

الدور الثاني عصر تويب الحديث و منهجة الاجتهاد (٢٦٠-٤٦٠هـ)

إشارة

قد عرفت أن النهج السائد في عصر الأئمة هو نشر الحديث بين الأمة و دعم- م النشاط الاجتهادي، فإن أصحابهم بين محدث يهتمه سماع الحديث و نقله و كتابته دون أن يولي اهتماماً إلى استخراج ما طوى- فيه من أحكام و فروع و هم يشكّلون الأغلبية من أصحاب الأئمة (عليهم السلام)، و محدث واع يتدبّر في الكتاب و السنّة و كلمات أئمة أهل البيت (عليهم السلام) و يستخرج منها ما تحتاج إليه الأمة، فهم يروون أحاديث المعصومين و في الوقت نفسه يظهرون إبداعاتهم و انطباعاتهم عنها، و قد نشأ هذا النهج منذ زمان الإمام سيد الساجدين (عليه السلام) إلى أن بلغ ذروته في عهد الصادقين و الكاظمين إلى عهد الإمام العسكري (عليه السلام)، و في طليعة الذين تبوّوا هذا المنهج محمد بن مسلم، و زرارة بن أعين، و ابن أبي عمير، و يونس بن عبد الرحمن، و الفضل بن شاذان، و غيرهم ممّن قد سبق نقل أسمائهم.

ورث الشيعة هذين المنهجين عن أئمتهم (عليهم السلام) بعد غيبة الإمام الثاني عشر، فأخذوا ببسط الحديث و نشره و جمعه و تدوينه بأحسن ما يرام على نحو يجاوب روح

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٧٤

العصر، كما أخذوا ببث الاجتهاد و إضفاء المنهجية عليه، و السعي وراء المنهج الذي ورثوه عن فقهاء عصر الأئمة (عليهم السلام). و أثمرت الجهود عن ارتقاء المنهجين و تكاملهما على النحو الذي سنستعرضه لك.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٧٥

١ تويب الحديث

إشارة

أمّا المنهج الحديثي، فقد ورث الشيعة الأصول الأربعمئة، و قد كانت مدوّنة بصورة مسانيد حيث قام كلّ راو بتدوين ما سمعه من الإمام، أو عمّن سمعه من الإمام، و قد كان أكثر رواجاً من سائر صور التأليف، فكلّ راو كان يسجّل ما سمعه من الإمام مباشرة، أو بواسطة راو واحد، في كتابه من دون أن يبوّب الروايات و ينظمها كما هو الملموس في ما بقي من تلك الأصول في عصرنا هذا. و لا شكّ أنّ هذا اللون من تدوين الحديث و إن كان له شأن من التقدير، و لكنّه لا يجاوب روح العصر، و لا يبلغ مكانة تدوين الحديث حسب المواضيع و الأبواب.

فأكثر الكتب التي دَوّنت في عهد الأئمة كانت في الترتيب والنظم أشبه بمسانيد أهل السنة، كمسند أحمد بن حنبل و مسند ابن أبي شيبة وغيرهما، فإنّ دأب المؤلف من وراء تأليف المسند كان منصباً على جمع روايات راو واحد في موضع واحد، سواء أ كان بين الروايات تناسب في الموضوع أم لا، لذا فقد أطلق على هذا النوع من التأليف اسم «المسند».

و هذا بخلاف جمع الروايات على حسب المواضيع، فإنّ الذي يروى غلّة أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٧٦

الفقيه هو العثور على كتاب يشمل روايات موضوع واحد في مكان واحد، وقد سبق إلى تأليف هذا اللون من التصنيف نخبة من أصحاب الأئمة في عهدهم، كاليزنطي في جامعهم، والأشعري في نوادره (نوادر الحكمة) و لكن التأليف على هذا الغرار لم يكن على نطاق واسع.

هذا ممّا حدا بالمحدّثين الذين أعقبوه في عصر الغيبة إلى الاستمرار على ذلك النهج، وإليك سرد أسمائهم:

١. محمد بن يعقوب الكليني (٢٦٠ - ٣٢٩ هـ -)

إشارة

الحافظ الكبير، و المحدّث الجليل محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي البغدادي، أبو جعفر، ينسب إلى بيت طيب الأصل في «كلين».

تخرّج على يده عدّة من أفاضل رجالات الفقه و الحديث، منهم: خاله علان الكليني.

كان شيخ الشيعة في وقته في الري و وجههم، ثمّ سكن بغداد بباب الكوفة، و حدّث بها سنة (٣٢٧ هـ). بعد ما طاف الشام و نزل بعلبك و حدث بها كما ذكره ابن الجوزي في المنتظم و قد أدرك زمان سفراء المهدي، و جمع الحديث من شَرَعه و مورده، و قد انفراد بتأليف كتاب «الكافي» في أيامهم، ألفه في مدّة قاربت العشرين سنة، و كان مجلسه مثابة أكابر العلماء الراحلين في طلب العلم، كانوا يحضرون حلقاته لمذاكرته و مفاوضته و التفقّه عليه، و قد قام بترجمته كثير من الرجاليين و المؤلفين في التراجم. («١»)

هذا و قد تضافر الثناء على الكليني منذ عصره إلى يومنا هذا من السنة و الشيعة، و إليك بعض ما قيل فيه:

(١) و تجد له ترجمة في الكامل لابن الأثير: ٨ / ١٢٧؛ لسان الميزان: ٥ / ٤٣٣.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٧٧

قال الشيخ الصدوق في ترجمته: الشيخ الفقيه محمد بن يعقوب الكليني. («١»)

و قال النجاشي: شيخ أصحابنا في وقته بالري و وجههم، و كان أوثق الناس في الحديث و أثبتهم. («٢»)

و قال الطوسي: ثقة عارف بالأخبار، جليل القدر. («٣»)

و أثنى عليه الذهبي بقوله: شيخ الشيعة و عالم الإمامية، صاحب التصانيف، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني. («٤»)

و للإيعاز إلى مكانة الشيخ الكليني و تأثيره في الجيل اللاحق، نأتى بمشايخه و الرواة عنه.

مشايخه

روى الكليني عن عدد كثير جداً من علماء أهل البيت و رجالهم و محدّثيهم بما يضيق المجال بذكرهم، و نقتصر على مشاهيرهم:

١. أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار القمي، صاحب كتاب: «بصائر الدرجات» (المتوفى ٢٩٠ هـ).

٢. أبو علي أحمد بن إدريس بن أحمد الأشعري القمي (المتوفى عام ٣٠٦ هـ).
 ٣. أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم، صاحب التفسير المعروف (المتوفى نحو عام ٣٠٨ هـ).

- (١) الفقيه: ١٦٥ / ٤، برقم ٥٧٨.
 (٢) النجاشي: الرجال: برقم ١٠٢٦.
 (٣) الشيخ: الفهرست: برقم ٥٩١.
 (٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٢٨٠ / ١٥.
 أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٧٨
 ٤. أبو جعفر محمد بن يحيى العطار الأشعري (المتوفى نحو عام ٣٠٠ هـ).
 إلى غير ذلك من مشايخ الحديث و فطاحله.

تلاميذه و الرواة عنه

و أما تلاميذه و الرواة عنه فحدث عنهم و لا حرج، فمنهم على سبيل المثال:

١. أبو الحسين أحمد بن علي بن سعيد الكوفي، المعروف ب- «ابن عقدة» (المتوفى عام ٣٣٣ هـ).
 ٢. أبو غالب أحمد بن محمد بن محمد بن سليمان بن الحسن بن الجهم بن بكير بن أعين بن سنسن الزراري (٢٨٥ - ٣٦٨ هـ).
 ٣. أبو القاسم جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى بن قولويه، صاحب «كامل الزيارات» (المتوفى عام ٣٦٧ هـ).
 ٤. أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النعماني (المتوفى عام ٣٤٠ هـ)، المعروف ب- «ابن أبي زينب» كان خصيصاً به يكتب كتابه «الكافي».
 إلى غير ذلك ممن يروى عنه تجد أسماءهم مبسوطه في مقدمه كتاب «الكافي» بقلم الأستاذ حسين علي محفوظ البغدادي.
 و كفاك في جلاله هذا الجامع ان الشيخ المفيد يصفه بقوله: من أجل كتب الشيعة و أكثرها فائدة. («١»)
 و قال الشهيد محمد بن مكي في إجازته لابن الخازن: كتاب الكافي في الحديث الذي لم يعمل للإمامية مثله. («٢»)

- (١) المفيد: تصحيح الاعتقاد: ٢٧.
 (٢) بحار الأنوار: ١٠٤ - ١٩٠، الإجازات.
 أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٧٩
 و قد شرحه كثير من العلماء، و هو بين مطبوع و مخطوط، كما و ترجم إلى لغات مختلفه.
 قال النجاشي: مات (رحمه الله) ببغداد سنة (٣٢٩ هـ) سنة تناثر النجوم، و صلى عليه محمد بن جعفر الحسنی و دفن في باب الكوفة.
 («١»)

٢. محمد بن بابويه القمي (٢٠٦ - ٣٨١ هـ)

إشارة

المحدث الكبير محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، أبو جعفر، نزيل الري، مصنف كتاب «من لا يحضره الفقيه».

و ينتمى إلى أسرة بنى بابويه، و هى من بيوتات القميين الذين ذاع صيتهم بالعلم و الفضيلة، و أنجبت أفذاذاً مصلحين، و عباقرة مرشدين، أدوا رسالاتهم على أحسن وجه، و خدموا مبدأهم بأمانة و إخلاص، فاستحقوا بذلك كلَّ تعظيم و تبجيل، و خلدهم التاريخ بإكبار، و حفظ آثارهم بكلِّ فخر.

قال العلامة السيد بحر العلوم فى «الفوائد الرجالية»: ولد بعد وفاة العمري فى أوائل سفارة الحسين بن روح، و قد كانت وفاة العمري سنة ٣٠٥ هـ، فيكون قد أدرك من الطبقة السابعة فوق الأربعين، و من الثامنة إحدى و ثلاثين، و يكون عمره نيفاً و سبعين سنة، و مقامه مع والده و مع شيخه الكليني فى الغيبة الصغرى نيفاً و عشرين سنة، فإن وفاتهما سنة ٣٢٩ هـ و هى سنة وفاة السمري آخر السفراء. (٢١)

و على هذا فقد عاصر الشيخ الصدوق سفيرين من السفراء الأربعة هما: الحسين بن روح و السمري، و على أية حال فمحدثنا الكبير شخصية فذة و رث المجد و العلى من بيت عريق فى العلم و الورع، و قد عرّفه العلماء بإجلال و إكبار.

(١) النجاشى: الرجال: ٢ / ٢٩٢.

(٢) بحر العلوم: الفوائد الرجالية: ٣ / ٣٠١.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٨٠

قال النجاشى: شيخنا و فقيهنا و وجه الطائفة بخراسان، كان ورد بغداد سنة ٣٥٥ هـ، و سمع منه شيوخ الطائفة و هو حدث السن، ثم ذكر فهرست كتبه.

يقول العلامة: كان جليلاً، حافظاً للأحاديث، بصيراً بالرجال، ناقلاً للأخبار، لم يُر فى القميين مثله فى حفظه و كثرة علمه، و له نحو من ثلاثمائة مصنف.

مشايخه

و قد شدّ الرحال لتحمل الرواية و الحديث إلى مختلف الحواضر العلمية فى القرن الرابع كبغداد، و الكوفة و الرى و قم و نيسابور و طوس و بخارى، و هو و إن سافر إلى تلك البلدان لأخذ الحديث، لكنّه أيضاً حدّث بها، و قد أحصى شيخنا النورى فى خاتمة «مستدرکه» مشايخه الذين أخذ منهم الحديث فبلغ ٢١١ محدثاً، و إليك أسماء بعضهم:

١. أبو على أحمد بن الحسن بن عبد ربّه القطان الرازى عزّفه المترجم له فى كتابه «كمال الدين» ص ٤٠ بقوله: و هو شيخ كبير من أصحاب الحديث.

٢. أحمد بن على بن إبراهيم بن هاشم القمى.

٣. أحمد بن محمد بن يحيى العطار الأشعري القمى.

٤. جعفر بن محمد بن موسى بن قولويه القمى المتوفى (٣٦٧ هـ).

٥. الحسين بن أحمد الحاكم البيهقى.

٦. على بن أحمد بن مهزيار.

٧. محمد بن حسن بن أحمد بن الوليد القمى (المتوفى ٣٤٣ هـ) و هو من أكبر مشايخه. إلى غير ذلك.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٨١

١. الحسين بن علي بن موسى بن بابويه القمي - أخو المترجم -.

٢. محمد بن محمد بن النعمان المفيد.

٣. علي بن أحمد بن العباس - والد الشيخ النجاشي -.

٤. أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز، صاحب كتاب «كفاية الأثر».

٥. أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله بن إبراهيم الغضائري.

٦. أبو الحسن جعفر بن الحسن حسكة القمي.

٧. أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن شاذان القمي.

كما أنه روى عن شيخنا المترجم أفذاذ من أهل الحديث الذين أصفقت معاجم التراجم على ذكرهم بكل جميل، وقد أنهبهم محقق

كتاب «الفقيه» إلى عشرين. (١)

توفي في الري عام ٣٨١ هـ، وقبره هناك معروف يزار.

٣. محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ)

إشارة

الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، نسبة إلى طوس من مدن خراسان التي هي من أقدم بلاد فارس و أشهرها، و كانت- و لا تزال- من مراكز العلم و الثقافة، و أن فيها قبر الإمام علي الرضا (عليه السلام) ثامن أئمة الشيعة الاثني عشرية، فصارت مهوى أفئدتهم يقصدونها من الأماكن الشاسعة و البلدان النائية.

(١) انظر مقدمة «من لا يحضره الفقيه».

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٨٢

ولد الشيخ في طوس في شهر رمضان سنة ٣٨٥ هـ - أي بعد أربع سنين من وفاة الشيخ الصدوق، و هاجر إلى العراق فهبط بغداد سنة ٤٠٨ هـ - و هو ابن ٢٣ عاماً، و كان زعيم الشيعة آنذاك، شيخ الأمة محمد بن محمد بن النعمان الشهير ب- «المفيد» فلازمه ملازمة الظل لذي الظل، و عكف على الاستفادة منه إلى حدّ توقّف لشرح كتاب أستاذه «المقنعة» و هو بعد لم يناهز الثلاثين.

و لما انتقل الشيخ المفيد إلى رحمة الله، عكف على بحوث السيد المرتضى، و لازم حضوره طيلة ٢٣ سنة حتى توفي السيد لخمس بقين من شهر ربيع الأول عام ٤٣٦ هـ، فاستقل شيخ الطائفة بالإمامة، و ظهر على منصّة الزعامة، و كانت داره في «الكرخ» مأوى الأمة و ملجأ روّاد العلم، يأتونها لحلّ المشاكل، و إيضاح المسائل، و قد ذاع صيته، و علا مقامه، ممّا حدا بخليفه عصره القائم بأمر الله أن يجعل كرسى الكلام له، و كان لهذا الكرسي يومذاك عظمة و قدر فوق ما يوصف.

و كان الشيخ يدرّس و يرّبي إلى أن ضاقت به الأمور، و ثارت الفلاقل بشن طغول بيك أول ملوك السلاجقة حملة شعواء على الشيعة، و أمر بإحراق مكتبة الشيعة التي أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهية، و كانت يومذاك من دور العلم المهمة في بغداد، و نافذ كتبها على عشرة آلاف من جلائل الآثار.

حتى توسّعت الفتنة و اتجهت إلى بيت الشيخ الطوسي و أصحابه، فأحرقوا كتبه و كرسيه الذي كان يجلس عليه، فلم يجد الشيخ بداً إلّا مغادره بغداد إلى النجف الأشرف لائذاً بجوار مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام)، فأسّس فيها حوزة علمية كبيرة، تقاطر إليها الفضلاء من شتى الأقطار، و بقيت تلك الحوزة على مَرّ الدهور إلى يومنا هذا تشع نوراً، و تربّي جيلاً بعد جيل من العلماء لا يحصى عددهم إلّا

اللّٰه سبحانه.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٨٣

و قد ترك الطوسي تراثاً علمياً في شتى الموضوعات، كالكلام و الفقه و الرجال و الحديث.
و كتاباه الجامعان: «التهديب» و «الاستبصار» هما من الأصول الثانوية الأربعة.

مشايخه

فقد تخرّج على يد عدّة من جهابذة العلم الذين كانت تشد إليهم الرحال لتحمل الرواية من مختلف الحواضر الإسلامية، حتى أنهم السيد المحقّق البروجردى فى مقدّمته على كتاب «الخلاف» إلى قرابة ثلاثين شيخاً. و من بين شيوخه يعد الشيخ المفيد من أعظمهم، فقد ارتشف من معين علمه سنين طوالاً.

و إليك سرد أسماء جملة منهم:

١. أحمد بن عبد الواحد، المعروف بـ «ابن الحاشر» و «ابن عبدون» (٣٣٠-٤٢٣ هـ).

٢. أحمد بن محمد بن موسى المعروف بـ «ابن الصلت» المتوسط بينه و بين ابن عقدة (٣١٧-٤٠٩ هـ).

٣. أبو الحسن جعفر بن الحسين بن حسكة القمى المتوسط بينه و بين ابن بابويه.

٤. الحسن بن إبراهيم بن أحمد بن الحسن بن محمد بن شاذان، أبو على البزاز المتكلم.

٥. أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى الفحام السامرائى (المتوفى ٤٠٨ هـ).

٦. الشيخ أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله الغضائرى (المتوفى ٤١١ هـ).

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٨٤

٧. أبو عمرو عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مهدي بن خشنام (٣١٨-٤١٠ هـ).

٨. أبو الحسن على بن أحمد بن عمر بن حفص المقرئ، المعروف بـ «ابن الحمامي» (٣٢٨-٤١٧ هـ).

٩. أبو الحسين على بن أحمد بن محمد بن طاهر بن الحسن بن أبى عبيد الأشعري القمى، الراوى عن ابن الوليد و أحمد بن محمد بن يحيى.

١٠. الشريف الطاهر ذو المجدين أبو القاسم على بن الحسين المعروف بالسيد المرتضى (٣٥٥-٤٣٦ هـ).

١١. أبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران.

١٢. أبو الحسين محمد بن أحمد بن شاذان القمى.

١٣. أبو زكريا محمد بن سليمان الحرمانى، المتوسط بينه و بين أبى جعفر ابن بابويه (الصدوق).

١٤. أبو الحسن محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد البزاز البغدادي (٣٢٩-٤١٩ هـ).

١٥. أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالمفيد (٣٣٦-٤١٣ هـ).

١٦. أبو الفتح هلال بن محمد بن جعفر (٣٢٢-٤١٤ هـ).

تلاميذه و الرواة عنه

استقطب شيخنا الطوسى رواد العلم بعد رحيل السيد المرتضى حتى أخذ يحضر مجلس درسه جهابذة العلم من كلا الفريقين، و لا يمكننا سرد أسماء جميع

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٨٥

من تتلمذ عليه، بل نشير إلى أسماء المشاهير منهم:

١. أحمد بن الحسين بن أحمد النيسابوري الخزاعي، جد والد أبي الفتح الرازي.
 ٢. الشيخ تقي بن النجم أبو الصلاح الحلبي، صاحب كتاب «الكافي».
 ٣. الحسن بن الحسين بن علي بن بابويه، المعروف ب- «حسكا».
 ٤. القاضي عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البراج، صاحب كتاب: «الكامل» و «المهذب» و «الموجز» و «الجواهر» في الفقه.
 ٥. الشيخ الإمام الثقة أبو الفتح محمد بن علي الكراچكي.
 ٦. شهر آشوب بن أبي نصر المازندراني، جد محمد بن علي بن شهر آشوب مؤلف «المناقب». إلى غير ذلك ممن قرأ عليه و تخرّج على يديه، و قد ذكر الشيخ منتجب الدين في «فهرسته» و غيره أسماء الكثير منهم.
- إلى هنا تمّ الكلام حول تدوين الحديث بصورة منهجية و لا- أقول إنّ المدوّن على هذا النمط منحصر بالكتب الأربعة، و لكن المعروف بهذه الصبغة هي الكتب الأربعة.
- بقيت هنا نكتة جديرة بالإشارة، و هي أنّ المحدثين- كما أوعزنا إليهم في صدر البحث- لم يسيروا على نمط واحد، بل انقسموا على أنفسهم إلى قسمين، فمنهم من صبّ اهتمامه على الجمع و التدوين فقط دون التعمق و إعمال النظر، و منهم من ضم إلى التدوين إعمال الفكر و النظر في تمحيص السنّة الصحيحة عن الموضوعه، و قد دام النزاع بينهما مدّة لا يستهان بها إلى أن أطفأ جذوتها الشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣هـ) في عصره و قلع فكرة الجمود على نقل الخبر من دون أي تمحيص و نظر.
- أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٨٦

مدرسة أهل الحديث

كلّما أطلق أهل الحديث أو أهل الخبر أو الأخبارية يراد منه من يمارس تدوين و نقل السنن النبوية و أخبار العترة الطاهرة، و لم يكن لهم مذهب خاص باسم مذهب أهل الحديث، بل نهج أصحابنا نهجين:

١. نقل الحديث من كلّ من هبّ و دب دون فرق بين الثقة و غيره، و هم المعروفون بالإكثار عن الضعفاء.
٢. نقل الحديث عن الثقة دون الضعيف مع إعمال النظر في السند، و هم مشايخ الشيعة و كبار مراجعهم في الحديث.

فمن الصنف الأوّل:

١. سهل بن زياد، أبو سعيد الأدمي الرازي، كان ضعيفاً في الحديث، غير معتمد فيه، و كان أحمد بن محمد بن عيسى يشهد عليه بالغلو و الكذب، و أخرجه من قم إلى الري، و كان يسكنها و قد كاتب أبا محمد العسكري (عليه السلام) على يد محمد ابن عبد الحميد العطار للنصف من شهر ربيع الآخر سنة ٢٥٥هـ، ذكر ذلك أحمد بن علي بن نوح و أحمد بن الحسين رحمهما الله. (١)
 ٢. أحمد بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي البرقي، أبو جعفر، أصله كوفي. و كان ثقة في نفسه يروي عن الضعفاء و اعتمد المراسيل، توفّي عام ٢٧٤هـ.
- و نقل العلامة الحلّي عن ابن الغضائري: طعن عليه القميون، و ليس الطعن فيه و إنّما الطعن فيمن يروي عنه، فإنّه كان لا يبالي عمّن أخذ على طريقة أهل

(١) النجاشي: الرجال: ترجمه ٤٨٨.

الأخبار، و كان أحمد بن محمد بن عيسى أبعد عن قم، ثم أعاده إليها و اعتذر إليه، و لما توفي مشى أحمد بن محمد بن عيسى في جنازته حافياً حاسراً، ليرى نفسه ممّا قذفه به. («١»)

٣. عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الجلودى البصرى، أبو أحمد شيخ البصرة و أخباريها، و كان عيسى الجلودى من أصحاب أبي جعفر (عليه السلام)، ثم ذكر أسماء كتبه الكثيرة. («٢»)

٤. محمد بن زكريا بن دينار مولى بنى غلاب، قال النجاشى: و كان هذا الرجل وجهاً من وجوه أصحابنا فى البصرة، و كان أخبارياً، واسع العلم، و صنّف كتباً كثيرة، توفي عام ٢٩٨ هـ. («٣»)

٥. أحمد بن إبراهيم بن المعلى بن أسد العمى، قال النجاشى: كان ثقةً فى حديثه، حسن التصنيف، و أكثر الرواية عن عامة الأخباريين. («٤»)

هذه نماذج من الصنف الأول، و إليك نماذج من الصنف الثانى ممّن كانوا لا يروون إلّا بعد إتقان الحديث، نخص منهم بالذكر ما يلى:

١. أحمد بن محمد بن عيسى، يقول النجاشى: أول من سكن قم من آبائه، سعد بن مالك بن الأوص - إلى أن قال: - و أبو جعفر (رحمه الله) شيخ القميين و وجههم و فقيهم غير مدافع و له كتب. و لقي الرضا، و لقي أبا جعفر الثانى و أبا الحسن العسكرى (عليهما السلام). و («٥») قد عرفت أنّ الرجل أخرج بعض المحدثين من قم، لكثرة

(١) ابن المطهر: الرجال: قسم المعتمدين، باب أحمد، برقم ٧.

(٢) النجاشى: الرجال: برقم ٦٣٨.

(٣) النجاشى: الرجال: برقم ٩٣٧.

(٤) النجاشى: الرجال: برقم ٢٣٧.

(٥) النجاشى: الرجال: برقم ١٩٦.

أدوار الفقه الإمامي (للسبعماني)، ص: ٨٨

روايتهم عن الضعفاء.

٢. محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، أبو جعفر شيخ القميين، و فقيهم، و متقدمهم و وجههم، و يقال أنّه نزيل قم، و ما كان أصله منها، ثقة، عين مسكون إليه، له كتب، منها: تفسير القرآن، و كتاب الجامع، توفي سنة ٣٤٣ هـ. («١»)

و قد اعتمد الصدوق على تصحيحه و تجريحه، و قال فى ذيل خبر صلاة الغدير: إنّ شيخنا محمد بن الحسن كان لا يصحّحه، و يقول: إنّ من طريق محمد ابن يونس الهمدانى و كان غير ثقة، و كلّ ما لم يصحّحه ذلك الشيخ و لم يحكم بصحته من الأخبار، فهو عندنا متروك غير صحيح. («٢»)

٣. على بن الحسين بن موسى بن بابويه القمى، أبو الحسن شيخ القميين فى عصره و متقدمهم و فقيهم و ثقتهم، توفي عام ٣٢٩ هـ. إنّ من تصفّح كتب الشيخ الصدوق يجد أنّه يروى عن أبيه أكثر من غيره، و أنّ ما يرويه عن أبيه قد يقرب من مجموع ما رواه عن غيره.

هذه نماذج من الصنف الثانى، و كم له من نظير:

كسعد بن عبد الله القمى (المتوفى ٣٠١ هـ) و الشيخ الكلينى (المتوفى ٣٢٩ هـ) و جعفر بن محمد بن قولويه (المتوفى ٣٦٧ هـ) و الصدوق الثانى (المتوفى ٣٨١ هـ) إلى غير ذلك من كبار المحدثين.

هذا موجز الكلام فى المنهجين السائدين عند المحدثين.

- (١) النجاشي: الرجال: برقم ١٠٤٣.
 (٢) المامقاني: تنقيح المقال: ٣/ ١٠٠.
 أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٨٩

٢ مدرسة الاجتهاد

إشارة

قد ذكرنا سابقاً أنّ الإمامية ورثت خطين، خطّ ممارسة الحديث و تدوينه و نشره دون منهجية، و خطّ ممارسة الاجتهاد الذي بذرت بذرته في عصر الإمام السجاد (عليه السلام) ثمّ نمت في عصر الصادقين (عليهما السلام) فنبغ فقهاء كبار، كزرارة، و ابن أبي عمير، و يونس بن عبد الرحمن، و الفضل بن شاذان، و غيرهم من المجتهدين المفتين، كما عرفت أنّ للفضل بن شاذان بل لشيخه يونس بن عبد الرحمن إبداعاً في كتابة الفقه، كما أنّ لزرارة ذلك النمط أيضاً، فلم يكونوا ملتزمين في مقام الإفتاء بنقل نص الرواية، و هذا هو الكليني يذكر فتاوى زرارة في «الكافي» (١) و قد مرّت نصوصها. (٢)

و قد ورثت الإمامية ذينك الخطين من أسلافهم فبرعوا في إضفاء المنهجية على نقل الحديث و نقده، كما برعوا في اضعافها على أسس الاجتهاد و تطويره، فقد استمر خط الاجتهاد باستمرار الحديث، و يكفيك في ذلك ما ذكره المحقق في «المعتبر» حيث يعطف فقهاء الدور الثاني على فقهاء الدور الأوّل و يقول:

لما كان فقهاؤنا رضى الله عنهم في الكثرة إلى حدّ يعسر ضبط عددهم، و يتعدّد حصر أقوالهم لاتساعها و انتشارها و كثرة ما صنّفوه، و كانت مع ذلك

(١) الكليني: الكافي: ٧/ ٩٧ و ١٠٠.

(٢) مرّت فتاوى زرارة ص ٥٨-٥٩.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٩٠

منحصرة في أقوال جماعة من فضلاء المتأخرين، اجتزأت بإيراد كلام من اشتهر فضله و عرف تقدّمه في الأخبار و صحّة الاختيار و جودة الاعتبار، و اقتصرت من كتب هؤلاء الأفاضل على ما بان فيه اجتهادهم و عرف به اهتمامهم و عليه اعتمادهم، ممّن اخترت نقله: الحسن بن محبوب، و محمد بن أبي نصر البزنطي، و الحسين بن سعيد، و الفضل بن شاذان، و يونس بن عبد الرحمن؛ و من المتأخرين: أبو جعفر محمد بن بابويه القمي رضى الله عنه، و محمد بن يعقوب الكليني.

و من أصحاب كتب الفتاوى: على بن بابويه، و أبو على بن الجنيد، و الحسن بن أبي عقيل العماني، و المفيد محمد بن محمد بن النعمان، و علم الهدى، و الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي. (١)

تجد أنّ المحقق يصف جميع من سّمّاهم بالفقهاء، نعم خصّ طائفة منهم بأهل الفتوى الذين يرجع إليهم الشيعة في أخذ الحكم، كعلى بن بابويه الذي ألف رسالته «الشرائع»، و الحسن بن أبي عقيل العماني الذي ألف رسالته عملية، يقول النجاشي في حقّها: ما ورد الحاج من خراسان إلّا و اشتراها، و المفيد محمد بن محمد ابن النعمان مؤلّف «المقنعة» و غيرهم.

و هذه الوثيقة التاريخية تؤكد لنا وجود الاجتهاد بين أصحاب الأئمة (عليهم السلام) و أنّه لم يكن وليد الصدفة.

نعم صارت الغيبة سبباً لحرمانهم من زيارة الإمام عن كتب ممّا حدا إلى إنهاض الهمم بغية إعمال الفكر و تقوية ملكة الاجتهاد

للإجابة على المستجدات من الأحكام، فقد قيل: إن الفقر أبو الصنائع، و الحاجة أم الاختراع. وها تقوم الآن باستعراض

طائفة من المجتهدين عقب عصر الغيبة إلى عصر الشيخ الطوسي.

إشارة

(١) نجم الدين الحلبي: المعبر: ٣٣ / ١.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٩١

١. إبراهيم بن محمد الثقفي (المتوفى ٢٨٣ هـ)

يعرفه النجاشي بقوله: «إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال بن عاصم بن سعد بن مسعود الثقفي، أصله كوفي. و سعد بن مسعود أخو أبو عبيد بن مسعود، عم المختار، كان زدياً أولاً، ثم انتقل إلينا، و يقال ان جماعة من القميين، كأحمد ابن محمد بن خالد وفدوا إليه و سألوه الانتقال إلى قم فأبى، ثم ذكر سبب خروجه من الكوفة و أسماء تأليفاته، منها: الجامع الكبير في الفقه، توفي عام ٢٨٣ هـ. (١)» و طبع من كتبه «الغارات» و هو كتاب قيم.

٢. سعد بن عبد الله القمي (المتوفى ٢٩٩ هـ)

سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي، المكنى بأبي القاسم، شيخ هذه الطائفة و فقيها و وجهها، كان قد سمع من حديث العامة شيئاً كثيراً، و سافر لطلب الحديث، لقي من وجوههم، و صنّف كتباً كثيرة. (٢)» و قال الشيخ: فمن كتبه: كتاب «الرحمة» و هو يشتمل على كتب، منها: كتاب الطهارة، و كتاب الصلاة، و كتاب الزكاة، و كتاب الصوم، و كتاب جوامع الحج. (٣)» و قد قرأ عليه أبو القاسم جعفر بن قولويه. نقل النجاشي، عن الحسين بن عبيد الله (ابن الغضائري) قال: جئت بالمنتخبات إلى أبي القاسم بن قولويه أقرأها عليه، فقلت: حدّثك سعد، فقال: لا، بل حدّثني أبي و أخى عنه، و أنا لم أسمع من سعد إلّا حديثين. (٤)»

(١) النجاشي: الرجال: برقم ١٨.

(٢) النجاشي: الرجال: برقم ٤٦٥.

(٣) الطوسي: الفهرست: برقم ٣١٨.

(٤) النجاشي: الرجال: برقم ٤٦٥.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٩٢

٣. محمد بن أحمد الصابوني (المتوفى نحو ٣٢٠ هـ)

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليم الجعفي الكوفي، المعروف ب- «أبي الفضل الصابوني» و المشهور بين الفقهاء ب- «صاحب

الفاخر» و «الجعفي» أيضاً على الإطلاق من قدماء أصحابنا و أعلام فقهاءنا من أصحاب كتب الفتوى، و من كبار الطبقة السابعة، ممن أدرك الغيتين الصغرى و الكبرى، عالم فاضل فقيه، عارف، له كتب، منها: كتاب «الفاخر» المذكور، و هو كتاب كبير يشتمل على الأصول و الفروع و الخطب و غيرها، و كتاب «تفسير معاني القرآن» و كتاب «المحبر» و كتاب «التحبير». (١)

قال النجاشي بعد ذكر اسمه: سكن مصر و كان زيدياً ثم عاد إلينا، و كانت له منزلة بمصر، ثم ذكر سنده إلى كتبه، و قال: أخبرنا أحمد بن علي بن نوح، عن جعفر بن محمد (المتوفى ٣٦٧ هـ) قال: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ببعض كتبه. (٢)

و أمّا طبقته، فقد عرفت أنّ النجاشي نقل كتبه عنه عن طريق جعفر بن محمد ابن قولويه المتوفى عام ٣٦٧ هـ، فيكون في طبقته مشايخه، كالكليني و علي بن بابويه و غيرهما.

نعم عدّه الشيخ في «رجاله» من أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) المتوفى عام ٢٥٤ هـ، و علي ذلك (٣) فيكون متقدماً على الكليني بقليل، فلو افترضنا أنّه من مواليد ٢٤٠ هـ - يكفي في عدّه من أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) لقاؤه غير مرّة، و توفي عام ٣٢٠ هـ، فيكون له من العمر ٨٠ عاماً، و الله العالم.

(١) بحر العلوم: الفوائد الرجالية: ٣ / ١٩٩.

(٢) النجاشي: الرجال: برقم ١٠٢٣.

(٣) الطوسي: الرجال: ٤٢٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٩٣

و قال الشيخ: له كتب كثيرة، فمنها كتاب «المتخير»، و كتاب «التخير»، (١) و كتاب «الفاخر» و كان من أهل مصر، أخبرنا بجميع كتبه أحمد بن عبدون عن أبي علي كرامة بن أحمد بن كرامة البرزاز و أبي محمد الحسن بن محمد الخيزراني المعروف بابن أبي العساف المغافري عنه بجميع رواياته. (٢)

و قد نقل السيد بحر العلوم بعض فتاويه عن غاية المراد، منها: القول بالمواسعة في قضاء الصلاة اليومية.

و منها: القول بالتفصيل في البئر، و الفرق فيها بين القليل و الكثير، و تحديد الكثرة بالذراعين في الأبعاد الثلاثة.

و منها: الاجتزاء بالشهادة الواحدة في التشهد الأول و بالتسليم الأول من التسليم الواجب.

و يظهر م (٣) ن الفتاوى المنقولة عنه أنّه كان يفرغ الفتاوى في قوالب خاصة، و لم يكن ملتزماً بالمنصوص، و كان ذلك استمراراً لما رسمه زرارة و يونس بن عبد الرحمن و الفضل بن شاذان.

٤. الحسن بن أبي عقيل (المتوفى نحو ٣٢٩ هـ)

الحسن بن علي بن أبي عقيل، أبو محمد العماني (٤) و صفه النجاشي بقوله: الحداء، فقيه متكلم ثقة، له كتب في الفقه و الكلام، منها: كتاب «التمسك بحبل آل الرسول» كتاب مشهور في الطائفة، و قيل ما ورد الحاج من خراسان إلّا طلبه

(١) و قد مرّ ص ٩٢ أنّ النجاشي عبّر عنه بالمحبرة و التحبير.

(٢) الطوسي: الفهرست، باب من عرف بكنيته، برقم ٨٩٨.

(٣) بحر العلوم: الفوائد الرجالية: ٣ / ٢٠٣.

(٤) عمان كغراب المعروفة في هذه الأيام بسلطنة عمان.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٩٤

و اشترى منه نسخاً، و سمعت شيخنا أبا عبد الله (رحمه الله) يكثر الثناء على هذا الرجل.

و قرأت كتابه المسمى كتاب «الكرّ و الفرّ» على شيخنا أبي عبد الله.

و أمّا طبقتة فهو في طبقة الكليني (المتوفى عام ٣٢٩ هـ) لأنّ ابن قولويه المتوفى عام ٣٦٧ هـ من تلامذة الكليني ينقل عنه بالإجازة،

قال النجاشي (عن أبي القاسم جعفر بن محمد): كتب إليّ الحسن بن أبي عقيل يجيز لي كتاب «التمسك» و سائر كتبه. (١)

و يحتمل تقدم طبقتة على الكليني بشيء يسير، و ذلك لأنّ ابن قولويه ممن يروي عن سعد كما تقدّم، فيكون ابن أبي عقيل في طبقة

سعد بن عبد الله القمي الذي توفى في عام ٣٠١ هـ أو ٢٩٩ هـ، فمن المحتمل أن يكون متقدماً على الكليني بقليل.

و يصفه العلامة الحلّي بقوله: فقيه ثقة متكلم، له كتب في الفقه و الكلام، منها: كتاب «التمسك بحبل آل الرسول» كتاب مشهور

عندنا، و نحن نقلنا أقواله في كتبنا الفقهية، و هو من جملة المتكلمين و فضلاء الإمامية. (٢)

ثم إنّ كتبه و إن لم تبق بصورتها، و لكن بقيت بمادتها، فقد أورد العلامة الحلّي و غيره أقواله في كتبهم الفقهية، و أخص بالذكر

كتاب «المختلف» للعلامة الحلّي، و لأجل ذلك قام مركز المعجم الفقهي في مدينة قم باستخراج آرائه من الكتب الفقهية المتوفرة و

نشرها في مجلد واحد.

ثم إنّ المعروف أنّ ابن أبي عقيل أول من هدّب الفقه و استعمل النظر و فتق البحث عن الأصول و الفروع في ابتداء الغيبة الكبرى، و

بعده الشيخ الفاضل ابن

(١) رجال النجاشي: ١/ ١٥٤ برقم ٩٩.

(٢) ابن المطهر: الخلاصة: ٤٠.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٩٥

الجنيد، و قد ذكره غير واحد من العلماء. (١)

و نقله أيضاً مؤلف «الكنى و الألقاب». (٢)

و لكنك عرفت أنّ ذلك أمر لا واقع له، بل كان خط الاجتهاد رائجاً منذ عصر الصادقين (عليهما السلام) إلى يومنا هذا، و ذكرنا أيضاً

أسماء الفقهاء ممن تقدّموا عليه كالفضل بن شاذان و من بعده.

و مع الأسف أنّ سيرة ابن أبي عقيل قد اكتنفها كثير من الغموض، فلا نعرف بالضبط أسماء أساتذته و تلامذته، و الظاهر أنّه كان فقيهاً

بعمان، و كانت الصلة بينه و بين الحواضر العلمية ضعيفة، و لأجل ذلك ينقل عنه فتويان شاذتان ما أفنى بهما غيره إلّا القليل، كعدم

انفعال الماء القليل بمجرّد الملاقاة، و من قرأ في صلاة السنن في الركعة الأولى ببعض السورة و قام في الركعة الأخرى ابتداءً من حيث

قرأ و لم يقرأ بالفاتحة. (٣)

إنّ لابن أبي عقيل فتاوى أخرى شاذة، كالتالي:

أ. عدم وجوب طواف النساء.

ب. عدم اشتراط رضی المرأة في نكاح بنت أخيها و بنت أختها عليها.

و لعلّ مرجع الأخير هو العمل بعموم قوله: (وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَهُ دَلِكُمْ) (٤) في نكاح بنت الأخ و الأخت، و لا شكّ أنّ الفقه المبني

على الأخذ بالعموم و الغفلة عن المخصص و المقيد يخلق فجوة عميقة فيه.

(١) الأفندي التبريزي: رياض العلماء: ١/ ٢٠٣.

(٢) الكنى و الألقاب: ١/ ١٩٠.

(٣) بحر العلوم: الرجال: ٢/ ٢١٤.

(٤) النساء: ٢٤.

أدوار الفقه الإمامي (للسبغاني)، ص: ٩٦

و من مبانيه الفقهية أيضاً عدم الأخذ بخبر الواحد، يقول المحقق التستري: و كان لا- يعمل إلا بالأخبار المتواترة إلا أنه كالمفيد و المرتضى يدعى التواتر كثيراً في ما لا تواتر فيه، كادعاء الإجماع في ما لا إجماع فيه. (١١)

٥. علي بن أحمد الكوفي (المتوفى ٣٥٢ هـ)

علي بن أحمد، أبو القاسم الكوفي صنف كتباً كثيرة، منها: كتاب «الفقه» على ترتيب المزني. (٢٠)
قال الشيخ الطوسي: علي بن أحمد الكوفي يكنى أبا القاسم، كان إمامياً، مستقيم الطريقة، و صنف كتباً كثيرة سديدة، منها: كتاب «الأوصياء» و كتاب في الفقه على ترتيب المزني، ثم خلط. (٣٠)

٦. علي بن بابويه الصدوق الأول (المتوفى ٣٢٩ هـ)

عزفه النجاشي بقوله: «علي بن بابويه القمي، أبو الحسن شيخ القميين في عصره و متقدمهم، و فقيهم و ثقتهم، ثم ذكر أسماء كتبه التي منها: كتاب «الشرائع» و هي الرسالة إلى ابنه» (٤٠)، و من المحتمل جداً أنه نفس كتاب فقه الرضا، و هو متن فقهى يشتمل على أكثر الأبواب و المسائل، و هو كتاب بدیع يعرب عن أن المؤلف كان خبيراً بالأخبار، فقد استخرج الفتاوى منها بعد تخصيص العام

(١) التستري: قاموس الرجال: ٣/ ١٩٨.

(٢) رجال النجاشي: برقم ٦٨٩، و المزني تلميذ الشافعي.

(٣) فهرست الشيخ: برقم ٣٩١.

(٤) الرجال: النجاشي: ٢، رقم ٦٨٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبغاني)، ص: ٩٧

بالخاص، و تقييد المطلق بالمقيد، إلى غير ذلك من شئون الجمع بين الروايات و الخروج بالفتوى، مات عام تسع و عشرين و ثلاثمائة. إن علي بن بابويه أول من أعد متناً فقهياً من متون الروايات بحذف أسانيدها و أسماء بكتابت «الشرائع» و قد حذا ولده حذوه في تأليف «المقنع» (١٠)، يقول في مقدمته كتابه: إنني صنفت كتابي هذا و سمّيته كتاب «المقنع» لِقنوع من يقرأه بما فيه، و حذف الأسناد فيه لئلا يثقل حملة، و لا- يصعب حفظه، و لا- يملّ قارئه إذ كان ما أئبته فيه، في الكتب الأصولية موجوداً ميبناً على المشايخ العلماء الفقهاء، الثقات. (٢٠)

لقد عاش شيخنا في العصر العباسي قبل تسلم البويهيين منصّة الحكم في العراق سنة ٣٣٤ هـ-، و قد استوطن قم المحمية التي كانت في أوان عصر الغيبة و عهد نيابة الأبواب الأربعة، مركزاً فقهياً من مراكز البحث الفقهية استقطبت الفقهاء و المحدثين من بلاد الشيعة.

روى الشيخ الطوسي قال: أنفذ الشيخ حسين بن روح كتاب «التأديب» (٣٠) إلى قم، و كتب إلى جماعة الفقهاء بها، و قال لهم: انظروا في هذا الكتاب، و انظروا هل فيه شيء يخالفكم؛ فكتبوا إليه أنه كلّ صحيح، و ما فيه شيء يخالف إلا قوله في الصاع في الفطرة نصف صاع من طعام، و الطعام عندنا مثل الشعير من كلّ واحد صاع. (٤٠)

فهذا يعرب عن مكانة قم في عصر النائب الثالث، المتوفى عام ٣٢٦ هـ.

و كما أن الشيخ الحسين بن روح يستمد من علماء قم وفقهائهم، كذلك

(١) البحار: ١٠٧ / ٣٠.

(٢) الصدوق: المقنع: ٥.

(٣) كتاب التأديب تأليف نفس الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح. راجع الذريعة: ٣ / ٢١٠.

(٤) الطوسي: الغيبة: ٣٩٠، الحديث ٣٥٧.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٩٨

يستمد فقهاء تلك البلدة من علوم الشيخ.

روى الشيخ الطوسي بسنده عن أبي الحسن محمد بن أحمد بن داود القمي، قال: وجدت بخط أحمد بن إبراهيم النوبختي و إملأه أبي القاسم الحسين بن روح رضى الله عنه على ظهر كتاب فيه جوابات و مسائل انفذت من قم يسأل عنها هل هي جوابات الفقيه (عليه السلام) أو جوابات محمد بن علي الشلمغاني، لأنه حكى عنه أنه قال: هذه المسائل أنا أجبت عنها.

فكتب إليهم على ظهر كتابهم: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ*، قد وقفنا على هذه الرقعة و ما تضمنته، فجميعه جوابنا عن المسائل، و لا مدخل للمخذول الضال المضل المعروف بالعزاقري لعنه الله في حروف منه («... ١»)

٧. أبو الحسين الناشئ (٢٧١ - ٣٦٦ هـ)

على بن عبد الله بن وصيف، من أهل بغداد، المكنى بأبي الحسين الناشئ، كان متكلماً شاعراً مجوداً، و له كتب، و كان يتكلم على مذهب أهل الظاهر في الفقه أخبرنا عنه الشيخ المفيد (رحمه الله). («٢»)

و قال محقق فهرس الشيخ الطوسي: قصد سيف الدولة و أهاده شعره في مسجد الكوفة، فحضر مجلسه المتنبى و هو صغير. ولد سنة ٢٧١ و توفي ببغداد سنة ٣٦٦.

و قال الأفتدي التبريزي: هو الشيخ أبو الحسن على بن عبد الله بن وصيف الناشئ الأصغر الحلاء المتكلم البغدادي. الفاضل العالم الكامل الشاعر الأديب، من مشايخ الشيخ المفيد، كما هو الظاهر من عبارة الفهرست.

(١) الطوسي: الغيبة: ٣٧٣ برقم ٣٤٥.

(٢) الطوسي: الفهرست، برقم ٣٨٥، و له ترجمة في وفيات الأعيان: ٣ / ٣٦٩، و في الرياض: ٤ / ١٣٧.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٩٩

و لعل النمط الذي اختاره في الفقه هو تجريد النصوص عن الأسانيد، و عدم الخروج عن حرفيتها في ضمن عدم الاعتقاد بالقواعد العقلية.

٨. محمد بن أحمد بن الجنيد (المتوفى ٣٨١ هـ)

محمد بن أحمد بن الجنيد، أبو علي الكاتب الاسكافي، قال النجاشي: وجه في أصحابنا، ثقة، جليل القدر، صنّف فأكثر، و سمعت بعض شيوخنا يذكر أنه كان عنده مال للصاحب (عليه السلام) و سيف أيضاً. ثم ذكر فهرست كتبه، منها: «تهذيب الشيعة لأحكام الشريعة». («١»)

قال الشيخ الطوسي: كان جيد التصنيف حسناً، إلا أنه كان يرى القول بالقياس، فتركت لذلك كتبه و لم يعوّل عليها، و له كتب كثيرة، منها: كتاب «تهذيب الشريعة لأحكام الشريعة» كبير نحو من عشرين مجلداً، يشتمل على عدد كتب الفقه على طريق الفقهاء، و كتاب «المختصر الأحمدي للفقه المحمدي» في الفقه مجرداً، ثم ذكر أسماء بقية كتبه. (٢)

و يظهر من الشيخ أنّ التهذيب كان كتاباً استدلالياً، و المختصر الأحمدي يتضمن فتاواه.

و قال العلامة بحر العلوم في «الفوائد الرجالية»: أبو علي الكاتب الاسكافي من أعيان الطائفة، و أعظم الفرقة، و أفاضل قدماء الإمامية، و أكثرهم علماً و فقهاً و أدباً، و أكثرهم تصنيفاً، و أحسنهم تحريراً، و أدقهم نظراً، متكلم فقيه، محدث، أديب، واسع العلم، صنّف في الفقه و الكلام و الأصول و الأدب و الكتابة و غيرها،

(١) النجاشي: الرجال: برقم ١٠٤٨.

(٢) الطوسي: الفهرست: برقم ٦٠٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٠٠

تبلغ مصنّفاته عدا أجوبة مسائله نحواً من خمسين كتاباً، ثم ذكر كتبه. (١)

و قد أطراه العلامة في «خلاصته». (٢)

أقول: إنّ القياس على أقسام أربعة:

١. العمل به فيما إذا كانت العلة منصوصة، كما إذا قال: لا تشرب الخمر، لأنّه مسكر.

٢. قياس الأولوية، و هو قياس الأقوى غير المنصوص على الأضعف المنصوص، كما إذا قال: لا تأكل ذبيحة أهل الكتاب، فيعلم منه حرمة أكل ذبيحة المشرك بوجه أولى.

٣. المناط القطعي فيما إذا وقف المجتهد على وجه القطع و اليقين أنّ مناط الحكم هو هذا، كما إذا قال: لا تأكل ذبيحة اليهودي و وقف على أنّ المناط كونه كافراً فيقيس عليه ذبيحة النصراني. فالعمل بالقياس في هذه الصور الثلاث جائز. و إن كان الخوض في تحصيل مناطات الأحكام أمراً محظوراً.

٤. المناط الظني و تحصيله بالوجوه و الاعتبارات و هذا النوع من القياس الناتج عن التخرصات الظنية من غير حصول القطع هو الممنوع.

و لم يعلم أنّ ابن الجنيد قد عمل بالقياس في القسم الأخير، و لعلّ عمله كان في الأقسام الثلاثة الأولى.

و هناك احتمال آخر و هو أن يكون عمله لأجل الاستدلال بالقياس على المخالف.

و على كلّ تقدير فالإطراء الذي يذكره العلامة عن صفى الدين محمد بن معد، و ما يذكره هو نفسه يعرب عن كونه على جلاله في الفقه.

(١) بحر العلوم: القواعد الرجالية: ٢ / ٢٠٥.

(٢) خلاصة الرجال: ١٤٥.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٠١

قال العلامة: وجدت بخط السعيد صفى الدين محمد بن معد ما صورته: وقع إلّى من هذا الكتاب مجلد واحد، و قد ذهب من أوّله أوراق، تصفّحته و لمحت مضمونه، فلم أر لأحد من الطائفة كتاباً أجود منه، و لا- أبلغ، و لا- أحسن عبارة، و لا- أدق معنى، و قد استعرض فيه الفروع و الأصول، و ذكر الخلاف في المسائل و استدلل بطريق الإمامية و طريق مخالفهم. (١) و هذا الكتاب إذا أمعن

النظر فيه، وحصلت معانيه، وأديمت الإطالة فيه، علم قدره وموقعه، وحصل به نفع كثير لا يحصل من غيره. وقال العلامة: وأقول قد وقع إلي من كتب هذا الشيخ المعظم الشأن كتاب «الأحمدى في الفقه المحمدي» وهو كتاب جيد، يدل على فضل هذا الرجل وكماله وبلوغه الغاية القصوى في الفقه وجودة نظره، وأنا ذكرت خلافه وأقواله في كتاب «مختلف الشيعة في أحكام الشريعة». (٢)

وقد اعتنى بأقواله وفتاويه كثير من المحققين، كالسيد المرتضى، وابن إدريس في «السرائر» والمحقق الحلّي في «المعتبر»، والشهيدين، والسيوري، وابن فهد، والصيمري، والمحقق الكركي، وغيرهم وكل ذلك يجلب الاعتماد إلى المؤلف والمؤلف. هذا ما يمكن الدفاع عن الرجل ومنهجه وكتبه، ولكن هناك ما يصدنا عن التصديق ببعض ما ذكرنا، فإن مسلك الرجل لم يكن مورد الرضا لأعلام الأئمة، كالمرتضى والمفيد الذي أفرد على نقد مسلكه رسالتين ذكرهما النجاشي عند ترجمة المفيد. ١. نقض رسالة الجنيدى إلى أهل مصر.

(١) وهذا يعرب عن أن الاستدلال بالقياس ونحوه لأجل إقناع المخالف.

(٢) بحر العلوم: الفوائد الرجالية: ٣/ ٢٠٩ - ٢١٠، نقلًا عن إيضاح الاشتباه للعلامة الحلّي.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٠٢

٢. النقض على ابن الجنيد في اجتهاد الرأي. (١)

و لم يصل إلينا شيء من تينك الرسالتين.

كما أنه ردّ عليه في ثنانيا كتابيه «المسائل الصاغانية» و «المسائل السروية» المطبوعتين، فقال في المسائل الصاغانية: (٢)

قال هذا الشيخ الجاهل (يريد الشيخ الحنفى المتحامل على الشيعة): قد وصل إلى نيسابور في سنة ٣٤٠ هـ - (٣) رجل من هؤلاء الرافضة يعرف بالجنيدى يدعى معرفةً بفقههم ويتصنع بالنفاق لهم... ثم إن الشيخ المفيد بعد كلام طويل ردّ به على الفقيه الحنفى، قال في حقّ ابن الجنيد ما يلي: فأما شهادتك بجهل الجنيدى فقد أسرفت بما قلت في معناه وزدت في الإسراف ولم يكن كذلك في التقصان، وإن كان عندنا غير سديد فيما يتحلّى به من الفقه ومعرفة الآثار، لكنّه مع ذلك أمثل من جمهور أئمتك، وأقرب منهم إلى الفطنة والذكاء.

فأما قوله بالقياس في الأحكام الشرعية واختياره مذاهب لأبى حنيفة وغيره من فقهاء العامة لم يأت بها أثر عن الصادقين (عليهم السلام)، فقد كنّا ننكره عليه غاية الإنكار، ولذلك أهمل جماعة من أصحابنا أمره وأطرحوه، ولم يلتفت أحد منهم إلى مصنّف له ولا كلام. (٤)

(١) النجاشي: الرجال: برقم ١٠٤٨.

(٢) هذا الكتاب جملة مسائل وردت على شيخنا المفيد، وهي عشر مسائل من مختلف أبواب الفقه شتت بها فقيه حنفى على الشيعة الإمامية، وادّعى أنهم خارجون بها عن الإيمان، مخالفون لنصوص القرآن. فأجاب عنها الشيخ المفيد وسمّاها بالمسائل الصاغانية.

(٣) هذا يعرب عن أن ابن الجنيد كان في تلك السنة في نيسابور.

(٤) المفيد: المسائل الصاغانية: ٥٦ - ٥٩، في ذيل المسألة الأولى، ولاحظ أيضاً ص ٦١، ولاحظ من الطبعة القديمة ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٠٣

وقال في المسائل السروية: وأجبت عن المسائل التي كان ابن الجنيد جمعها وكتبها إلى أهل مصر، ولقبها ب- «المسائل المصرية» وجعل الأخبار فيها أبواباً، وظنّ أنّها مختلفة في معانيها، ونسب ذلك إلى قول الأئمة (عليهم السلام) فيها، بالرأى.

و أبطلت ما ظنّه في ذلك و تخيله، و جمعت بين جميع معانيها، حتى لم يحصل فيها اختلاف، فمن ظفر بهذه الأجوبة و تأملها بإنصاف، و فكر فيها فكراً شافياً، سهل عليه معرفة الحقّ في جميع من يظن أنّه مختلف، و يتيقن ذلك ممّا يختص بالأخبار المروية عن أئمتنا (عليهم السلام). (١)

فهذه النصوص من الشيخ المفيد توقفنا على أنّ ابن الجنيد كان متأثراً بالأساليب الفقهية للعامة.

ثمّ الأعجب من العمل بالقياس هو جعل سبب الاختلاف في الأخبار المروية عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) هو إفتاء الأئمة بالرأى كما هو صريح كلام الشيخ المفيد، أعنى قوله: «و ظنّ أنّها مختلفة في معانيها، و نسب ذلك إلى قول الأئمة (عليهم السلام) فيها بالرأى».

ثمّ إنّ السيد بحر العلوم اعتذر عن زلته بعدم بلوغ الأمر فيه إلى حد الضرورة، فإنّ المسائل قد تختلف وضوحاً و خفاء باختلاف الأزمنة و الأوقات، فكم من أمر جلي ظاهر عند القدماء قد اعتراه الخفاء في زماننا، لبعد العهد و ضياع الأدلة؟ و كم من شيء خفي في ذلك الزمان قد اكتسى ثوب الوضوح و الجلاء باجتماع الأدلة المنتشرة في الصدر الأوّل، أو تجدد الإجماع عليه في الزمان المتأخر، و لعلّ أمر القياس من هذا القبيل؟ (٢)

(١) المفيد: المسائل السروية: ٧٥-٧٦، الطبعة الحديثة.

(٢) بحر العلوم: الرجال: ٣/٢١٥.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٠٤

و قال النجاشي: توفي ابن الجنيد بالرى سنة ٣٨١ هـ، و قد اتفق موته و موت الصدوق الثاني في سنة واحدة، و يظهر من رسالة الشيخ الحنفى أنّه زار نيسابور عام ٣٤٠ هـ - كما مرّ.

٩. محمد بن مسعود العياشي (المتوفى نحو ٣٢٠ هـ -)

محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمى السمرقندى، أبو النضر المعروف بـ «العياشى».

قال النجاشي: ثقة، صدوق، عين من عيون هذه الطائفة، و كان يروى عن الضعفاء كثيراً، و كان في أوّل أمره عامى المذهب، و سمع حديث العامة فأكثر منه، ثمّ تبصّر و عاد إلينا، سمع أصحاب الحسن بن على بن فضال و عبد الله بن محمد ابن خالد الطيالسى و جماعة من شيوخ الكوفيين و البغداديين و القميين.

قال أبو جعفر الزاهد (أحمد بن عيسى بن جعفر العلوى العمري و كان من أصحاب العياشى): أنفق أبو النضر على العلم و الحديث تركه أبيه سائرهما و كانت ثلاثمائة ألف دينار، و كانت داره كالمسجد بين ناسخ أو مقابل أو قارئ أو معلق مملوءة من الناس، ثمّ ذكر أسماء كتبه في مختلف المجالات و في الفقه كثيراً. (١)

و عزفه الشيخ الطوسى بقوله: محمد بن مسعود العياشى من أهل سمرقند، و قيل أنّه من بنى تميم، يكنى أبا النضر، جليل القدر، واسع الأخبار، بصير بالروايات مطّلع عليها، له كتب كثيرة تزيد على مائتى مصنّف ذكر فهرست كتبه التي ذكرها ابن إسحاق النديم. (٢)

(١) النجاشي: الرجال: برقم ٩٤٥.

(٢) الطوسى: الفهرست: ١٦٣، برقم ٦٠٥.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٠٥

أقول: لعب الزمان بعامة ما كتبه إلّا تفسيره المعروف بـ «تفسير العياشى» يشتمل المطبوع منه على تفسير القرآن من أوّله إلى آخر

سورة الكهف و لم يطبع الجزء الثاني، و مع ذلك فقد أصيب الموجود منه بأضرار كبيرة، و ذلك لأنَّ جُلَّ رواياته كانت مسنَّدة، فاختصرها بعض النساخ بحذف الأسانيد.

١٠. جعفر بن محمد بن قولويه القمي (المتوفى ٣٦٧ هـ -)

جعفر بن قولويه القمي من مشايخ الإمامية و أعيانها، قال النجاشي: أبو القاسم من خيار أصحاب سعد، و كان من ثقات أصحابنا و أجلائهم في الحديث و الفقه، روى عن: أبيه و أخيه عن سعد، و عليه قرأ شيخنا أبو عبد الله (المفيد) الفقه، و منه حمل، و كلَّ ما يوصف به الناس من جميل و فقه فهو فوقه، ثم ذكر أسماء كتبه، و قال: قرأت أكثر هذه الكتب على شيخنا أبي عبد الله المفيد (رحمه الله) و على الحسين ابن عبيد الله (رحمه الله). («١»)

و كفى في فضله أنَّ شيخنا المفيد من تلامذته و خريجي مدرسته في الفقه، و قد وصفه النجاشي بما لم يصف به أحداً في رجاله. يقول الشيخ الطوسي: جعفر بن محمد بن قولويه القمي يكنى (أبا القاسم) ثقة، له تصانيف كثيرة على عدد أبواب الفقه. («٢»)

و يتبادر من تعبير الشيخ أنَّ تصانيفه كانت إما بتجريد المتون عن الأصول كما هو الرائج في تلك الأزمنة، أو صب الفقه في قوالب خاصة.

و على أية حال فهو من الفقهاء العظام ممن كان لهم دور عظيم في منهجة الفقه، كيف و هو ممن ألف كتباً كثيرة على عدد أبواب الفقه كما صرَّح به الشيخ

(١) النجاشي: الرجال: برقم ٣١٦.

(٢) الطوسي: الفهرست: برقم ١٤١.

أدوار الفقه الإمامي (للسبعماني)، ص: ١٠٦

في «الفهرست»؟!

و ترجمه الشيخ في «رجال» في باب من لم يرو عنهم (عليهم السلام) برقم ٥، فلاحظ.

و في خلاصة العلامة أنَّ وفاته كانت في سنة ٣٦٩ هـ، و في «الفهرست»: ٣٦٨ هـ، و لعلَّ الصحيح هو ٣٦٧، لوجود التشابه بين لفظ «التسعين» و «السبعين». («١»)

و يظهر من اتصاله بابن أبي عقيل نزيل عمان أنه كان على اتصالات وثيقة مع مراكز العلم و الفتيا آنذاك.

و قد قصد الحج و وصل بغداد عام ٣٣٧ هـ - في السنة التي ردَّ القرامطة فيها الحجر إلى مكانه من البيت. («٢»)

١١. محمد بن علي بن الحسين الصدوق (٣٠٦ - ٣٨١ هـ -)

رئيس المحدثين على الإطلاق، و فقيه الإمامية و وجههم، و صدوق الطائفة، المولود بدعوة صاحب الأمر، المخصوص بحق رعايته و لطفه، الشيخ الفقيه المحدث أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، ولد في محتد طيب و بلدة عريقة أي مدينة قم، و تربى في بيت رفيع عرف بالصلاح و العلم و زعامة الدين، و قد تتلمذ على أبيه و تخرَّج على يديه، ثم هاجر من قم و اختلف إلى حواضر العلم لتبادل السماع و الاسماع مع المحدثين و أئمة العلم.

قال النجاشي بعد ذكر اسمه: أبو جعفر، نزيل الري، شيخنا و فقيهننا، و وجه الطائفة بخراسان، و كان ورد بغداد سنة ٣٥٥ هـ، و سمع منه شيوخ الطائفة و هو حدث السن، ثم ذكر أسماء كتبه و ذكر أنه ينقل كتب الصدوق عن طريق والده و هو علي بن أحمد بن العباس

النجاشي، و هو الواسطة الوحيدة بينه و بين

(١) لاحظ المستدرک للعلامة النوري: ٣/ ٥٢٤، الفائدة الثالثة.

(٢) لاحظ المستدرک للعلامة النوري: ٣/ ٥٢٤، الفائدة الثالثة.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٠٧

الصدوق، فإنّ الوالد قد تتلمذ على الصدوق و سمع كتبه، و مات الصدوق بالرى سنة (٣٨١ هـ). (١)

و يقول شيخ الطائفة في «رجاله»: جليل القدر، حفظة، بصير بالفقه و الأخبار و الرجال، له مصنّفات كثيرة. (٢)

و قال في «فهرسته»: محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، يكنى أبا جعفر، كان جليلاً، حافظاً للأحاديث، بصيراً بالرجال، ناقداً للأخبار، لم ير في القميين مثله في حفظه و كثرة علمه، له نحو من ثلاثمائة مصنّف و فهرست كتبه معروف. (٣)

ثم ذكر أسماء كتبه.

قال الخطيب البغدادي: كان من شيوخ الشيعة و مشهورى الرافضة، حدّثنا عنه محمد بن طلحة النعالي. (٤)

و قال الذهبي: رئيس الإمامية، أبو جعفر محمد بن العلامة علي بن الحسين ابن موسى بن بابويه القمي، صاحب التصانيف السائرة بين الرافضة، يضرب في حفظه المثل، يقال له (٣٠٠) مصنّف. (٥)

و كفى في جلالته أنّه تخرّج عليه شيخنا المفيد، قال ابن إدريس: كان ثقه، جليل القدر، بصيراً بالأخبار، ناقداً للآثار، عالماً بالرجال، حفظة، و هو أستاذ شيخنا المفيد محمد بن محمد بن النعمان. (٦)

(١) النجاشي: الرجال: ٣١١، برقم ١٠٥٠.

(٢) الطوسي: الرجال: ٤٩٥، برقم ٢٥، في باب «من لم يرو عن الأئمة».

(٣) الطوسي: الفهرست: ١٨٤، برقم ٧٠٩.

(٤) الخطيب: تاريخ بغداد: ٣/ ٨٩.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٦/ ٣٠٣.

(٦) ابن إدريس: السرائر: ٢/ ٥٢٩.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٠٨

و قد سبق منّا ذكر أسماء مشايخه و تلامذته.

يظهر من التدبّر في الكتب الفقهية المؤلفة في القرن الرابع أنّه كانت الفتاوى في ذلك العصر تستعرض على نحوين.

أحدهما: ما كان عليه الصدوق و والده و غيرهم من الإفتاء بنصوص الروايات تقريباً، مع تجريدتها عن الأسانيد، و على ذلك ألف الوالد كتاب «الشرائع» الذي هو الكتاب المعروف بـ «فقه الرضا» في هذه الأيام. و ألف الولد كتاب «الهداية» و «المقنع»، فهما و من تبعهما كانوا مجتهدين مستنبطين يستعملون النظر في استنباط الأحكام بتميز الصحيح عن غيره بعد تقييد المطلق بقيده و تخصيص العام بخاصية دون الخروج عن النصوص الواردة في السنّة، و قد دام هذا النمط من الاجتهاد بعد مضيها و ألف الشيخ الطوسي «النهاية» على غرار ذلك النمط.

و يظهر من مقدّمة المبسوط أنّ هذا النمط كان أكثر رواجاً في القرن الرابع. (١)

و الثاني: استنباط الأحكام من الكتاب و السنّة و القواعد العقلية التي دلّ عليها العقل الصريح و طبيعة ذلك الاجتهاد هو الخروج عن دائرة النصوص، و على ذلك جرى ابن أبي عقيل في كتابه «التمسك بحبل آل الرسول»، و ابن الجنيد في «تهذيبه»، و المرتضى في

«انتصاره»، و الشيخ في «مبسوطه».

قد مضى أن النمطين كانا موروثين من فقهاء عصر الحضور، فقد عرفت أن زرارة و يونس بن عبد الرحمن و الفضل بن شاذان كانوا مستنبطين و مفتين لا بلفظ النصوص بل كانوا يصتوبون ما استنبطوه من الأدلة في قالب التعبير. و بذلك نقف على أن الدور الثاني كان امتداداً للدور الأول بإضافة

(١) الطوسي: المبسوط: ١/١٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٠٩

المنهجية في مجالى الحديث و الاجتهاد، فظاهرة الاجتهاد بمعناه الحقيقي كانت سائدة في الدور الأول، و لكنها ارتقت و تكاملت عبر الدور الثاني بكلا- النمطين: الإفتاء بلفظ النصوص و هو الذى كان سيدنا البروجردى يعبر عنه بالفقه المتلقى عن أئمة أهل البيت و الأولى التعبير عنه بالفقه المنصوص، و الفقه الخارج عن نطاق النصوص معتمداً على الأدلة الشرعية.

١٢. محمد بن محمد بن النعمان المفيد (٣٣٦ - ٤١٣ هـ -)

إشارة

لا عتب على اليراع إذا وقف عاجزاً أمام تحديد معالم شخصية إسلامية فذة كشخصية الشيخ المفيد، فهو كالنجم اللامع فى سماء العلم و الحديث، و كقطب الرحي لكافة الفضائل الإنسانية، فقد آلت إليه زعامة الشيعة فى بغداد أواخر القرن الرابع التى كانت تعج بالتيارات الفكرية المختلفة، فمن سلفى لا هم له سوى أخذ الحديث و جمعه من كل من هب و دب، إلى معتزلى لا يقيم للسنة وزناً و يعتمد على العقل فى كافة المجالات، إلى أشعري يحاول صياغة السلفية بأطر عقلية، إلى زيدي يقتفى إثر المعتزلة فى الأصول، و الحنيفة فى الفروع، إلى غير ذلك من التيارات الفكرية التى كانت رائجة فى تلك الأزمنة. التى حاولت القضاء على الفكر الشيعى الإمامي.

فوسط هذا العجاج بزغ نجم شيخنا المفيد (رحمه الله) فقام خير قيام بتثبيت الهوية الفكرية الشيعية، و تصدى للمخالفين خصوصاً من يتهمون المذهب الإمامي بأقويل فاسدة و ينسبون إليه آراء زائغة قصداً للتشيع و التنكيل، كالقول بالجبر و التشبيه و التجسيم التى هى على جانب النقيض من عقائد الشيعة.

و قد كان ليراعه و بيانه أثر بالغ فى إخضاع المخالف للعقيدة الحقّة و تبكيته على وجه اعترف به الموافق و المخالف، فهذا هو اليافعى يعرفه فى «تاريخه» فى

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١١٠

حوادث سنة ٤١٣ هـ - بقوله:

توفى فيه عالم الشيعة و عالم الرافضة صاحب التصانيف الكثيرة، شيخهم المعروف بالمفيد و ببن المعلم أيضاً البارع فى الكلام و الجدل و الفقه، و كان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلالة و العظمة فى الدولة البويهية.

قال ابن أبى طى: و كان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة و الصوم، خشن اللباس.

و قال غيره: كان عضد الدولة ربما زار الشيخ المفيد و كان ربه نحيماً أسمر، عاش ستاً و سبعين سنة، و له أكثر من مائتى مصنف، و كانت جنازته مشهودة، و شيعه ثمانون ألفاً من الرافضة و الشيعة، و أراح الله منه، و كان موته فى رمضان. (١)

أقول: إنَّ كلام الياféي خير شاهد على جلاله الشيخ، و وفور علمه، و عظمه منزلته عند الموافق و المخالف و إنه بيانه و بيراعه ضيق الخناق على أعدائه حتى تُلقِيَتْ وفاته بالراحة لهم.

و قال ابن كثير: المفيد شيخ الإمامية الروافض، و المصنّف لهم، و المحامي عن حوزتهم، كانت له وجاهه عند ملوك الأطراف لميل كثير من أهل ذلك الزمان إلى التشيع. (٢٠٠)

و كم للموافق و المخالف من جمل درية في حقّ شيخنا المفيد، فلنذكر كلمتين من تلميذيه (و كم له من تلامذة برعوا في مجالات شتى).

يقول النجاشي - بعد ما يسوق نسبه إلى يعرب بن قحطان -: شيخنا و أستاذنا رضى الله عنه، فضله أشهر من أن يوصف في الفقه و الكلام و الرواية و الثقة

(١) الياféي: التاريخ: ٢٨ / ٣، طبعة ١٣٣٨ هـ -.

(٢) ابن كثير: البداية و النهاية: ١٥ / ١٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١١١

و العلم، ثم ذكر أسماء كتبه الهائلة و قال: مات (رحمه الله) ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر رمضان سنة ٤١٣ هـ، و كان مولده يوم الحادى عشر من ذى القعدة سنة ٣٣٦ هـ، و صلّى عليه الشريف المرتضى بميدان الاشنان و ضاق على الناس مع كبره، و دفن في داره سنين، و نقل إلى مقابر قريش بالقرب من السيد أبى جعفر (عليه السلام). (١٠١)

و قال تلميذه الآخر الشيخ الطوسى: من أجلمه متكلمى الإمامية، انتهت إليه رئاسة الإمامية فى وقته، و كان مقدماً فى العلم و صناعة الكلام، و كان فقيهاً متقدماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب، و له قريب من مائتى مصنّف كبار و صغار، و كان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه من كثرة الناس للصلاة عليه و كثرة البكاء من المخالف و المؤلف. (٢٠٠)

«المقنعة» أثره الخالد فى الفقه

لقد ترك شيخنا المفيد تراثاً فقيهاً حيث انتهج منهجاً وسطاً بين الجمود على النصوص و التوسع فى التفريعات المستمدة من القياس و الاستحسان، و كتابه المقنعة قد سبك على هذا السبك، فليس كتابه متناً حديثاً فقيهاً محضاً لا يخرج عن حيطه الروايات، و لا كتاباً تفريعياً تخريجياً يتوسع فى الاستدلال، و يحتوى كتابه على أبواب الفقه جميعاً، و أنت إذا قارنت بين هذا الكتاب و ما ألفه أستاذه قبله كالمقنع للصدوق و ما نقل عن القديمين (ابن أبى عقيل و ابن الجنيد) من الفتاوى لوجدته كتاباً متوسطاً بينهما.

إنَّ شيخنا المفيد بتأليفه هذا الكتاب و غيره أضفى للفقه الإمامي ثوباً

(١) النجاشي: الرجال: برقم ١٠٦٨.

(٢) الطوسى: الفهرست: برقم ٧١٠.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١١٢

جديداً، فأخرج الفقه من حصار الوقوف على النصوص كما كان عليه الصدوقان كما حدّده بقواعد لها رصيد فى الكتاب و السنّة، من دون أن يتعبّد بما لم ينزل بها من سلطان كالقياس و الاستحسان، و كأنه تبع نهج ابن أبى عقيل الذى كان يثنى عليه و يطريه ثناءً على شخصيته و منهج فقهه، فما هو المعروف إنَّ المقنعة فقه منصوص فليس على صواب.

نعم ليس هو كتاباً تفريعياً تخريجياً كالمبسوط و غيره.

و أما سائر مؤلفاته الفقهية فقد ذكر أسماءها تلميذه النجاشي فى «رجال»، فلاحظ. (١٠١)

البصمات التي تركها المفيد على الفقه الإمامي

١. نحل الشيخ المفيد للفقه الإمامي منهجية موضوعية بعيدة عن الجمود و التزمّت الذي كان عليه المحدّثون، و عن الأساليب التي كانت على الخلاف من أصول أئمة أهل البيت كالععمل بالقياس و الاستحسان و غيرهما، ففي هذا الجو المشحون بالتفريط و الإفراط أخذ الشيخ بزمام الفقه و نفّض عنه غبار الجمود و جعله في منحى التكامل و الازدهار. فبينما تجد أنّه كان يندّد بكل محدث لا يأبى بما أخذ و عمّن أخذ و يعمل بخبر الواحد دون اكرثا في جميع المجالات، كان يندّد أيضاً بمن حاول تبسيط الفقه وفق القياس و الاستحسان، و أثبت بذلك الهوية الفكرية و الفقهية للشيعة الإمامية و حدّد معالمها بعد ما تعرّض الفقه لمنعطفات ح- رجة كادت تقوّض كيانه.

(١) النجاشي: الرجال: برقم ١٠٦٨.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١١٣

و قد كان شيخنا الوالد الشيخ محمد حسين السبحاني (١٢٩٩-١٣٩٢ هـ) يحكى عن أستاذه شيخ الشريعة الاصفهاني (١٢٦٦-١٣٣٩ هـ) أنّه قال: إنّ لبعض الفقهاء حقاً عظيماً في تثبيت الهوية الفكرية للشيعة في سالف الزمان، منهم: الشيخ المفيد فقد جعل الفقه ينحو منهج أهل البيت (عليهم السلام) صائناً له عن التحريف و الإضلال.

٢. أنّ لأكثر فقهاءنا مع تثبتهم في الفقه فتاوى شاذة تخالف فتاوى مشاهير الفقهاء، و لكن شيخنا المفيد في منأى عن هذه الوصمة، فمع أنّه تتلمذ على أيدي أهل القياس و الاستحسان، و لكنّه لم يتأثر بأفكارهم قيد أنملة، و قد أبعد القياس و الاستحسان و الاستصلاح عن فقهه.

٣. يعد الشيخ المفيد أوّل من صنّف كتاباً جامعاً في أصول الفقه مشتملاً على جميع الأبواب، فإنّ من تقدّمه من العلماء ألفوا رسائل خاصة في بعض موضوعات علم الأصول و لم يصل إلينا كتاب جامع لجميع أبوابه، و من هؤلاء:

أ. هشام بن الحكم صنّف كتاب «الألفاظ».

ب. يونس بن عبد الرحمن صنّف كتاب «اختلاف الحديث».

ج. أبو سهل النوبختي صنّف كتاب «الخصوص و العموم».

د. الحسن بن موسى النوبختي ألف كتاب «خبر الواحد و العمل به»، و كتاب «الخصوص و العموم».

هـ- ابن الجنيد له كتاب «كشف التمويه و الالباس على اعمال» (١) «الشيعة في أمر القياس».

و. أبو منصور السرام النيسابوري له كتاب في إبطال القياس.

(١) و في نسخة: اعمار.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١١٤

ز. محمد بن أحمد بن داود المعروف ب- «ابن داود» له كتاب مسائل الحديثين المختلفين.

لكنّها لا- تعدو أن تكون في نطاق مسائل خاصة من علم أصول الفقه، و قد قام المفيد بتأليف كتاب جامع لمباحث علم الأصول الدارجة في تلك الأزمنة سمّاه ب- «التذكرة بأصول الفقه» (١)، و قد ذكره النجاشي باسم كتاب «أصول الفقه» و قام تلميذه الكراچكي بتلخيصه في كتابه «كنز الفوائد» المطبوع قديماً و حديثاً.

ثم توالى التأليف فى أصول الفقه بعد شيخنا المفيد، فألف تلميذه المرتضى «الذريعة» فى جزئين، كما ألف تلميذه الآخر الطوسى كتاب «العدة» و ألف تلميذه الآخر سائر الديلمى كتاب «التقريب فى أصول الفقه» إلى غير ذلك.

المفيد و ابتكاره للفقه المقارن

إنّ الفقيه تارةً يستعرض آراءه الشخصية أو آراء إمام نحلته و يستدل عليها دون أن يستعرض آراء فقهاء بقية النحل و هذا هو النمط السائد فى أكثر الكتب الفقهية. و أخرى يستعرض آراءه الشخصية و آراء إمامه مع ذكر آراء فقهاء سائر النحل و ذكر حججهم و المناقشة فيها، و هذا اللون من التأليف يتوقف على مقدرة علمية فائقة ليكون الممارس لها قادراً على عرض الآراء و ترجيح بعضها على بعض. و شيخنا المفيد أول من فتح هذا الباب على مصراعيه فألف كتابه «الإعلام فيما اتفقت عليه الإمامية من الأحكام» و جعله ذليلاً لكتاب أوائل المقالات الذى

(١) طبع فى ضمن مصنفاته لاحظ الجزء ٩ / ٥، نشره المؤتمر العالمى بمناسبة الذكرى الألفية لوفاء الشيخ المفيد.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١١٥

ذكر فيه ما اتفقت عليه الإمامية من الأصول مع الإشارة إلى آراء المخالفين، فبالإمعان فى هذين الكتابين يقف القارئ على آراء الإمامية فى الفقه و العقائد.

و قد ورث تلميذاه هذا اللون من التأليف عنه فى الفقه.

فألف السيد المرتضى «الانتصار» فى ما انفردت به الإمامية مع ذكر آراء الآخرين، كما تبع الشيخ الطوسى أثر أستاذه فألف كتاب «الخلاف» حيث ذكر فيه آراء الفقهاء الإسلاميين و ناقشها و رجع منها المذهب المختار.

نعم تكامل ما ابتكره الشيخ المفيد على يد تلميذه الشيخ الطوسى بتأليف كتاب «الخلاف» الذى تمتع بالدقة و العمق و الأمانة فى نقل الأقوال الفقهية من مصادرها الموثوقة حتى أنّ وفداً مصرياً من الجامع الأزهر زار سيدنا المحقق البروجردى نحو سنة ١٣٧٧ هـ - فأهدى السيد لهم كتاب «الخلاف» ليكون رمزاً للوحدة.

و قد أعربوا عن رأيهم و إعجابهم بالكتاب بعد مطالعته بدقة و إمعان و أذعنوا بأمانة الشيخ فى نقل أقوالهم و الأسلوب الدقيق المتبع فيه.

إنّ النهج الذى اختطه الشيخ المفيد فى الفقه و الأصول و الكلام بقى يفيض عطاءً على يد تلاميذه و تلامذة تلاميذه، و كأنها صارت كلمة باقية فى عقبه، فقد استنار من علومه أكابر العلماء و الفضلاء عبر الزمان، و ما زالت كتبه اليوم مصدر إلهام و إشعاع تنير الدرب امام رواد العلم و المعرفة.

١٣. السيد المرتضى (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ -)

إشارة

كان لمدرسة المفيد التى أسسها فى حاضرة العالم الإسلامى معطيات جمّة و ثمرات يانعة، حيث أنجبت أعلاماً و أفذاذاً للأمة يضمن

بهم الدهر إلّا في فترات خاصة، منهم: السيد علي بن الحسين بن محمد، الذي ينتهي نسبه إلى الإمام موسى

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١١٦

ابن جعفر بخمس وسائط، يعرّفه تلميذه النجاشي بقوله:

حاز من العلوم ما لم يدانه فيه أحد في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر، و كان متكلماً شاعراً أديباً، عظيم المنزلة في العلم والدين و الدنيا، ثم ذكر أسماء كتبه وقال: إنّه مات (رض) لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ٤٣٦ هـ. و صلّى عليه ابنه في داره، و تولّى غسله و معى الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن الجعفرى و سلالر بن عبد العزيز.

و يقول («١») تلميذه الآخر الشيخ الطوسى: كنيته أبو القاسم، لقبه علم الهدى، الأجل المرتضى، متوحد في علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدّم في العلوم، مثل علم الكلام و الفقه و أصول الفقه و الأدب و النحو و الشعر و معانى الشعر و اللغة و غير ذلك؛ له ديوان شعر يزيد على عشرين ألف بيت، ثم ذكر أسماء تصانيفه.

إنّ نواحى فضل سيدنا المبجل لا تنحصر بواحدة و لا انّ ماثره معدودة فإلى أى فضيلة نحوت فله فيها الموقف الأسمى، فهو إمام الفقه، و مؤسس أصوله، و أستاذ الكلام، و نابغة الشعر، و راوية الحديث، و بطل المناظرة، و القدوة فى اللغة، و الأسوة فى العلوم العربية كلّها، و هو المرجع فى تفسير كتاب الله العزيز، و جماع القول إنك لا تجد فضيلة إلّا و هو ابن بجدها. («٢»)

و قد ترك سيدنا الجليل آثاراً و تأليف عديدة تصل إلى ٨٦ كتاباً أو موسوعة أو رسالة، و إليك بعض ما ألف فى الفقه و أصوله:

١. الذريعة فى أصول الفقه فى جزئين.

٢. مسائل المفردات فى أصول الفقه.

(١) النجاشي: الرجال: برقم ٧٠٦.

(٢) الأمينى: الغدير: ٢٦٤ / ٤ - ٢٦٥.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١١٧

٣. مسائل الخلاف فى أصول الفقه.

هذا ما ألفه فى الأصول؛ و أمّا فى الفقه، فقد ألف الكتب التالية:

١. إبطال القول بالعدد.

٢. مسائل الخلاف فى الفقه.

٣. الناصرية فى الفقه، و هى عبارة عن ٢٠٧ مسائل استلّها الشريف المرتضى من فقه الناصر الكبير (جدّه لأمه) و شرحها و صحّحها، و

استدل على صحتها من الكتاب و السنّة و الإجماع.

٤. الدليمية فى الفقه.

٥. الرد على أصحاب العدد فى شهر رمضان.

٦. المصباح فى الفقه. («١»)

إلى غير ذلك من المسائل التى ألفتها فى جواب الأسئلة و الاستفسارات التى كانت ترد إليه من نواحى شتى. و كفى فى فضله انّ

المعزى لما خرج من العراق سئل عن السيد المرتضى، فقال:

يا سائلى عنه لما جئت تسأله*** ألا هو الرجل العارى من العار

لو جئته لرأيت الناس فى رجل*** و الدهر فى ساعة و الأرض فى دار («٢»)

انّ كتاب «الانتصار» من تصانيفه المعروفة، و قد ذكر فى مقدّمته الداعى إلى تأليف هذا الكتاب فقال: فإنى ممثّل ما رسمته الحضرة

السامية الوزيرية

(١) الطوسي: الفهرست: برقم ٤٣٣، الغدير: ٢٦٥ / ٤ - ٢٦٦.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار: ١٠ / ٤٠٨.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١١٨

العميدية («١») أدام الله سلطانها، وأعلى أبدأ شأنها ومكانها، من بيان المسائل الفقهية التي شُنع بها على الشيعة الإمامية، وادّعى عليهم مخالفة الإجماع وأكثرها موافق فيه الشيعة غيرهم من العلماء والفقهاء المتقدمين والمتأخرين، وما ليس لهم فيه موافق من غيرهم فعليه من الأدلة الواضحة والحجج اللامعة ما يغني عن وفاق الموافق، ولا يوحش معه خلاف المخالف، وان أُبين ذلك وأُفصّله وأزيل الشبهة المعترضة فيه. («٢»)

ميزات فقهه

قد تعرفت أن لسيدنا المرتضى تأليف عديده في الفقه، وحيث إن كتاب «الانتصار» من أشهر تأليفه، فنستعرض ميزات الكتاب، وبها يعلم ميزات فقهه.

١. قد ذكر السيد في مقدمته كتابه: أن الداعي وراء تأليفه هو تشنيع المخالفين على الشيعة بانفرادهم بمسائل تخالف الإجماع، وذكر أن المسائل التي صارت سبباً للتشنيع على صنفين، فصنف انفردت بها الإمامية وليس لهم موافق من أتباع سائر المذاهب، و صنف آخر وافق فيها بعض الفقهاء من المتقدمين والمتأخرين. فالثاني لا يخالف الإجماع لوجود الموافق، وأما الصنف الأول فلا غرو فيه إذا عضده الدليل. إنما الشناعة على المذهب الذي لا يعاضده الدليل ولا تؤيده الحجة.

(١) المراد هو أبو نصر محمد بن منصور، الملقّب ب- «عميد الملك» الكندري النيسابوري، استوزره السلطان طغرل بك السلجوقي و الب أرسلان، و قتل بتفتين نظام الملك الطوسي يوم الأحد ١٦ ذي الحجة سنة ٤٥٦ هـ - كما ذكره محقق الكتاب. (٢) الانتصار: ١.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١١٩

٢. قد اشتمل كتاب «الانتصار» على ٣٣٤ مسألة، فالمسائل التي انفردت بها الإمامية هي ٢٥٢ مسألة، والمسائل التي ظن الانفراد بها و لهم موافق في المذاهب الأخرى ٨٢ مسألة، فيكون مجموع المسائل المبحوث عنها ٣٣٤ مسألة.

٣. ينقل عند استعراض المسائل آراء سائر المذاهب. («١») و بذلك أصبح كتابه فقهاً مقارناً، فهو يجمع الآراء الفقهية المختلفة لسائر المذاهب و يقيّمها و يوازن بينها بالتماس أدلتها، و ترجيح بعضها على بعض، فهذا هو الفقه المقارن أو علم الخلاف أو علم الخلافات، و قد كان العلم بالخلافات معدوداً من مبادئ الاجتهاد، و عرف بأنه علم يقتدر به على حفظ الأحكام الفرعية المختلف فيها بين الأئمة، أو هدمها بتقرير الحجج الشرعية و قواعد الأدلة.

و قد تبع السيد في ذلك أستاذه الشيخ المفيد في كتابه «الإعلام بما اتفقت عليه الإمامية من الأحكام» و قد ألفه الشيخ المفيد بطلب من الشريف فقال في أوله:

أدام الله للسيد الشريف التأييد، و وصل له التوفيق و التسديد، فإنّي ممثّل ما رسمه من جمع ما اتفقت عليه الإمامية من الأحكام

الشرعية على الآثار المجتمعة عليها بينهم عن الأئمة المهديّة من آل محمد صلوات الله عليهم ممّن اتفقت العامة على خلافهم فيه. من جملة ما طابقتهم عليه جماعتهم أو فريق منهم على حسب اختلافهم في ذلك لاختلافهم في الآراء والمذاهب لتتضاف إلى كتاب أوائل المقالات في المذاهب المختارات، و يجتمع بهما للناظر فيهما علم خواص الأصول والفروع، و يحصل له منهما ما لم يسبق أحد إلى ترتيبه على النظام في المعقول. (٢٠)

(١) و قد ورد فيها من أعلام الرأي و الفقه ما يناهز ٥٤ شخصاً. ذكره محقق الكتاب ص ٤٦.

(٢) الاعلام بما اتفقت عليه الإمامية من الأحكام: ١٦.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٢٠

و بالمقارنة بين الكتابين يظهر أنّ المفيد سلك مسلك الاقتضاب بخلاف تلميذه فقد استعرض المسائل بإسهاب.

٤. يستدل السيد في بعض المسائل بالإجماع، و قال: و ممّا يجب علمه أنّ حجّة الإمامية في صواب جميع ما انفردت به أو شاركت فيه غيرها من الفقهاء، هي إجماعها عليه، لأنّ إجماعها حجّة قاطعة، و دلالة موجبة للعلم، فإن انضاف إلى ذلك ظاهر كتاب الله تعالى أو طريقة أخرى توجب العلم و ثمر اليقين فهي فضيلة و دلالة تنضاف إلى أخرى و إلّا ففي إجماعهم كفاية. (١٠)

و يظهر من الإمعان في الإجماعات التي استدلت بها أنّه يقول بحجّة الإجماع من باب دخول الإمام المعصوم في المجمعين، و أمّا أنّه كيف يمكن أن يستحصل العلم بدخول المعصوم في هذه المسائل الكثيرة، فهو موكول إلى مكان آخر.

و لما كان وجود الإمام هو السبب لحجّة الإجماع و ليس للإجماع قيمة علمية إلّا كونه كاشفاً عن وجود الحجّة الشرعية بين المجمعين، فلا يرى لمخالفة بعض العلماء قيمة تذكر، ففي مسألة لا تجب الزكاة إلّا في تسعة أصناف، يقول:

فإن قيل: كيف تدعون إجماع الإمامية و ابن الجنيد يخالف في ذلك و يذهب إلى أنّ الزكاة واجبة في جميع الحبوب التي تخرجها الأرض و إن زادت على التسعة أصناف التي ذكرتموها، و روى في ذلك أخباراً عن أئمتهم، و ذكر أنّ يونس كان يذهب إلى ذلك؟ فأجاب بقوله: قد تقدّم إجماع الإمامية و تأخر عن ابن الجنيد و يونس، و الأخبار التي تعلق ابن الجنيد بها الواردة من طرق الشيعة الإمامية معارضة بأكثر و أقوى منها في رواياتهم المعروفة المشهورة. (٢٠)

(١) الانتصار: ٦.

(٢) الانتصار: ٧٧.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٢١

و صرّح بما ذكرنا (عدم قبح مخالفة معلوم النسب) في عدّة من المسائل كبعض نصب الإبل، و في مسألة الفرار من الزكاة، أو عدم الشفعة مع تعدّد الشركاء.

و قال بتقدّم الإجماع على ابن الجنيد و ابن بابويه و عدم العبرة بخلافهما لمعلومية نسبهما. (١١)

و هكذا في غير تلك المواضع:

٥. قد يستمد السيد في تحقيق المسألة بالبحوث الأدبية و اللغوية و يعطى لها قسطاً وافراً، نظير:

أ. تحقيق في الاعراب بالمجاورة في آية الوضوء.

ب. تحقيق في معنى المسح و الغسل.

ج. تحقيق في معنى القرء.

د. تحقيق في معنى النذر.

هـ- تحقيق في معنى قوله تعالى: (مُكَلِّبِينَ).

و. تحقيق لغوى في معنى الغبراء، و الفقاع.

ز. تحقيق في معنى الباغي. (٢٠)

ولا غرو في ذلك، فإنَّ السيد هو اللغوى الباحث الذى يكون قوله حجة كغيره من أعلام اللغة، وهذا ما أذعن به الموافق والمخالف. ٦. انَّ السيد لا يعمل إلاَّ بالسنة المتواترة أو المحفوظة بالقرائن دون أخبار الآحاد، ولكنه يدعى انَّ أكثر ما نسميه خبر الواحد فهو خبر متواتر.

(١) لاحظ الانتصار: ٨٠ و ٨٣ و ٢١٦.

(٢) لاحظ الانتصار: ٢١، ٢٢، ١٥١، ١٦٤، ١٨٣، ١٩٨، ٢٣٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٢٢

هذا كل ما يمكن أن يقال في ملامح فقهه إذا نظرنا إليه من منظار كتاب «الانتصار» ولا يفوتنا القول بأنَّ هناك ملامح آخر لفقهه لم نستعرضها خوفاً من الإطالة.

وقد طبع «الانتصار» طبعه جديدة بتحقيق السيد محمد رضا الخرسان فى النجف الأشرف، قدّم له مقدّمة نافعة شكر الله مساعيه، ومع الاعتراف بذلك فالكتاب بحاجة إلى تخريج الأحاديث.

و يظهر ممّا ذكره السيد فى صفحة ٦ من مقدّمة الكتاب أنّه ألفه بعد سنة ٤٢٠ هـ، عن عمر يتراوح بين ٦٠ و ٧٠ عاماً أى فى أوج نضوجه العلمى.

آراؤه فى غير الانتصار

و للسيد آراء فى الأصول و الفقه نشير إليها بوجه موجز:

١. يقول بجواز استعمال اللفظ المشترك فى أكثر من معنى واحد، فإذا قال: لا تنكح ما نكح أبوك، يعم المعقودة و الموطوءة، و إذا قال: إن كنت محدثاً فتوضّأ يعم الحدين.

٢. يعد الاستعمال علامة للحقيقة، حتى جعل صيغة الأمر مشتركة بين الوجوب و الندب.

٣. يذهب إلى: أنّ الكفار مكلفون بالفروع كما هم مكلفون بالأصول.

٤. القضاء بأمر جديد.

٥. يذهب إلى أنّ الجمل الشرطية و الغائية فاقدة للمفهوم.

٦. لم يثبت حجية الاستصحاب عنده. (١١)

(١) انظر فى الوقوف على مصادر هذه الآراء و الآراء الأخر كتاب الذريعة فى أصول الفقه: ١٧، ٢٥٠، ٧٨، ١١٦، ٤٠٦-٤٠٧، ٨٢٩.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٢٣

١٤. أبو الصلاح الحلبي (٣٧٤-٤٤٧ هـ)

تقى الدين بن نجم الدين بن عبيد الله بن عبد الله بن محمد الحلبي، و كنيته أبو الصلاح، علم من أعلام الطائفة، و فقيه متبحر، قرأ على الشيخ الطوسى، و من الأمر الطريف، أن يقوم أستاذاً بترجمة تلميذه.

قال أستاذه الشيخ الطوسى فى رجاله: تقى بن نجم الحلبي، ثقة، له كتب، قرأ علينا و على المرتضى. (١١)

وقد أطراه غير واحد من المتأخرين، كابن شهر آشوب في «معالمه» (٢)، ومنتجب الدين في «فهرسته» (٣)، وابن إدريس في «سرايره» (٤)، قال الأخير في مسألة من مسائل المزارعة: و ما اخترناه مذهب السيد المرتضى و خيرته في «الناصریات» في مسألة المائتين و مذهب أبي الصلاح الحلبي في كتابه «الكافي» و هو كتاب حسن فيه تحقيق مواضع، و كان هذا المصنف من أصحابنا الحلبيين من تلامذة المرتضى.

كما أطراه أيضاً غير واحد من علماء أهل السنة.

قال ابن حجر في «لسان الميزان»: تقى الدين عمر (٥) بن عبيد الله بن عبد الله بن محمد الحلبي، أبو الصلاح مشهور بكنيته من علماء الإمامية ولد لسنة أربع و سبعين و ثلاثمائة و طلب و تمهر و صنّف، و أخذ عن أبي جعفر الطوسي و غيره و رحل إلى العراق فحمل عن الشريف المرتضى، و مات سنة ٤٤٧ هـ. (٦)

(١) الطوسي: الرجال: ٤٥٧، باب من لم يرو عن الأئمة.

(٢) ابن شهر آشوب: معالم العلماء: ٢٩.

(٣) منتجب الدين: الفهرست: ٣٠ برقم ٦٠، باب التاء.

(٤) ابن إدريس: السرائر: ٢٦٦، الطبعة القديمة.

(٥) هو مصحف نجم.

(٦) ابن حجر: لسان الميزان: ٧١ / ٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبعماني)، ص: ١٢٤

آثاره في الفقه

١. البداية ذكره ابن شهر آشوب في معالم العلماء.

٢. الكافي في الفقه، و قد طبع و انتشر.

٣. اللوامع في الفقه.

٤. مختصر الفرائض الشرعية.

و له في غير الفقه تأليف أشهرها: «تقريب المعارف» في الكلام، و تجد له ترجمة وافية في مقدمة كتاب «الكافي»، و يعرب كتابه هذا عن استقلاله في الفكر و اعتماده على تفكيره الذاتي.

١٥. أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز الديلمي (المتوفى ٤٤٨ هـ)

لقد كانت مدرسة شيخنا المفيد ذات عطاء وافر و من خريجها شيخنا أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز المعروف بـ «سَلار الديلمي». قال العلامة في «الخلاصة»: سَلار بن عبد العزيز الديلمي أبو يعلى (قدس سره) شيخنا المقدم في الفقه و الأدب و غيرهما، و كان ثقة و جهلاً، له: «المقنع» في المذهب، و «التقريب» في أصول الفقه، و المراسم، و الرد على أبي الحسين البصري في نقض الشافى، و التذكرة في حقيقه الجوهر و العرض، قرأ على المفيد و على السيد المرتضى قدس سرهما. (١)

و عن الشيخ بهاء الدين العاملى أنّ السيد المرتضى أمر سَلاراً بنقض نقض الشافى فنقضه. (٢)

(١) ابن المطهر: الخلاصة: ٨٦ برقم ١٠، طبع النجف.

(٢) بحر العلوم في رجاله: ١١ / ٣.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٢٥

ألف القاضي عبد الجبار المتوفى (٤١٥هـ) كتاباً في إبطال مذهب الشيعة وسمّاه الكافي، فألف السيد المرتضى المتوفى (٤٣٦هـ) كتاباً سمّاه الشافي في نقض الكافي.

ثم صنف أبو الحسين البصري المتوفى (٤٣٦هـ) كتاباً في نقض الشافي، فألف سلار كتاباً في نقض نقض الشافي بأمر من أستاذه، و ترجمه منتجب الدين في «فهرسته» (١)، و ابن شهر آشوب في «معالم العلماء». (٢)

مشايخه و تلامذته

تخرّج كما عرفت على يدى الشيخ المفيد و السيد المرتضى كما نص به العلامة في «خلاصته».

و قال الخوانسارى: إنّه كان من أخص خواص سيدنا المرتضى و معتمداً على فقهه و فهمه و جلالته عنده فى الغاية، فعينه فى جملة من عينه للنيابة عنه فى البلاد الحليية باعتبار مناصب الحكام، بل ربما كان يدرّس الفقه نيابة عنه ببغداد كما حكى عن خط الشهيد، و أضاف بأنّ أبا الحسين البصرى لما كتب نقض الشافي لسيدنا المرتضى أمر السيد سلاراً بنقضه فنقضه. (٣)

و ممّن تخرّج على يده لفيف من أعلام الطائفة، نذكر جملة منهم:

١. الفقيه شمس الإسلام الحسن بن الحسين بن بابويه، ذكره الشيخ منتجب الدين فى «الفهرست». (٤)

(١) منتجب الدين: الفهرست: ٨٤ برقم ١٨٣.

(٢) ابن شهر آشوب: معالم العلماء: ١٣٥، باب الكنى.

(٣) الخوانسارى: روضات الجنات: ٣٧١ / ٢.

(٤) منتجب الدين: الفهرست: ٤٦.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٢٦

٢. أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن الحسين النيسابورى الخزاعى شيخ الأصحاب. (١)

٣. عبد الجبار بن عبد الله المقرئ الرازى. (٢)

٤. عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن بابويه. (٣)

٥. الشيخ أبو على الطوسى، و هو ابن شيخ الطائفة الطوسى المتوفى (٥١٥هـ) فإنه يروى عن سلار. (٤)

٦. أبو الكرم المبارك بن فاخر النحوى، قال الصفدى: كما فى بغية الوعاة للسيوطى بأنه قرأ على المترجم له. (٥)

و قد عرفت الحوادث بآثاره، فلم يصل إلينا سوى كتاب واحد، و هو «المراسم العلوية فى الأحكام النبوية» و قد اختصره المحقق الحلّى بالتماس بعض أصحابه. (٦)

و قد طبع الكتاب عدّة مرّات أفضلها ما قام بها المجمع العالمى لأهل البيت مع مقدّمة للسيد محسن الحسينى الأمينى شكر الله مساعيه.

١٦. محمد بن الحسن الطوسى (٣٨٥ - ٤٦٠هـ)

إشارة

يمتاز الشيخ محمد بن الحسن الطوسى عن أكثر معاصريه بأنه كان ذا مواهب كثيرة، ففى حين أنه محدّث كبير، و ألف للشيعة الإمامية الجامعين

(١) منتجب الدين: الفهرست: برقم ٢١٩.

(٢) منتجب الدين: الفهرست: برقم ٢٢٠.

(٣) بحر العلوم: الفوائد الرجالية: ٥/٣.

(٤) الحر العاملي: أمل الآمل: ١٢٧/٢.

(٥) السيوطي: بغية الوعاة: ٥٩٤.

(٦) رياض العلماء: ٤٤٣/٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٢٧

الكبيرين «التهذيب» و «الاستبصار» فهو فقيه متضلّع في الفقه.

ولقد مرّت ترجمته في هذا الدور عند ذكر كبار المحدثين الذين دوّنوا جوامع الحديث، فلا حاجة إلى تكرار ما سبق، إلّا أنّه نشير إلى شخصيته الفقهية، وكفى في حقّه أنّه تتلمذ على علمين كبيرين هما: المفيد والمرتضى، فصار علماً للفقه، ومرجعاً للشيعة على الإطلاق بعد رحيل أستاذه الشريف المرتضى عام ٤٣٦ هـ، وصارت كتبه مرجعاً ومصدراً لرواد العلم، حتى أضحي كتابه «النهاية» في مجرّد الفقه كتاباً دراسياً عدّة قرون.

يقول الشيخ النجاشي في حقّه: محمد بن الحسن بن علي الطوسي، أبو جعفر، جليل من أصحابنا، ثقة، عين، من تلامذة شيخنا أبي عبد الله، ثم ذكر أسماء كتبه.

وقد ترجم الشيخ نفسه في كتاب «الفهرست» وقال: محمد بن الحسن الطوسي مصنف هذا الفهرست، له مصنّفات، ثم ذكر أسماء ما ألفه بوجه مبسوط.

وقال العلامة: شيخ الإمامية، ورئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، عين، صدوق، عارف بالأخبار والرجال والفقه والأصول والكلام والأدب، وجميع الفضائل تنسب إليه.

صنف في كلّ فنون الإسلام، وهو المهذب للعقائد في الأصول والفروع، والجامع لكمالات النفس في العلم والعمل. («١»)
وقد أثنى عليه أعلام الفريقين عبر القرون، ويطول بنا الكلام عند ذكر إطرأتهم، فمن أراد الوقوف على ترجمته، فليرجع إلى مقدمة كتابيه «التبيان»

(١) الخلاصة: ١٤٨.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٢٨

و «الرجال».

وقد ذاع صيته في آفاق واسعة، وعلت منزلته حتى نرى أنّ الخليفة القائم بأمر الله بن القادر بالله، جعل للشيخ الطوسي كرسى الإفادة والبحث، وكان لكرسى الإفادة والكلام مقام كبير يومذاك.

وقد خدم الشيخ الطوسي علم الفقه بأساليب شتى، فتارة ألف في الفقه على مسلك الأخباريين وأصحاب الحديث، فجزّد النصوص عن الأسانيد وأسماء ب- «النهاية» في مجرّد الفتاوى، وكان الكتاب كتاباً دراسياً إلى زمن المحقق الحلّي قبل تأليف الشرائع.

كما ألف في الفقه على مسلك المجتهدين وأسماء ب- «المبسوط» و آثر فيه طريق المجتهدين، وقال في مقدمته: إنّ كتاب لم يصنف مثله، ولا نظير له بين كتب الأصحاب، ولا في كتب المخالفين، إلى أن قال:

إنّ أصحابنا ألفوا الأخبار وما رووه من صريح الألفاظ، حتى أنّ مسألة لو غير لفظها و عبّر عن معناها بغير اللفظ المعتاد لهم، تعجبوا

منها، و قصر فهمهم عنها. (١١)

كما أنه خدم الفقه بتأليف كتاب على نمط ثالث، و هو العلم بالمسائل الخلافية، فكتابه «الخلاف» يعد فقهاً مقارناً يوقف القارئ على آراء فقهاء مختلف النحل، و هو ليس ممن يجمع الآراء المختلفة في المسائل الفقهية دون إجراء موازنة بينها، بل يذكر الآراء و يقومها و يوازنها بترجيح ما اختاره على غيره من الآراء.

وقد ألفت في مضممار الفقه كتباً و رسائل كثيرة ذكرت أسماؤها في ترجمته، و لا نطيل بها الكلام، و إنما نلفت نظر القارئ الكريم إلى نكتة مهمة و هي: إن الشيخ

(١) المبسوط: ٢/١.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٢٩

ألف «تهذيب الأحكام» شرحاً لكتاب «المقنعة» في حال حياة أستاذه، و لم يتجاوز عمره ٢٧ سنة، و لكّنه عند ما يستدل على المسألة يستدل كأنه فقيه متبحر أفنى قسماً كبيراً من عمره في دراسة الفقه.

يقول سيد مشايخنا المحقق البروجردي: و أنت إذا نظرت إلى كلماته في الكتابين (الطهارة و الصلاة) و ما جادل به المخالفين في المسائل الخلافية، كمسألة مسح الرجلين، و ما أفاده في مقام الجمع بين الأخبار و اختياراته في المسائل، و ما يستند فيه إليها، و ما يورده من الأخبار في كلّ مسألة، تخيلته من أبناء السبعين و أنه صرف عمره الطويل في تحصيل العلوم الأدبية و الأصوليين و القراءات و التفسير و مسائل الخلاف و الوفاق، و طاف البلاد في طلب أحاديث الفريقين و ما يتعلّق بها من الجرح و التعديل، حتّى صارت له قدم راسخة في جميع العلوم الدينية، و لو قيل لك إنّه كان شاباً حدثاً من أبناء أربع أو ثمان و عشرين لأنكرت ذلك و قلت إن هذا لشيء عجاب. (١١)

آثاره الأصولية و الرجالية

إنّ الاجتهاد المنهجي يعتمد على قواعد أصولية تمهّد للمجتهد طريق الاستنباط، و ليس لمن يريد وضع الحلول للتفريعات إلّا دراسة تلك القواعد بدقة و إمعان، فلولاها لما قام للفقه عمود و لا اخضر له عود، فالمستنبط يعتمد في استنباطه على الإجماع و خبر الواحد، فلولا- إثبات حجيتهما في علم آخر لما صحّ له الاستناد إليها، كما أنّه يفتى بالإجزاء عند امتثال الأوامر الواقعية الأولى أو الثانوية أو الظاهرية، فلولا إثبات الإجزاء في علم آخر لعرقلت خطاه في الفقه، و هكذا في سائر المسائل الفقهية.

(١) الخلاف: مقدّمه السيد المحقق البروجردي، ص ٢، الطبعة الأولى.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٣٠

وقد خدم الشيخ الفقه بتأليف كتاب ثالث أوسع ممّا ألفه أستاذه المفيد و المرتضى، فقد ألفت كتاب «العدة» و هو كتاب مبسوط حاو لجميع المسائل الأصولية، و فيه بعض المسائل الكلامية التي كانت تدرس في الأصول، و يظهر إخلاص الشيخ في منهجه العلمي بأنّه ما ترك باباً إلّا و طرّقه، و لا تغرأ إلّا و سدّه.

وقد كان لأصحابنا مؤلفات كثيرة متعدّدة في الرجال و لكنّها دون المستوى المطلوب فأخذ الشيخ بزمام المبادرة و ألفت كتباً رجالية مختلفة منها:

١. الرجال: ألفت هذا الكتاب بصورة الطبقات، فذكر أصحاب النبي (صلى الله عليه و آله و سلم)، ثم أصحاب كلّ واحد من الأئمة

على حسب الحروف الهجائية، و هو أحد الأصول الأربعة الرجالية المعتمد عليها عند علمائنا يتضمن زهاء ثمانية آلاف و تسعمائة اسم، و الغرض من وراء هذا التأليف تمييز طبقاتهم لا تمييز الممدوح من المذموم، و لو وثق بعضهم في خلال ترجمته فإنما كان استطرادياً.

٢. اختيار الرجال: و هو تلخيص رجال الكشي الموسوم بمعرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين. فقد عمد الشيخ الطوسي إلى تهذيبه و تجريده من الزيادات و الأغلاط و أملاه على تلاميذه في المشهد الغروي، و كان بدء إملائه يوم الثلاثاء ٢٦ من صفر سنة ٤٥٦ هـ، كما حكاها السيد رضى الدين على بن طوس في «فرج المهموم» عن نسخة خط الشيخ.

٣. الفهرست: ذكر فيه أصحاب الكتب و الأصول و أنهى إليهم و إليها أسانيده عن مشايخه، و هو يحتوى على ما يقارب التسعمائة اسم من أسماء المصنفين، و هو من الآثار الثمينه الخالده.

و قد أُلّف «الفهرست» بعد تأليفه لكتاب الرجال، و يشهد عليه أنه ذكر كتاب «الرجال» في فهرسته. (١)

(١) الفهرست: برقم ٧١٣.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٣١

كان الشيخ الطوسي فياضاً في العلم، سباقاً في حلبة البحث، فلم يقتصر على التأليف و التدريس في الفقه و أصوله و رجاله، بل أُلّف أيضاً كتاب «التيان» في التفسير، و هو كتاب جامع لعلوم القرآن، يصدر عنه شيخنا الطبرسي في «مجمع البيان» و يغترف منه.

كان درس الشيخ يعجّ بعلماء كلا الفريقين، و لكن في عام ٤٤٨ هـ - تعرضت بغداد لأزمات شديدة رافقتها فتن طائفية، و لم ينج الشيخ الطوسي من شرارتها، فلم يجد بداً من مغادرة بغداد إلى النجف الأشرف.

لم يكن إحراق مكتبة الشيخ و كرسيه و نهب داره أمراً سهلاً، فقد ترك مضاعفات خطيرة أدناها تشتت أصحابه في الأمصار الإسلامية؛ فهاجر سلّار إلى إيران، و توفي في قرية «خسرو شاه» من أعمال تبريز، و له هناك مزار؛ كما هاجر النجاشي إلى «مطيرآباد» من أعمال سامراء؛ و هاجر لفيف مع الشيخ إلى النجف الأشرف. و توفي الشيخ في مهجره في محرم عام ٤٦٠ هـ، و قبره هناك مزار يقصده الخاص و العام و هو في المسجد الذي سُمي باسمه.

لقد بلغ الشيخ الذروة في مختلف العلوم الإسلامية اعترف بفضل القريب و البعيد حتى اتخذت كتبه مصدراً للفتيا قرابة قرن واحد، و ما هذا إلّا لغزارة علمه و تألق نجمه في حياته و بعد مماته.

خصائص فقه الشيخ الطوسي

١. اتبع الشيخ الطوسي في فتاواه و تأليفه الفقهية نهج أستاذه المفيد و المرتضى، و قد أُتيحت له فرصة الوقوف على الكتب الفقهية أكثر ممّا وقف عليه أستاذه، فأحاط بأراء المذاهب الأخرى إحاطة تامة لا نجد مثيلها في كتب المفيد و المرتضى.
- أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٣٢
٢. بلغ التفريع و التخريج على يده القمة، فما ترك فرعاً إلّا خاضه و يعد كتابه «المبسوط» خير شاهد على ذلك، و قد مضى على تأليفه قرابة عشرة قرون و مع ذلك لم يؤلّف كتاب مثله، و الكتاب مع كونه يحتوى على دورة فقهية كاملة، لكنّه سلس الألفاظ، سهل التناول، موجز في النقل، مختصر في الاستدلال، على خلاف ما نراه في كتابي «التذكرة» و «المنتهى» فإنهما في غاية البسط خصوصاً الأخير.
٣. استخراج قواعد عقلية و اعتمد عليها في مقام التفريع، و بذلك ردّ على خصوم الشيعة و صممة العار التي ألصقوها بهم، قال في أول «المبسوط»:

«إني لا أزال أسمع معاصر مخالفينا من المتفقهة والمنتسبين إلى علم الفروع يستحقرون فقه أصحابنا الإمامية، ويستنزرونه، و ينسبونهم إلى قلبة الفروع و قلبة المسائل، و يقولون: إنهم أهل حشو و مناقضة، و إن من ينفي القياس و الاجتهاد لا طريق له إلى كثرة المسائل و لا-التفريع على الأصول، لأنّ جل ذلك و جمهوره مأخوذ من هذين الطريقتين؛ و هذا جهل منهم بمذهبنا، و قلبة تأمل لأصولنا، و لو نظروا في أخبارنا و فقهنا لعلموا أنّ جلّ ما ذكروه من المسائل موجود في أخبارنا و منصوص عليه تلوياً عن أئمتنا الذين قولهم في الحجة يجري مجرى قول النبي (صلى الله عليه و آله و سلم) إمّا خصوصاً، أو عموماً، أو تصريحاً، أو تلوياً».

و أمّا ما كثروا به كتبهم من مسائل الفروع، فلا فرع من ذلك إلّا و له مدخل في أصولنا و مخرج على مذهبنا لا على وجه القياس، بل على طريقة يوجب علماً و يجب العمل عليها و يسوغ الوصول إليها من البناء على الأصل، و براءة الذمة، و غير ذلك مع أنّ أكثر الفروع لها مدخل فيما نص عليه أصحابنا، و إنّما كثر عددها عند الفقهاء لتركيبهم المسائل بعضها على بعض و تعليقها و التدقيق فيها، حتى أنّ كثيراً من المسائل الواضحة دق لضرب من الصناعة و إن كانت المسألة معلومة واضحة».

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٣٣

إنّ الشيخ الطوسي كان يعمل بخبر الواحد تحت شروط خاصّة، و قد أعرب عن رأيه في كتاب «العدة» و بذلك خالف أستاذه المفيد و المرتضى، و قال بحجّية الإجماع كأستاذه، و يظهر أنّ الإجماع عنده حجّة لكشفه عن قول المعصوم فقط، و له آراء خاصّة في الأصول يظهر ذلك لمن راجع كتاب «العدة».

مميزات هذا الدور

قد مرّ آنفاً أنّ هذا الدور ابتداءً من عام ٢٦٠ إلى ٤٦٠ هـ- أي قرابة مائتي سنة، و هذا الدور من الفقه من أخصب الأدوار عطاءً في تاريخ المذهب الإمامي، و المهم هو تناول الميزات التي تمتع بها هذا الدور:

مرّ الفكر الشيعي بأزمات حادة خصوصاً بعد غيبة الإمام الثاني عشر عجل الله فرجه الشريف، فقد انتهز مخالفيه الفرصة للانقضاض عليه ببث الشبهات في الإمامة، و قد أوجدت تلك الشبهات أصداءً واسعة في الأجواء الشيعية حتى كادت تؤثر، لو لا قيام أفذاذ من العلماء في تلك الحقبة، و في طليعتهم: الصدوق و المفيد و المرتضى و الطوسي، بأخذ زمام الأمور و تثبيت الهوية الفكرية للشيعه في مختلف المجالات من خلال القيام بأمور:

١. كبح جماح الانتهازيين الذين ادّعوا النيابة الخاصة للإمام الثاني عشر امام النواب الأربعة الذين كانت لهم النيابة الخاصة، فحفظوا الشيعة من الانخراط في صفوفهم.

٢. الرد على المشككين و أصحاب المقالات الضالّة في أمر الإمامة و الغيبة إذ أنكروا إمكان الغيبة، و أنكروا إمكان حياة الإمام فترة طويلة.

٣. تثبيت الهوية الفكرية العقائدية للشيعة حيث خلصوا العقائد من

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٣٤

رواسب الروايات الضعيفة و سبكوها بسبكه علمية فكرية بعيداً عن الغلو و التقصير، و قد عقدوا أنديّة فكرية للمناظرة مع أصحاب المقالات، كالزيدية و الإسماعيلية و الواقفة، الذين كانوا على نهج الإمامة ثم انحرفوا، كما عقدوا أنديّة مناظرات مع غيرهم من المذاهب.

٤. تأليف جوامع فقهية و غربلة الأحاديث، لتمييز الصحيح منها من السقيم.

٥. إقامة الصلة بين الحوزات الشيعية التي أنشئت آنذاك في بغداد و قم و خراسان، و التي ازدهرت في هذا الدور، و إليك لمحة خاطفة عنها:

المراكز الفقهية التي ازدهرت في هذا الدور

إنّ أهم المراكز الفقهية للشيعة في هذا الدور عبارة عن:

١. جامعة الكوفة و جامعها الكبير.

٢. جامعة قم.

٣. جامعة بغداد.

ارتحل الإمام الحادي عشر الإمام العسكري (عليه السلام) عام ٢٦٠ هـ، وقد اتخذ خلفاء بني العباس لا سيما عصر المأمون سياسة الحذر و الحيطة حيال الأئمة، لئلا يثيروا حفيظة شيعتهم فاستقدموهم من المدينة المنورة إلى العراق بغية الإشراف على نشاطاتهم و تحركاتهم السياسية، هذا و غيره صار سبباً لتقلص نشاط مدرسة الحديث و الفقه للشيعة في المدينة المنورة، و قد ازدهرت جامعة بغداد في الدور الثاني بفضل علماء الشيعة و فقهاءهم بعد أن دبّ الضعف في كيان الدولة العباسية

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٣٥

و أخذ آل بويه بزمام الأمور في أكثر مناطق العراق لا سيما بغداد حاضرة العالم الإسلامي يومذاك، و قد تألقت نجمها على يد نابغة العراق الشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣ هـ) و السيد المرتضى علم الهدى (٣٥٥-٤٣٦ هـ) و الشريف الرضي (٣٥٩-٤٠٦ هـ).

ولما توفى السيد المرتضى آلت زعامه حوزة بغداد إلى الشيخ الطوسي و دام هذا الأمر إلى أن ضعفت و اضمحلت سلطة البويهيين و دخل طغرل بك الحاكم التركي بغداد، و أشعل نار الفتنة فيها بين الطائفتين، و أحرق دوراً في الكرخ، و لم يقتصر على ذلك بل قصد دار الشيخ و أخذ ما وجد فيها من دفاتر و كتب و أحرقها، و أحرق كرسى الكلام، عندها هاجر إلى النجف الأشرف فأسس حوزة علمية فيها تقاطر إليها الفقهاء و رواد العلم من كل صوب و حذب و اكتظت بهم، فصارت جامعة النجف الأشرف بديلاً عن جامعة بغداد.

٤. مدرسة النجف الأشرف

إنّ هذه الحادثة المؤلمة التي أدت إلى ضياع التراث الفقهي الشيعي و قتل الأبرياء، دفعت بالشيخ إلى مغادرة بغداد و اللجوء إلى النجف الأشرف و تأسيس مدرسة علمية شيعية في جوار قبر أمير المؤمنين (عليه السلام)، و شاء الله تبارك و تعالی أن تكون هذه المدرسة مشعلاً منيراً لرواد العلم على مر العصور.

المعروف أنّ الشيخ هو المؤسس لتلك الجامعة العلمية المباركة، و هذا أظهر من الشمس في رابعة النهار، بيد أنه يظهر من النجاشي و غيره أنّ الشيخ ورد عليها و كان النشاط العلمي يدبّ فيها يومذاك حيث يقول في ترجمة الحسين بن أحمد بن المغيرة: له كتاب «عمل السلطان». أجازنا بروايته أبو عبد الله بن الخمرى الشيخ

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٣٦

صالح في مشهد مولانا أمير المؤمنين سنة ٤٠٠ هـ - عنه. (١١)

و لقد استغل الشيخ تلك الأرضية العلمية، و أعانه على ذلك الهجرة العلمية الواسعة التي شملت معظم الأقطار الشيعية، فتقاطرت الوفود إليها، من كل فج، فصارت حوزة علمية و كلية جامعة في جوار النبا العظيم على أمير المؤمنين منذ عصر تأسيسها عام ٤٤٨ هـ - إلى يومنا هذا، و قد مضى على عمرها قرابة ١٠٠٠ سنة، و هي بحق شجرة طيبة أصلها ثابت و فرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

إنّ لجامعة النجف الأشرف حقاً كبيراً على الإسلام و المسلمين عبر القرون، فمن أراد الوقوف على تاريخها و البيوتات العلمية التي أنجبتها، فعليه الرجوع إلى كتاب «ماضى النجف و حاضرها» في ثلاثة أجزاء، كما أنه قد قام الشيخ هادي الأمين بتخريج أسماء لفيف

من العلماء الذين تخرّجوا من تلك المدرسة الكبرى.

(١) النجاشي: الرجال: ١/ ١٩٠، برقم ١٦٣.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٣٧

أدوار الفقه الإمامي

٣

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٣٩

الدور الثالث عصر الركود (٤٦٠-٦٠٠هـ) («١»)

إشارة

خدم شيخ الطائفة الفقه الشيعي خدمة جلييلة عظيمة، فلم يترك موضعاً إلّا ولججه، ولا ثغراً إلّا سدّه، ولا حاجة إلّا رفعها، فبزغ نجمه في شتى المجالات الفكرية، ففي مجال الحديث له الحظ الوافر والقدر المعلى، ويشهد على ذلك جامعاه «التهذيب» و «الاستبصار». وأشاد أسس الأصول بتأليفه القيم «العدّة» كما بلغ الذروة في تأليف الفقه بألوان شتى، فألّف «النهاية» في مجرد الفتاوى، و «الخلاف» في علم الخلافات، و «المبسوط» في التفرّعات، و سدّ الفراغ في التفسير بتأليفه كتاب «التيان في تفسير القرآن» في عشرة أجزاء، و ترك ميراثاً رجالياً ضخماً بتأليفه الثلاثة، أعنى:

(١) استمر الركود إلى عصر الفقيه المجدّد المعروف بابن إدريس (٥٤٢-٥٩٨هـ) الذي نفّض غبار الركود عن كاهل الفقه بتأليفه الرائع المسمّى بالسرائر، الذي فرغ من تأليف كتاب الميراث منه سنة ٥٨٨هـ، و على ضوء ذلك ينتهي الدور الثالث بظهور أفكار الفقيه المجدّد إلى الساحة الفكرية، و لَمّا كان ما بذله من الجهود و ما طرحه من أفكار تعدّ أولى الخطوات لدخول الفقه مرحلة جديدة فلا يكون لها تأثير ملموس إلّا بمرور زمان تستقطب فيها أفكار العلماء و تقع تحت شريحة النقد، فأثرنا تحديد نهاية الدور الثالث بتمامية القرن السادس، فيكون تحديد نهاية الدور السابق و بداية الدور اللاحق تحديداً تقريبياً.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٤٠

الرجال، و الفهرست، و تلخيص الكشي (اختيار معرفة الرجال)، إلى غير ذلك من مصنفاته.

و قد استأثر الشيخ بعواطف تلاميذه و معاصريه، و استطاع أن يحتل في قلوبهم مكانة رفيعة أهالت عليه حالة من القداسة، جعلت مخالفته، و نقاش آرائه إهانة لشخصيته الفذة.

نعم كان ذلك هو الطابع العام السائد، و إن وجد هناك من ناقش آراءه و خالفها، و لكن كانوا نزرأً يسيراً.

و هذا هو الشيخ سديد الدين محمود الحمصي من علماء القرن السادس يصف تلك الفترة من الركود قائلاً: بأنّه لم يبق للإمامية مفت على التحقيق بل كلّهم حاك.

و قال السيد ابن طاوس (المتوفى ٦٦٤هـ) بعد نقل كلام الحمصي: فقد ظهر لي أنّ الذي يفتي به و يجاب على سبيل ما حفظ من كلام العلماء المتقدّمين.

و يقول الشهيد الثاني زين الدين الجبجي العاملي (٩١١-٩٦٦هـ) في كتابه «الرعاية» الذي ألّفه في دراية الحديث ما هذا لفظه: إنّ أكثر الفقهاء الذين نشئوا بعد الشيخ كانوا يتبعونه في الفتوى تقليداً له، لكثرة اعتقادهم فيه، و حسن ظنّهم به، فلَمّا جاء المتأخرون

وجدوا أحكاماً مشهورة قد عمل بها الشيخ و متابعه، فحسبوا شهرة بين العلماء، و ما دروا أنّ مرجعها إلى الشيخ، و أنّ الشهرة إنّما حصلت بمتابعته. ثمّ ذكر كلام الحمصي و السيد ابن طاوس. («١»)

يقول المحقق التستري: و لعلّ الحكمة الإلهية فيما اتفق للشيخ تجزّده للاشتغال بما تفرّد به من تأسيس العلوم الشرعية و لا- سيما المسائل الفقهية، فإنّ

(١) مقدّمة معالم الدين: ٤٠٨، مبحث الإجماع؛ روضات الجنات: ١٦١ / ٧.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٤١

كتبه فيها هي المرجع لمن بعده غالباً، حتى أنّ كثيراً ما يذكر مثل المحقق أو العلّامة أو غيرهما فتاوى الشيخ من دون نسبتها إليه، ثمّ يذكرون ما يقتضى التردّد أو المخالفة فيها، فيتوهم التنافي بين الكلامين مع أنّ الوجه فيهما ما قلناه جزاه الله و إيّاهم عنّا خير الجزاء. («١»)

و الذي يدفعنا إلى اتهام الفترة بالركود هو ما نجده في الكتب المؤلّفة في الدور الرابع من الشكوى من وصف فقهاء هذه الفترة بالمقلدة تارة و بالمتفكّهة أخرى:

يقول ابن إدريس في مقدّمة السرائر: إنّني لما رأيت زهد أهل هذا العصر في علم الشريعة المحمدية و الأحكام الإسلامية، و ثقافتهم طلبها، و عداوتهم لما يجهلون، و تضييعهم لما يعلمون، و رأيت ذا السن من أهل دهرنا هذا، لغلبة الغباوة عليه، و ملكة الجهل لقياده، مضيعاً لما استودعته الأيام، مقصّراً في البحث عمياً يجب عليه علمه، حتى كأنّه ابن يومه و نتيج ساعته ... و رأيت العلم عنانه في يد الامتهان، و ميدانه قد عطل من الرهان، تداركت منه الذماء الباقي، و تلافيت نفساً بلغت التراقي. («٢»)

ثمّ يقول: فإنّ الحقّ لا يعدو أربعة طرق؛ إمّا كتاب الله سبحانه، أو سنّة رسوله (صلى الله عليه و آله و سلم) المتواترة المتفق عليها، أو الإجماع، أو دليل العقل. فإذا فقدت الثلاثة فالمعتمد في المسائل الشرعية عند المحققين الباحثين عن مأخذ الشريعة، التمسكُ بدليل العقل فيها، فإنّها مبقاة عليه و موكولة إليه، فمن هذا الطريق يوصل إلى العلم بجميع الأحكام الشرعية في جميع مسائل أهل الفقه فيجب الاعتماد عليها و التمسك بها، فمن تنكّب عنها عسف، و خبط خبط عشواء، و فارق قوله من المذهب.

(١) التستري: مقابس الأنوار: ٥.

(٢) السرائر: ٤١، المقدمة.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٤٢

ثمّ قال في آخر مقدّمته: فعلى الأدلّة المتقدمة أعمل، و بها آخذ و أفتى و أدين الله تعالى، و لا ألتفت إلى سواد مسطور، و قول بعيد عن الحقّ مهجور، و لا- أقلّد إلّا الدليل الواضح و البرهان اللائح، و لا- أعرج إلى أخبار الآحاد، فهل هدم الإسلام إلّا هي، و هذه المقدّمة أيضاً من جملة بواعثي على وضع كتابي هذا. («١»)

ثمّ إنّ يظهر من غير موضع من كتاب «السرائر» أنّه عند ما يفتى على خلاف ما كان عليه فقهاء عصره المنتمون إلى الشيخ كان يتربص اتهامه بمخالفته للرأى العام في مسألة نزع ماء البئر، قال: فما يوجب نزع الجميع أو المراوحة، عشرة أشياء على هذه الطريقة، و عدّها منها كلّ نجاسة لم يرد في مقدار النزع منها نص، و منها الكافر، فهذا التحرير على هذه الطريقة صحيح. («٢»)

ففي مسألة تحديد مقدار الواجب من النزع إذا مات في البئر كافر، يرى ابن إدريس أنّ الواجب نزع جميع ما في البئر، بدليل أنّ الكافر إذا باشر ماء البئر و هو حي و وجب نزعها جميعاً اتفاقاً، فوجب نزع الجميع إذا مات فيها أولى. («٣»)

و حينما أضفى على هذا الاستدلال طابع العقل و خالف فيها الرأى السائد أعقب عليه بقوله: و كأنّي بمن يسمع هذا الكلام ينفر منه و

يستبعده، و يقول: من قال هذا؟! و من سطره في كتابه؟! و من أشار من أهل هذا الفن الذين هم القدوة في هذا إليه؟ ثم أشار إلى دليل المسألة. (٤)

فقاء الدور الثالث

إشارة

و قد اتسمت هذه الفترة بالركود، و لكن أنجبت في أحضانها فقهاء كباراً،

(١) السرائر: ٥١، المقدمة.

(٢) السرائر: ٧١-٧٣.

(٣) السرائر: ٧١-٧٣.

(٤) السرائر: ٧١-٧٣.

أدوار الفقه الإمامي (للسبعماني)، ص: ١٤٣

نشير إلى أسماء بعضهم أداءً للحق الذي لهم علينا:

١. ابن البراج الطرابلسي (٤٠٠-٥٤٨١-)

الشيخ سعد الدين أبو القاسم عبد العزيز بن تحرير الشهير ب- «ابن البراج» الطرابلسي، فقيه عصره، و قاضى زمانه، و خليفة الشيخ الطوسي في الشامات، و قد أطراه منتجب الدين في «فهرسته» (١)، و ابن شهر آشوب في «معالمه» (٢)، و العلامة الحلبي في إجازته لبني زهرة (٣)، إلى غير ذلك ممن ترجم له ترجمة وافية. و قصارى الكلام أنه كان زميلاً للشيخ من جهة و تلميذاً له من جهة أخرى، و بما أنهما قرءا على المرتضى و جلسا مجلساً واحداً، فهما زميلان، و في الوقت نفسه حضر مجلس الشيخ الطوسي أيضاً حتى أن الشيخ الطوسي ألف بعض كتبه باستدعاء منه.

قال التستري: هو من غلمان المرتضى، و كان خصيصاً بالشيخ، و تلمذ عليه، و صار خليفته في البلاد الشامية، و روى عنه و عن الحلبي. (٤)

و قال المحدث النوري بعد إطرائه: تلميذ علم الهدى و شيخ الطائفة، و كان يجرى السيد عليه في كل شهر ثمانية دنانير، و هو مؤلف «المهذب» و «الكامل» و «الجواهر» و «شرح الجمل». (٥)

و مع أن العصر الذي أعقب الشيخ قد اتسم بالركود، لكننا نجد أنه خرج على آراء شيخه الطوسي، فقد يذكر مناظرته في مسائل فقهية في كتاب «المهذب».

(١) منتجب الدين: الفهرست: ١٠٧ برقم ٢١٨.

(٢) ابن شهر آشوب: معالم العلماء: ٨٠.

(٣) البحار: ١٠٥/٢٦٥.

(٤) التستري: مقابسات الأنوار: ٧.

(٥) المستدرک: ٣/٤٨١.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٤٤

قال: و كان الشيخ أبو جعفر الطوسي (رحمه الله) قال لي يوماً في الدرس: هذا الماء («١») يجوز استعماله في الطهارة و إزالة النجاسة.

فقلت له: و لم أجزت ذلك مع تساويهما؟

فقال: إنما أجزت ذلك، لأن الأصل الإباحة.

فقلت له: الأصل و إن كان هو الإباحة، فأنت تعلم أن المكلف مأخوذ بأن لا يرفع الحدث و لا يزيل النجاسة عن بدنه أو ثوبه إلا بالماء

المطلق، فتقول أنت بأن هذا الماء مطلق؟!

فقال: أفتقول أنت بأنه غير مطلق؟

فقلت له: أنت تعلم أن الواجب أن تجيبني عما سألتك عنه قبل أن تسألني ب- «لا» أو «نعم» ثم تسألني عما أردت، ثم إنني أقول بأنه

غير مطلق.

فقال: أ لست تقول فيهما إذا اختلطا و كان الأغلب و الأكثر المطلق، فهما مع التساوي كذلك؟

فقلت له: إنما أقول بأنه مطلق إذا كان المطلق هو الأ-كث و الأ-غلب، لأن ما ليس بمطلق لم يؤثر في إطلاق اسم الماء عليه، و مع

التساوي قد أثر في إطلاق هذا الاسم عليه، فلا أقول فيه بأنه مطلق، و لهذا لم تقل أنت بأنه مطلق، و قلت فيه بذلك إذا كان المطلق هو

الأكثر و الأغلب، ثم إن دليل الاحتياط تناول ما ذكرته، فعاد إلى الدرس و لم يذكر في ذلك شيئاً. («٢»)

و له مناظرة أخرى مع شيخه الطوسي ذكرها في «المهذب». («٣»)

(١) اختلط المضاف بالماء المطلق، و كانا متساويين في المقدار.

(٢) المهذب: ١/ ٢٤-٢٥، كتاب الطهارة.

(٣) المهذب: ٢/ ٤١٩ و ٤٢٠، كتاب الكفارات.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٤٥

نعم ان شيخنا ابن البراج أدرك كلتا الدورتين، فبات مستقلاً في التفكير مناظراً مع الأبطال.

و قد ترجمناه في تقديمنا لكتابه المهذب، فمن أراد التبسط فليرجع إليه.

٢. أبو علي الطوسي (المتوفى نحو ٥١٥هـ-)

هو الشيخ الجليل أبو علي بن شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي المجاز عن والده في سنة ٤٥٥هـ.

قرأ على أبيه جميع تصانيفه، و روى عنه، و عن سَلار بن عبد العزيز الديلمي و غيره، و كان من كبار العلماء، فقيهاً، محدثاً، راوية

للأخبار، و أثنى عليه ابن حجر و قال:

الحسن بن محمد بن الحسن بن علي الطوسي، أبو علي سمع من والده و أبي الطيب الطبري و الخلال و التنوخي، ثم صار فقيه الشيعة و

إمامهم بمشهد علي (رض). سمع منه: أبو الفضل بن عطاق، و هبة الله السقطي، و محمد بن محمد النسفي، و هو في نفسه صدوق

مات في حدود ٥٠٠هـ- كان متديناً. («١»)

و لكن الظاهر أنه كان حياً عام ٥١٥هـ- كما حُكي عن مواضع من «بشارة المصطفى» لتلميذه العماد الطبري.

و له ترجمة ضافية في «أعيان الشيعة».

و من آثاره الفقهية:

١. شرح النهاية لأبيه أبي جعفر.

(١) لسان الميزان: ج ٢ الترجمة ١٠٤٦.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٤٦

٢. المرشد إلى سبيل التعبد.

٣. رسالة في الجمعة.

٤. كتاب الأنوار. («١»)

٣. الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (٤٧١-٥٤٨هـ)

الشيخ الإمام أمين الدين أبو علي الطبرسي، ثقة، فاضل، دين، عين، له تصانيف، منها: «مجمع البيان» في تفسير القرآن في عشرة أجزاء، «الوسيط» في التفسير في أربعة أجزاء، «الوجيز» في التفسير أيضاً، «إعلام الوري بأعلام الهدى»، إلى غير ذلك من الآثار ذكرها منتجب الدين قال: شاهده وقرأت بعضها عليه، يروي عن الشيخ أبي الوفاء المقرئ الرازي، وعن الشيخ أبي علي الطوسي، والشيخ حسكا جد منتجب الدين، إلى غير ذلك من الأسانيد. («٢»)

وأود أن أنقل ما ذكره الذهبي الحافظ على الشيعة في حق الطبرسي إذ يقول: والحق أن تفسير الطبرسي، بصرف النظر عما فيه من نزعات تشيعية، وآراء اعتزالية، كتاب عظيم في بابه، يدل على تبخر صاحبه في فنون مختلفة من العلم والمعرفة، والكتاب يجري على الطريقة التي أوضحها لنا صاحبه في تناسق تام، و ترتيب جميل، وهو يجيد في كل ناحية من النواحي التي يتكلم عنها، فإذا تكلم عن القراءات ووجوهها أجاد، وإذا تكلم عن المعاني اللغوية للمفردات أجاد، وإذا تكلم عن أسباب النزول وشرح القصص استعرض الأقوال و أفاض، وإذا تكلم عن الأحكام، تعرض لمذاهب الفقهاء و جهر بمذهبه و نصره إن كانت هناك مخالفة

(١) لاحظ أعيان الشيعة: ٥/ ٢٤٦.

(٢) انظر ترجمته في روضات الجنات: ٥/ ٣٥٧، أعيان الشيعة: ٨/ ٣٩٨، طبقات أعلام الشيعة؛ مستدرک الوسائل: ٣/ ٣٨٧، الذريعة: ٢٠/ ٢٤، وقد ترجم له في مقدمة تفسير «مجمع البيان».

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٤٧

منه للفقهاء، وإذا ربط بين الآيات آخى بين الجمل، وأوضح لنا عن حسن السبك و جمال النظم، وإذا عرض لمشكلات القرآن أذهب الإشكال و أراح البال، وهو ينقل أقوال من تقدّمه من المفسّرين معزوة لأصحابها و يرجح و يوجه ما يختار منها... إلى أن قال: والحق أن يقال أنه ليس مغالياً في تشييعه، ولا متطرفاً في عقيدته. («١»)

ثم إن لشيخنا الطبرسي آراء فقهية ذكرها في ذيل آيات الأحكام، فمن حاول أن يطلع على آرائه الفقهية، فليرجع إلى الآيات التي تضمّت أحكاماً شرعية.

وله في الرضاع وغيره آراء خاصة مذكورة في الكتب الفقهية.

٤. قطب الدين الراوندي (المتوفى ٥٧٣هـ)

سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي مؤلف «فقه القرآن»، في بيان آيات الأحكام» و ربما يسمّى بأتم القرآن، والكتاب مرتب على ترتيب كتب الفقه، ابتداءً فيه بكتاب الطهارة، ثم الصلاة، وهكذا إلى كتاب الديات، فرغ منه سنة ٥٦٣هـ، وله كتاب «أسباب النزول». قرأ على: شيخنا أبي علي الطبرسي المفسّر، و عماد الدين الطبري، و الأخوين المرتضى و المجتبي ابني الداعي القاسم الرازي، و أبي

السعادات هبة الله بن علي الشجري، وغيرهم. (٢٠٠)

- (١) التفسير و المفسرون للذهبي: ١٠٤ / ٢.
- (٢) انظر ترجمته في روضات الجنات: ٥ / ٤ برقم ٣١٤، و مستدرک الوسائل: ٣ / ٤٤٨، طبقات أعلام الشيعة: ٣ / ١٢٤، معالم العلماء برقم ٣٦٨، الذريعة: ٧ / ١٤٥ برقم ٨٠٢.
- أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٤٨

٥. جمال الدين أبو الفتوح الرازي المتوفى (نحو ٥٥٠ هـ -)

هو الشيخ الجليل قدوة المفسرين، ترجمان كلام الله، جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن علي بن محمد بن أحمد بن الحسين بن أحمد الخزاعي الرازي يصل نسبه إلى نافع بن هذيل بن ورقاء الخزاعي من صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). يعزفه تلميذه الشيخ منتجب الدين في «فهرسته» بقوله: الشيخ الإمام جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن علي بن محمد الخزاعي، عالم، واعظ، مفسر، دين، له تصانيف منها التفسير المسمى «روض الجنان و روح الجنان» في تفسير القرآن في ٢٠ مجلدًا، و «روح الأبواب و روح الأبواب» في شرح الشهاب قرأتها عليه. (١٠١)

و ترجمه تلميذه الآخر ابن شهر آشوب في «معالمه» و قال: شيخ أبي الفتوح ابن علي الرازي، عالم، له كتاب «روض الجنان و روح الجنان» في تفسير القرآن فارسي إلّا أنه عجيب، و شرح الشهاب. (٢٠٠)

و قد ذكر المحدث النوري أن شيخنا أبا الفتوح يروي عن جماعة، منهم:

أ. الشيخ أبو الوفاء عبد الجبار الرازي.

ب. والده الشيخ علي بن محمد، الذي كان من أجلة العلماء.

ج. الشيخ أبو علي الطوسي (المتوفى نحو ٥١٥ هـ).

د. القاضي الفاضل الحسن الاسترابادي.

إلى غير ذلك من المشايخ. (٣٠٠)

- (١) منتجب الدين: الفهرست: ٤٥ برقم ٧٨.
- (٢) معالم العلماء: ١٤١ برقم ٩٨٧؛ و انظر ترجمته في أعيان الشيعة: ٦ / ١٢٤، و طبقات أعلام الشيعة: ٢ / ٧٩، و الذريعة: ١١ / ٢٧٤ برقم ١٦٩٤، و مستدرک علم رجال الحديث: ٣ / ١٧٠ برقم ٤٥٤٩، و معجم رجال الحديث: ٦ / ٥٠ برقم ٣٥٣٩.
- (٣) مستدرک الوسائل: ٣ / ٤٤٨، الفائدة الثالثة من الخاتمة.
- أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٤٩

٦. أبو جعفر محمد بن علي الطوسي المعروف بـ «ابن حمزة» (المتوفى نحو ٥٥٠ هـ -)

هو الشيخ الفقيه المتكلم الأمين، أبو جعفر الرابع، عماد الدين محمد بن علي الطوسي المشهدي المشتهر بالعماد الطوسي المشهدي، و المكنى عند فقهاءنا بـ «ابن حمزة».

قال منتجب الدين في «الفهرست»: الشيخ الإمام عماد الدين، أبو جعفر محمد بن علي بن حمزة الطوسي المشهدي، فقيه، عالم، واعظ، له تصانيف. (١٠١)

وقال الخوانساري في «الروضات»: الإمام جمال الدين، أبو جعفر الطوسي، المشهدي، شيخ، إمام، فقيه، واعظ، عالم، له تصانيف، منها: كتاب «الوسيلة». (٢)

وقد أطراه غير واحد من المترجمين بكلمات مماثلة لا حاجة إلى نقلها.
بعض أساتذته و تلاميذه

ذكر الخوانساري أنه كان يروى عن أبي علي ابن الشيخ الطوسي (المتوفى نحو ٥١٥ هـ-)، كما يروى عن محمد بن الحسن الشوهاني، حيث يروى عنه في كتابه «الثاقب في المناقب». (٣)
كما يروى عنه السيد عبد الحميد بن فخار، كما ورد ذكره في إجازة المحقق الكركي للقاضي صفى الدين، حيث ذكر ابن حمزة و قال: رويت جميع مصنفاته

(١) منتج الدين: الفهرست: ١٦٤ رقم ٣٩٠.

(٢) روضات الجنات: ٢٦٧/٦.

(٣) روضات الجنات: ٢٦٣/٦ و ٢٦٦.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٥٠

و مروياته بالأسانيد الكثيرة و الطرق المتعددة، فمنها الطرق المتعددة إلى الشيخ السعيد جمال الدين أحمد بن فهد، عن السيد العالم النسابة الحسيني، عن والده السيد عبد الحميد، عن ابن حمزة. (١)
وقد انتشر من تصانيفه كتاب «الوسيلة إلى نيل الفضيلة» و هو دورة فقهية تشتمل على قليل من الاستدلال، طبع مستقلاً عام ١٤٠٠ هـ- بعد ما طبع في ضمن الجوامع الفقهية، و في موسوعة الينابيع الفقهية.

٧. أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي المجد الحلبي (المتوفى بعد ٥٦٦ هـ-)

قال المحقق التستري: الشيخ الفقيه المتكلم النبيه، علاء الدين أبو الحسن علي بن أبي الفضل بن الحسن بن أبي المجد الحلبي - نور الله مرقده- و هو صاحب كتاب «إشارة السبق إلى معرفة الحق» في أصول الدين و فروعه إلى الأمر بالمعروف، و عندي نسخة منها يعود تاريخ كتابتها إلى سنة ٨٠٧ هـ-. (٢)

و أطراه الخوانساري في «روضاته» (٣) و شيخنا الطهراني في «طبقاته». (٤)

و الكتاب يتضمن مجموعة من المعارف و الأحكام، و قد بسط الكلام في الأول و اختصر في الثاني، فحرر أحكام الطهارة و الزكاة و الصوم و الحج و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و ختم الكلام مشعراً بأنه قد فرغ عمّا قصده، و يعرب أنّ الكتاب كان رسالة عملية للمؤلف، و قد كتبه بصورة واضحة و إن كانت براهينه في المعارف مشرقة، عالية لا يتحملها إلاّ الأمثل فالأمثل.
وقد طبع كتابه «إشارة السبق» عام ١٤١٤ هـ- مع تقديم منّا.

(١) بحار الأنوار: ١٠٨/٧٦.

(٢) مقابس الأنوار: ١٢.

(٣) روضات الجنات: ١١٤/٢.

(٤) طبقات أعلام الشيعة في القرن الخامس: ١١٩، و كان عليه أن يذكره في قسم القرن السادس.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٥١

٨. السيد ابن زهرة الحلبي (٥١١-٥٨٥هـ)

هو السيد عز الدين أبو المكارم حمزة بن علي بن أبي المحاسن زهرة يصل نسبه إلى الإمام الصادق باثنتي عشرة واسطة. يعرّفه ابن شهر آشوب في كتابه ويقول: حمزة بن علي بن زهرة الحسيني الحلبي له كتاب «قبس الأنوار في نصره العترة الأخيار» و«غنية النزوع» حسن. (١)

وقال العلامة الحلبي: حمزة بن علي بن زهرة الحسيني، قال السيد السعيد صفى الدين معد: إن له كتاب «قبس الأنوار في نصره العترة الأطهار» وكتاب «غنية النزوع». (٢)

و ينقل الزبيدي عن ابن العديم في تاريخ «حلب» أنه قال: كان فقيهاً أصولياً نظاراً على مذهب الإمامية؛ وقال ابن سعد الجواني: الشريف الطاهر عز الدين أبو المكارم حمزة، ولد في شهر رمضان سنة ٥١١هـ، وتوفي بحلب سنة ٥٨٥هـ. (٣)

إلى غير ذلك من الكلمات المتماثلة التي نقلناها برمتها عند تقديمنا لكتابه «غنية النزوع» وقد طبع و انتشر عام ١٤١٧هـ و طبع قبل ذلك أيضاً.

يروى عنه: الشيخ معين الدين المصري، و الشيخ شاذان بن جبرئيل القمي الذي كان حياً سنة ٥٨٤هـ، و الشيخ محمد بن جعفر المشهدي صاحب المزار المشهور، و أخيرهم لا آخرهم محمد بن إدريس الحلبي، و قد دارت بينهما مكاتبات و مساجلات. (٤)

(١) معالم العلماء: ٢٦ برقم ٣٠٣.

(٢) إيضاح الاشتباه: ١٦٨.

(٣) الزبيدي: تاج العروس: ٣/ ٢٤٩، مادة «زهر».

(٤) لاحظ للوقوف على مصادر روايتهم عنه و المناظرات التي دارت بينه و بين ابن إدريس تقديمنا لكتاب غنية النزوع.

أدوار الفقه الإمامي (للسبعماني)، ص: ١٥٢

تعريف بكتاب غنية النزوع

يشتمل هذا الكتاب على الأصولين و الفروع و في الحقيقة البحث فيه يدور على محاور ثلاثة:

أ. الفقه الأكبر: و هذا القسم مشتمل على مهمات المسائل الكلامية من التوحيد إلى المعاد.

ب. أصول الفقه: و هو حاو لبيان القواعد الأصولية التي يستنبط منها الأحكام الشرعية، ألفه على غرار أصول القدماء، و من فصوله النافعة بحته عن القياس و آثاره السلبية في الفقه، و قد خلت كتب المتأخرين من أصحابنا من طرح هذه المسألة، و دراسة أدلة المشبتهين و النافين، و ما هذا إلا لأن عدم حجّيته هو الأصل المسلم في فقه أهل البيت.

ج. الفروع و الأحكام الشرعية: و هي دورة فقهية استدلالية كاملة يستدل بالكتاب و السنّة النبوية و أحاديث العترة الطاهرة و الإجماع، و هذا القسم من محاسن الكتب و جلائها.

و هو في كتابه هذا يستمد من الكتاب العزيز في مسائل كثيرة، فقد استدلل بقرايه مائتين و خمسين آية، كما اعتمد على أحاديث نبوية وافرة إما استدلالاً على المطلوب، أو احتجاجاً على المخالف كما اعتمد على الإجماع في مسائل كثيرة قرابة ٦٥٠ مسألة، و هو في كتابه يسير على ضوء كتاب الانتصار و الناصريات للسيد الشريف المرتضى و كتاب الخلاف و المبسوط لشيخ الطائفة.

٩. محمد بن الحسن الكيدري من علماء القرن السادس

وصفه شيخه ابن حمزة في إجازته له بقوله: الإمام الأجل العالم الزاهد المحقق المدقق، قطب الدين، تاج الإسلام، فخر العلماء، مرجع

الأفاضل، محمد بن

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٥٣

الحسين بن الحسن الكيدري البيهقي. (١)

وقال صاحب الروضات: كان من أكمل علماء زمانه في أكثر الأفتان، وأكثرهم إفادة لدقائق العربية في جموعه الملاح الحسان. (٢)

يروى عن جماعة من مشايخنا، منهم:

١. الشيخ الإمام نصير الدين أبو طالب عبد الله بن حمزة بن عبد الله الطوسي الشارحي المشهور الذي عرّفه منتجب الدين بقوله: فقيه، ثقة، وجه؛ وهو غير محمد بن علي بن حمزة الطوسي صاحب الوسيلة، وإن كانا معاصرين، وإن زعم المحقق السيد عبد العزيز الطباطبائي - المغفور له - كونهما شخصاً واحداً. (٣)

٢. المفسر الكبير الفضل بن الحسن الطبرسي. (٤)

٣. محمد بن هبة الدين الراوندي.

ولشيخنا المترجم تأليف قيمة أشهرها «إصباح الشيعة بمصباح الشريعة» الذي ربما ينسب إلى الفقيه الصهرشتي، وهو غير صحيح وقد طبع مع تقديم منا.

١٠. الإمام سديد الدين الحمصي الرازي (المتوفى قبل ٥٨٩ هـ -)

يعرّفه منتجب الدين في «فهرسته» بقوله: علامة زمانه في الأصولين، ورع، ثقة، له تصانيف، وذكر كتبه، ثم قال: حضرت مجلس درسه سنين، وسمعت أكثر هذه الكتب في قراءة من قرأ عليه. (٥)

(١) إصباح الشيعة: ١٥، المقدمة.

(٢) روضات الجنات: ٦/ ٢٩٥ برقم ٥٨٧.

(٣) منتجب الدين: الفهرست: ١٢٥ برقم ٢٧٢. وراجع تراثنا: العدد: ٣٩٠/ ٣٠٣.

(٤) الذريعة: ٢/ ٤٣١ برقم ١٦٩٧ تحت عنوان أنوار العقول.

(٥) منتجب الدين الرازي: الفهرست: ١٦٤ برقم ٣٩٩.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٥٤

ويقول التستري: عمدة المحققين، ونخبة المدققين، علامة زمانه في الأصولين، الشيخ سديد الدين محمود بن علي الحمصي الرازي الحلبي قدس الله روحه ونور ضريحه. (١)

وشيخنا هو أحد أساتذة علم الأصول، فقد أَلّف كتاباً في علم الأصول باسم «المصادر في أصول الفقه» فيكون هو الكتاب السادس في علم الأصول من زمن المفيد إلى عصره؛ فقد أَلّف الشيخ المفيد أولاً رسالة في ذلك العلم سماها ب- «التذكرة»، وأكمله ثانياً تلميذه المرتضى باسم «الذريعة»، وتابعه في البسط والتحقيق ثالثاً تلميذه الآخر الطوسي باسم «العدة»، كما أَلّف أبو يعلى المعروف ب- «سَلار» كتاباً رابعاً باسم «التقريب في أصول الفقه»، إلى أن جاء دور ابن حمزة فأَلّف كتاباً خامساً مستقلاً أسماه «غنية النزوع في علمي الأصول والفروع» وتلاه الحمصي فأَلّف كتاباً أسماه «المصادر في أصول الفقه».

وقد ذكر أسماء تصانيفه تلميذه منتجب الدين في «فهرسته» ومن تأليفه المعروفة: «المنقذ من التقليد» يذكر في مقدمته أنه وصل إلى العراق عند منصرفه من الحرمين بالحجاز حماها الله، فورد الحلّة، فلقية جماعة من فقهاء مستبشرين بوصولهم إليهم، فأصروا عليه بالإقامة، فلبى دعوتهم وعزم على الإقامة، وفي القلب النزوع إلى الأهل والولد، وفي الخاطر التفات إلى المورد والبلد، واشتغل

بالمذاكرة و المدارس، فأقام عندهم مدرسا و مؤلفا، كتب كتابا باسم «المنقذ من التقليد و المرشد إلى التوحيد» فرغ منه عام ٥٨١هـ، و قد طبع الكتاب في جزئين، و هو ذو مادة كلامية مبسطة.

ثم إن ابن إدريس يذكره في «السرائر» بإكبار و إجلال مما يدل على تقدمه عليه في السن. (٢)

(١) مقابس الأنوار: ١١.

(٢) السرائر: ٢/٤٤٣، كتاب المزارعة.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٥٥

١١. محمد بن علي بن شهر آشوب (٤٨٨ - ٥٨٨هـ)

فخر الشيعة، و تاج الشريعة، رشيد الملّة و الدين، شمس الإسلام و المسلمين أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني الفقيه المحدث المفسر المحقق الجامع لفنون الفضائل.

يعرفه صلاح الدين الصفدي في «الوافي بالوفيات» بقوله: محمد بن شهر آشوب، أبو جعفر السروي المازندراني، رشيد الدين الشيعي، أحد شيوخ الشيعة، حفظ أكثر القرآن، و له ثمان سنين، و بلغ النهاية في أصول الشيعة، كان يرحل إليه من البلاد ثم تقدم في علم القرآن و الغريب و النحو، و وعظ على المنبر أيام المقتفي ببغداد فأعجبه و خلع عليه، و كان بهي المنظر، حسن الوجه و الشبيبة، صدوق اللهجة، مليح المحاوره، واسع العلم، كثير الخشوع و العبادة و التهجد، لا يكون إلما على وضوء، أثنى عليه ابن أبي طي في «تاريخه» ثناء كثيرا، توفي سنة ثمان و ثمانين و خمسمائة.

و قال الفيروز آبادي في كتاب «البلغة في تراجم أئمة النحو و اللغة»: محمد ابن علي بن شهر آشوب، أبو جعفر المازندراني رشيد الدين الشيعي، بلغ النهاية في أصول الشيعة، تقدم في علم القرآن و اللغة و النحو، و وعظ أيام المقتفي فأعجبه و خلع عليه، و كان واسع العلم، كثير العبادة، دائم الوجود، له: كتاب «الفصول» في النحو، و كتاب «المكنون و المخزون»، و كتاب «أسباب نزول القرآن»، و كتاب «متشابه القرآن»، و كتاب «الأعلام و الطرائق في الحدود و الحقائق»، و كتاب «الجديدة» جمع فيها فوائد و فرائد جمّة. (١)

و قال شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي المالكي تلميذ عبد

(١) مستدرک الوسائل: ٣/٤٨٥.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٥٦

الرحمن السيوطي في «طبقات المفسرين»: محمد بن علي بن شهر آشوب، أحد شيوخ الشيعة، اشتغل بالحديث، و لقي الرجال، ثم تفقه و بلغ النهاية في فقه أهل مذهبه، و نبغ في الأصول حتى صار رُحله، ثم تقدم في علم القراءات و الغريب، و التفسير، و النحو.

كان إمام عصره، و واحد دهره، و الغالب عليه علم القرآن و الحديث. (١)

و قد ترجم لنفسه في كتابه «معالم العلماء» و ذكر تصانيفه بالأسماء التالية:

١. «مناقب آل أبي طالب» طبع في أربعة أجزاء.

٢. مثالب النواصب.

٣. المخزون و المكنون في عيون الفنون.

٤. الطرائق في الحدود و الحقائق.

٥. مائدة الفائدة.

٦. المثال في الأمثال.
٧. «معالم العلماء» و هو ذيل لفهرست الشيخ الطوسي، طبع في العراق و إيران.
٨. الأسباب و النزول على مذهب آل الرسول.
٩. الحاوي.
١٠. «متشابه القرآن و مختلفه» و هو كتاب قيم، طبع في إيران.
١١. الأوصاف.
١٢. المنهاج. (٢)

(١) الداودي: طبقات المفسرين: ٢/ ٢٠١ برقم ٥٣٨.

(٢) معالم العلماء: ١١٩.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٥٧

و هو يروي عن المشايخ العظام يقول: أنبأني الطبرسي ب- «مجمع البيان لعلوم القرآن»، و بكتاب «اعلام الوري باعلام الهدى»، و أجاز لي أبو الفتوح رواية «روض الجنان و روح الجنان» في تفسير القرآن، و ناولني أبو الحسن البيهقي «حلية الأشراف» و قد أذن لي الآمدى في «غرر الحكم»، و وجدت بخط أبي طالب الطبرسي كتابه «الاحتجاج» إلى آخر ما ذكره. (١)

و العجب انّ علمين جليلين معاصرين ألفا كتابين في موضوع واحد، أعنى بهما: محمد بن شهر آشوب (المتوفى ٥٨٥ هـ-) و الشيخ منتجب الدين الرازي (و كان حياً إلى عام ٦٠٠ هـ-). فألّف الأوّل «معالم العلماء» ذيلاً لفهرست الشيخ، و ألّف الثاني «الفهرست» في هذا المضمار أيضاً، و لم يكن بينهما صلة و اطلاع عن عمل كلّ منهما.

أسباب الركود

إنّ لكلّ ظاهرة سبباً، فظاهرة الركود لم تكن اعتباطية بل نشأت لأسباب و دواعي أدّت إليه، منها:

أ. الضغط و الكبت من قبل السلطات الحاكمة آنذاك على الشيعة، كالسلاجقة في العراق، و الغزنويين في الشرق، و الأيوبيين في الشام و مصر، و أخذوا ينظرون إليهم بنظرة ملؤها الحقد و الغضب، و كانوا بصدد الانقراض على الكيان الشيعي و استئصاله، و قد حفظ لنا التاريخ بعض الأعمال التي قام بها السلاجقة ممّا يندى لها جبين الإنسانية، فقد أحرق طغرل بك مكتبة بغداد التي كانت عامرة بالكتب، و إليك هذه الوثيقة التاريخية التي تعكس لنا صورة عن المأساة التي حلّت بالشيعة:

(١) الخوانساري: روضات الجنات: ٦/ ٢٩٠ برقم ٥٨٥، نقله عن البحار في مقدّمته عن كتابه المناقب.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٥٨

يقول ابن الجوزي: و في هذه السنة- يعني: سنة ٤٤٨- أقيم الأذان في المشهد بمقابر قريش، و مشهد العتيقة، و مساجد الكرخ ب- «الصلاة خير من النوم» و أزيل ما كانوا يستعملونه في الأذان «حي على خير العمل» و قلع جميع ما كان على أبواب الدور و الدروب من «محمد و على خير البشر» و دخل إلى الكرخ منشدو أهل السنة من باب البصرة، فأنشدوا الأشعار في مدح الصحابة، و تقدّم رئيس الرؤساء إلى ابن النسوي بقتل أبي عبد الله بن الجلاب شيخ البزازين بباب الطاق، لما كان يتظاهر به من الغلو في الرفض، فقتل و صلب على باب دكانه، و هرب أبو جعفر الطوسي و نهبت داره. (١)

و يقول أيضاً في حوادث سنة ٤٤٩ هـ-: و في صفر هذه السنة كبست دار أبي جعفر الطوسي متكلم الشيعة بالكرخ، و أخذ ما وجد من

دفاتره، وكرسى كان يجلس عليه للكلام، وأخرج ذلك إلى الكرخ، وأضيف إليه ثلاثة مجانيق بيض كان الزوار من أهل الكرخ قديماً يحملونها معهم إذا قصدوا زيارة الكوفة، فأحرق الجميع. (٢٠٠)

وقال الجزرى: وفيها (أى فى هذه السنة) نهبت دار أبى جعفر الطوسى بالكرخ، وهو فقيه الإمامية، وأخذ ما فيها، وكان قد فارقتها إلى المشهد الغربى (٣٠٠). (٤٠٠)

وقال الخفاجى: لما دخل صلاح الدين الأيوبي إلى حلب عام ٥٧٩ هـ - حمل الناس على التسنن و عقيدة الأشعرى، ولا يقدم للخطابة و لا للتدريس إلا من كان

(١) ابن الجوزى: المنتظم: ٧/١٦ و ٨.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم: ١٦/١٦.

(٣) و لعل الصحيح: الغروى.

(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ: ٩/٦٣٧ و ٦٣٨.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٥٩

مقلداً لأحد المذاهب الأربعة، ووضع السيف على الشيعة وقتلهم و أبادهم مثل عمله فى مصر إلى حد يقول الخفاجى فى كتابه.

فقد غالى الأيوبيون فى القضاء على كل أثر للشيعة. (١٠١)

و فى هذا الجو المشحون بالعداء و البغضاء لا تسنح الفرصة لأى نشاط علمى، بل يغيب عندها النتاج الفكرى، فالحياء الفقهية رهن وجود ظروف مناسبة وبيئة صالحة لتنمية الأفكار.

ب. و أما السبب الثانى، فهو أنّ الشيخ الطوسى قد حظى بتقدير عظيم فى نفوس تلامذته و معاصريه على وجه رفعة عن مستوى النقد، لما قدمه من خدمات جليلة للحوزة الشيعية من إتخافها بأنواع العلوم و التأليف و تربية جيل كبير من العلماء و المفكرين.

و قد حظيت آراؤه الشخصية بقدسية نزهته عن النقد، فاستمرت تلك النظرة إلى الشيخ مدة مديدة بعده، و قد خلفه فى إدارة شؤون الحوزة نجله أبو على الطوسى الذى كان حياً إلى سنة ٥١٥ هـ.

فهذان العاملان أديا إلى الركود و الخضوع لكل ما ورثوه عن الشيخ الطوسى.

و ربّما يذكر عامل آخر للركود و هو: أنّ الشيخ بهجرته إلى النجف قد انفصل فى أكبر الظن عن تلامذته و حوزته العلمية فى بغداد، و بدأ ينشئ فى النجف حوزة فتيه حوله من أولاده أو الراغبين فى الالتحاق بالدراسات الفقهية من مجاورى القبر الشريف أو أبناء البلاد القريبة منه كالحلّة و نحوها، و نمت الحوزة على عهده بالتدريج، و على هذا الأساس فإنّ الشيخ الطوسى بهجرته إلى النجف انفصل عن حوزته الأساسية فى بغداد و أنشأ حوزة جديدة حوله فى النجف، و من الطبيعى

(١) الخفاجى: الأزهر فى ألف عام: ١/٥٨.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٦٠

انّ الحوزة الفتية التى نشأت حول الشيخ فى النجف أن لا ترقى إلى مستوى التفاعل المبدع مع التطور الذى أنجزه الطوسى فى الفكر العلمى لحدائتها، و أما الحوزة الأساسية ذات الجذور فى بغداد فلم تتفاعل مع أفكار الشيخ و لم يهاجر منهم إلى النجف إلا القليل، و لهذا لم يتسرّب الإبداع الفقهى العلمى من الشيخ إلى تلك الحوزة التى كان ينتج و يبدع بعيداً عنها، و فرق كبير بين المبدع الذى يمارس إبداعه العلمى داخل نطاق الحوزة و يتفاعل معها باستمرار و تواكب الحوزة إبداعه بوعى و تفتح، و بين المبدع الذى يمارس إبداعه خارج نطاقها و بعيداً عنها. (١٠١)

ولنا مع هذا الكلام وقفه قصيرة وهي:

١. إن الشيخ قام بجهد علمي كبير في مهجره، وهو تأليف كتاب «المبسوط» الذي يعتبر من أوسع الموسوعات الفقهية للشيعة الإمامية التي ذكر فيها فروعاً وتخريجات لم يكن لها حلول في كتب السابقين، فلو كان الجو العلمي في مهجره غير بالغ إلى هذا المستوى فالقيام بهذا الجهد يكون أمراً غريباً.

٢. إن لازم ذلك طرء الركود في بعض الحوزات دون بعض، وقد كانت للشيعة آنذاك حوزة في الكوفة وفي قم والري وخراسان لا سيما في منطقة «بيهق» و «كيدر» و «نيسابور»، فلو كان هذا مبرراً لطرء الركود فيجب أن يختص بحوزة دون أخرى. ومهما يكن من أمر فإن ظاهرة الركود قد تفتت في كافة الحوزات وكان النتاج الفقهي في تلك الفترة أقل بكثير مما كان عليه في الدور المتقدم.

(١) الشهيد محمد باقر الصدر: المعالم الجديدة: ٦٥-٦٦.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٦١

مميزات هذا الدور

القضاء الحاسم في نتائج الجهود التي بذلها فقهاؤنا في هذه الفترة بحاجة إلى دراسة الكتب المدونة فيها وهي بين مسهب و مقتضب، وهي فوق ما نرومه في هذا المقال، ويمكن أن نلخص نتائج الجهود العلمية في هذه الفترة بالأمر التالي:

الأول: الموسوعة الفقهية

قد ألف ابن البراج الطرابلسي (٤٠٠-٤٨١ هـ) موسوعة على ضوء المبسوط للشيخ الطوسي، ولكن بإيجاز و تلخيص، وقد فرغ من تأليفها عام ٤٦٧ هـ، وهي موسوعة دون «المبسوط» و فوق ما ألف قبله.

الثاني: تدوين المتون الفقهية

قد ألفت في هذه الفترة متون فقهية على صعيد عال فوق ما تحظى به المتون السابقة كالمقنعة و النهاية للمفيد و الشيخ.

١. فقد ألف الفقيه أبو جعفر محمد بن علي الطوسي المعروف ب- «ابن حمزة» (المتوفى نحو ٥٥٠ هـ) كتاب «الوسيلة» و هو كتاب فقهى يشتمل على جميع الأبواب الفقهية مقروناً بالاستدلال الموجز.

٢. كما ألف السيد حمزة بن علي بن زهرة كتاب «غنية النزوع إلى علمي الأصول و الفروع» و مع أنه كتاب واحد إلا أنه يشتمل على متون في العقائد، و أصول الفقه، و الفقه.

و قد أسهب في الاستدلال أكثر ممن سبقه.

٣. كما ألف محمد بن الحسن الكيدري «إصباح الشيعة بمصباح الشريعة» و قد مشى على ضوء غنية النزوع، و هو مع اشتماله على جميع الأبواب لا يسهب في

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٦٢

الاستدلال.

و هناك متون فقهية أخرى ألفت في تلك الفترة، فمن أراد فليرجع إلى طبقات الفقهاء في القرن الخامس و السادس.

الثالث: العناية بعلم الأصول

نجد في هذه الفترة عناية بعلم الأصول لا سيما العنصر العقلي و إدخاله في مصب الاستدلال، فقد جعله ابن زهرة قسماً من كتاب «الغنية» في علم الأصول، و القارئ يجد فيه الاعتماد الواضح على العقل في مجالات خاصة كما يعتمد على سائر الأدلة.

كما أَلَّف الإمام سديد الدين الحمصي الرازي كتاباً باسم «المصادر في أصول الفقه» تناول فيه العنصر العقلي أكثر ممّن سبقه لصلوعه في المسائل العقلية كما يظهر ذلك من كتابه القيم «المنقذ من التقليد».

الرابع: العناية بفقه القرآن

يعد القرآن أساس التشريع الإسلامي، ففيه آيات تعدُّ أسساً للتشريع، وقد أفردتها قطب الدين الراوندي بالتأليف أسماه «فقه القرآن» و قد طبع في ثلاثة أجزاء، وهو كتاب ممتع جداً.

نعم بحث عنها غيره في ثنايا تفسير القرآن الكريم كالطبرسي في «مجمع البيان»، و أبي الفتوح الرازي في «روض الجنان». هذا بعض ما يمكن أن يعد ميزة لهذا الدور، و استيعاب الميزات رهن الإحاطة بكافة تصانيف هذا الدور من الكتب لا سيما الفقهية و الأصولية منها.

و هدفنا من هذه الدراسة تمهيد السبيل أمام المعنيين بتاريخ علم الفقه كي يتناولوا تلك التصانيف بشيء من الدقة و العناية و الإحاطة. أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٦٣

أدوار الفقه الإمامي

٤

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٦٥

الدور الرابع تجديد الحياة الفقهية (٦٠٠-١٠٣٠هـ)

القرن السابع

إشارة

الضابطة في تمييز كل دور عمّا سبقه وجود تفاوت جوهري بين الدورين، ففي الفترة التي سبقت هذا الدور كان الركود سائداً على ربوع التفكير الفقهي لكن يابداً في العرض و تغيير في البيان، و لم يكن ثمة تطور جوهري طرأ على التفكير الفقهي، و هذا بخلاف ما سنستعرضه في هذا الدور ففيه تجديد للحياة الفقهية بأساليب مبتكرة، و قواعد غير مذكورة في كتب السابقين و عناية و افرة بأصول الفقه و تنوع في التأليف.

و قد سبق أن مشايخنا انقادوا و أذعنوا لفتاوى الشيخ و استدلالاته فلم يخرجوا عن ذلك الطور إلّا قليلاً، حتى ظهر على مسرح الفكر الفقهي فقيه فذ، ذو فكر و قَاد، و ذهن جَوَال، آب عن التقليد تابع لما يقوده إليه فكره ألا و هو محمد بن إدريس الحلبي، فإنه وقف و هو في العقد الرابع من عمره على توقف الركب الفقهي عن السير، و ان كل ما تمخضت عنه الساحة الفكرية كان في الواقع تقليداً للشيخ الطوسي ليس إلّا، فشمر عن ساعد الجدّ و أحدث انقلاباً عارماً في حقل الاجتهاد و الاستنباط، و إليك البيان.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٦٦

[فهاء القرن السابع]

١. ابن إدريس مجدّد الحياة الفقهية (٥٤٣-٥٩٨هـ)

يعد ابن إدريس أوّل من خطا بالفقه خطوات واسعة، فلنبدأ بذكر سيرته.

يعرّفه التستري بقوله: الشيخ الفاضل، الكامل، المحقّق المدقّق، عين الأعيان، و نادرة الزمان، فخر الدين، أبو عبد الله محمد بن إدريس

أو أحمد بن إدريس العجلي الربعي الحلّي نور الله مرقدته.

روى عنه: الشيخ النبيل الجليل، قدوة المذهب، صاحب المصنّفات، نجيب الدين أبو إبراهيم محمد بن نما الربعي، و السيد السند قدوة الأدباء و النسابة و الفقهاء صاحب المصنّفات شمس الدين أبو علي فخار بن معد الموسوي الحائري. (١)

يقول المحدث النوري: الشيخ الفقيه، و المحقق النبيه، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إدريس الحلّي العجلي، العالم الجليل، المعروف الذي أذعن بعلو مقامه في العلم و الفهم و التحقيق و الفقهاء أعظم الفقهاء في إجازاتهم و تراجمهم، ثم ذكر وصف العلماء إياه في إجازاتهم. (٢)

و لأجل أن يقف القارئ على مدى الجهود العلمية التي بذلها ابن إدريس في رفع المستوى العلمي و الفقهي نذكر نصّ عبارته في أوّل «السرائر»، و إن مرّ ذكره في الدور السابق أيضاً.

إنّي لمّا رأيت زهد أهل هذا العصر في علم الشريعة المحمدية و الأحكام الإسلامية، و تناقلهم عن طلبها، و عداوتهم لما يجهلون، و تضييعهم لما يعلمون، و رأيت ذا السن من أهل دهرنا هذا لغلبة الغباوة عليه، و ملكه الجهل لقياده،

(١) مقابس الأنوار: ١١.

(٢) مستدرك الوسائل: ٣ / ٤٨١.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٦٧

مضيقاً لما استودعته الأيام، مقصراً في البحث عمّا يجب عليه علمه حتى كأنه ابن يومه و نتيج ساعته ... و رأيت العلم عنانه في يد الامتهان، و ميدانه قد عطل من الرهان، تداركت منه الذماء الباقي، و تلافيت نفساً بلغت التراقي. (١)

فابن إدريس بكتابه هذا أوّل من نفّض غبار الركون عن كاهل الفقه الشيعي، و اقتفاه جلاً من تأخروا عنه و إن اختلفوا معه في أشياء و أشياء، و لكن الضجة التي أثارها تركت أثرها في شحذ الهمم نحو عرض الفقه بأسلوب أكثر علمية.

و قد أصيب في جهاده العلمي بوابل من الطعنات اللاذعة، لكنّها لم تؤثر في عزمه الراسخ نحو ما تصبو إليه نفسه، و هو بتأليف كتابه الرائع «السرائر» قد قضى على التقليد الفكري، و أطاح به، و أخذ بطرح أفكاره في ثنايا كتابه، مندداً بالمتفكّهة و المقلّدة، و هو مع إجلاله للشيخ الطوسي أخذ ببيان المواضع التي يخالفه فيها مدعومة بالبرهان.

و أخذ يدافع عن وجهه نظره بأمرين:

الأوّل: بإقامة البراهين الدامغة على رأيه وفق منهجه، و هو عدم حجّية خبر الواحد، و انحصار الحجّية بالكتاب و الخبر المتواتر و الإجماع و العقل.

الثاني: محاولة عدم الانفراد بالرأى و تعزيزه بموافقة الشيخ الطوسي له على هذا الرأى في بعض كتبه، أو أنّ ما ذكره الشيخ إنّما ذكره إيراداً لا-اعتقاداً، إلى غير ذلك من المحاولات التي كان الهدف من ورائها استقطاب موافقة من تقدّم عليه حتى ربما يقتصر على الموافقة التي ربما تلوح من عبارة الشيخ.

يقول هو في حكم الماء النجس المتمم كراً: الشيخ أبو جعفر الطوسي (رحمه الله)

(١) مقدّمة المؤلّف على كتابه السرائر: ١ / ٤١.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٦٨

الذي يُتمسك بخلافه، و يُقلّد في هذه المسألة و يُجعل دليلاً، يقوّى القول و الفتيا بطهارة هذا الماء في كثير من أقواله، و أنا أبين إن شاء الله أنّ أبا جعفر (رحمه الله) يفوح من فيه رائحة تسليم المسألة بالكلية، إذا تؤمّل كلامه و تصنيفه حقّ التأمل، و أبصر بالعين

الصحيحة، و أحضر له الفكر الصافي فأنه فيه نظر و لبس، و لتفهم عنى ما أقول. (١١)

مراسلاته مع فقهاء عصره

كان ابن إدريس فقيهاً دءوباً في العمل، و كانت له صلة وثيقة بمعاصريه من فقهاء كلا الفريقين، و ثمة وثيقتان تاريخيتان تؤكّدان ذلك.

١. قال في كتاب المزارعة: و أنّ الزكاة على المزارع أو العامل. و قال بعض أصحابنا المتأخرين في تصنيف له: كلّ ما كان البذر منه و جب عليه الزكاة، و لا يجب الزكاة على من لا يكون البذر منه، قال: لأنّ ما يأخذه كالأجرة (فعلى ما ذكره، الزكاة على المزارع دون العامل) ثمّ قال: و القائل بهذا هو السيد العلوى أبو المكارم ابن زهرة الحلبي (رحمه الله) شاهدته و رأيته و كاتبته و كاتبني و عرّفته ما ذكره في تصنيفه من الخطأ، فاعتذر (رحمه الله) بأعذار غير واضحة، و أبان بها أنّه ثقل عليه الرد، و لعمرى إنّ الحق ثقيل كلّه، و من جملة معاذيره و معارضاته لى في جوابه، أنّ المزارع مثل الغاصب للحب إذا زرعه، فإنّ الزكاة تجب على ربّ الحب دون الغاصب. و هذا من أفبح المعارضات و أعجب التشبهات، و إنّما كانت مشورتى عليه أن يطالع تصنيفه و ينظر فى المسألة و يغيّرها قبل موته، لئلاّ يستدرك عليه مستدرك بعد موته، فيكون هو المستدرك على نفسه، فعلت ذلك، علم الله شفقه و ستره عليه

(١) ابن إدريس: السرائر: ١/ ٦٦، أحكام المياه.

أدوار الفقه الإمامي (للسبعماني)، ص: ١٦٩

و نصيحة له، لأنّ هذا خلاف مذهب أهل البيت. (١١)

٢. يقول فى مسألة الطلاق ثلاثاً: و قد كتب إلى بعض فقهاء الشافعية و كانت بينى و بينه مؤانسة و مكاتبة: هل يقع الطلاق الثلاث عندكم، و ما القول عند فقهاء أهل البيت (عليهم السلام)؟

فأجبتة أمّا مذهب أهل البيت فإنّهم يرون أنّ الطلاق الثلاث بلفظ واحد فى مجلس واحد و حالة واحدة و من دون تخلل المراجعة لا يقع منه إلّا واحدة، و من طلق امرأته تطلقه واحدة و كانت مدخولاً بها كان له مراجعتها بغير خلاف بين المسلمين، إلى آخر ما ذكره من المطالب الشيقة، و قد استغرق عدّة صحائف. (٢٢)

توفى ابن إدريس و ترك تراثاً علمياً و ربّياً جيلاً من روّاد العلم، انتهلوا من معين علمه، و نذكر الآن أسماء لفيف من المشاهير الذين لم تخمد جذوة الإبداع التى أوجدها ابن إدريس فى قلوبهم، بل واصلوا النهج الذى اختطّه لهم و بثّوا أفكاره فى جميع المحافل العلمية.

٢. الفقيه معين الدين المصرى (كان حياً عام ٦٢٩ هـ -)

سالم بن بدران بن على المصرى المازنى صاحب كتاب «التحرير» الحاوى على أحكام الموارث، و قد ذكر بعض كلماته المحقّق الطوسى فى «الفرائض النصيرية» معبراً عنه: شيخنا الإمام معين الدين، و قد قرأ عليه المحقّق الطوسى كتاب «إصباح الشيعة بمصباح الشريعة» و أجاز له عام ٦٢٩ هـ، و الإجازة مطبوعة فى تقديمنا على كتاب الغنية. (٣٣)

(١) ابن إدريس: السرائر: ٢/ ٤٤٣.

(٢) ابن إدريس: السرائر: ٢/ ٦٧٨ - ٦٨٥.

(٣) مقابس الأنوار: ١٢، وله ترجمة في رياض العلماء: ٢/ ٤٠٨ - ٤١١ و أعيان الشيعة: ٧/ ١٧٢ - ١٧٣.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٧٠

٣. شمس الدين فخار بن معد بن فخار (المتوفى ٦٣٠ هـ -)

شمس الدين فخار بن معد بن فخار الموسوي الحائري، قال الشيخ الحر العاملي: كان عالماً، فاضلاً، أديباً، محدثاً، له كتب، منها: كتاب «الرد على الزاهب إلى تكفير أبي طالب» حسن جيد، وغير ذلك، يروي عنه المحقق المتوفى (٦٧٦ هـ) و يروي هو عن ابن إدريس الحلّي، و عن ابن شاذان بن جبرئيل القمي وغيرهما. (١)

و وصفه شيخنا الشهيد الثاني في إجازته: بإمام الأدباء و الفقهاء.

و يروي عنه من علماء أهل السنة ابن أبي الحديد (المتوفى ٦٥٥ هـ) و أبو الفرج الجوزي، و القاضي أبو الفتح محمد بن أحمد المنداني الواسطي، الذي يروي هو عن ابن الجواليقي وغيره. (٢)

٤. نجيب الدين محمد بن جعفر بن نما الحلّي (٥٦٥ - ٦٤٥ هـ -)

إنّ بيت ابن نما من أعرق البيوت العلمية في الحلّة الفيحاء، التي انجبت العديد من العلماء الفطاحل الذين ضنّ بهم الدهر إلّا في فترات يسيرة، فلنقتصر على ترجمة الوالد و الولد.

أمّا الوالد، فهو نجيب الدين أبو إبراهيم محمد بن جعفر بن هبة الله بن نما ابن علي بن حمدون الحلّي، شيخ الفقهاء في عصره، أحد مشايخ المحقق الحلّي المتوفى (٦٧٦ هـ) و الشيخ سديد الدين، والد العلامة الحلّي، و السيد أحمد بن طاوس، و السيد رضى الدين بن طاوس.

(١) أمل الآمل: ٢/ ٢١٤ برقم ٦٤٦.

(٢) و قد ترجمه الخوانساري في «روضات الجنات»: ٥/ ٣٤٦ برقم ٥٤٠، و البحراني في لؤلؤة البحرين: ٢٨٠، و النوري في مستدرک الوسائل: ٣/ ٤٧٩.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٧١

قال المحقق الكركي في وصف المحقق الحلّي: و أعلم مشايخه بفقّه أهل البيت الشيخ الفقيه السعيد الأوحّد محمد بن نما الحلّي، و أجلّ أشياخه الإمام المحقق قدوة المتأخرين فخر الدين محمد بن إدريس الحلّي العجلي بزد الله مضجعه.

فالمترجم من خريجي مدرسة ابن إدريس.

و أمّا الولد، فهو الشيخ الفقيه نجم الدين جعفر بن محمد بن هبة الله بن نما الحلّي، كان عظيم الشأن، جليل القدر، من مشايخ آية الله العلامة الحلّي المتوفى (٧٢٦ هـ) و صاحب المقتل الموسوم ب- «مثير الأحزان».

فالوالد من مشايخ المحقق الحلّي، و الولد من مشايخ العلامة الحلّي، و يظهر من القصيدة التي نظمها جواباً لبعض الحاسدين انّ بيت ابن نما كان بيتاً رفيعاً مرموقاً مشهوراً بالفضائل، قال:

أنا ابن نما إن نطقت فمنطقي*** فصيح إذا ما مصقع القوم اعجما

بنى والدى نهجاً إلى ذلك العلى*** بأفعاله كانت إلى المجد سلماً

كبنيان جدى جعفر خير ماجد*** فقد كان بالإحسان و الفضل مغرماً

و جدى أبا الخير الفقيه أبى البقا*** فما زال فى نقل العلوم مقدا (١١))

٥. المحقق الحلى نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الحلى (٦٠٢-٦٧٦هـ)

هو الشيخ أبو القاسم نجم الملة و الدين، الملقب بالمحقق على الإطلاق،

(١) اقرأ ترجمة الوالد و الولد فى روضات الجنات: ٢٩٤ / ٦ برقم ٥٨٦، ١٧٩ / ٢ برقم ١٦٩، و الكنى و الألقاب: ١ / ٤٤١، و غيرها.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٧٢

الغنى عن الإطراء، المشهور بالآفاق بتلاميذه و تأليفه، و يكفى فى مقامه أن كتابه «شرائع الإسلام» أصبح كتاباً دراسياً منذ تأليفه إلى يومنا هذا، و صار محطاً للشرح و التعليق عبر القرون، و قد وصفه العلامة الحلى فى إجازته لبنى زهرة من أنه كان أفضل أهل عصره فى الفقه، و استدركه الشيخ حسن صاحب المعالم بقوله: لو كان ترك التقييد بأهل زمانه كان أصوب إذ لا أرى فى فقهاؤنا مثله على الإطلاق.

و ذكره ابن داود فى «رجال» بقوله: جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الحلى، شيخنا نجم الدين، أبو القاسم المحقق المدقق الإمام العلامة، واحد عصره، كان ألسن أهل زمانه، و أقومهم بالحجة، و أسرعهم استحضاراً، و قرأت عليه، و ربانى صغيراً، و كان له على إحسان عظيم و التفات، و أجاز لى جميع ما صنفه و قرأه و رواه، و كل ما يصح روايته عنه. توفى فى شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٦ هـ، و له تصانيف حسنة محققة محررة عذبة، فمنها: كتاب «شرائع الإسلام» مجلدان، و كتاب «المختصر النافع» مجلد، و كتاب «المعتبر فى شرح المختصر» لم يتم مجلدان، و كتاب «نكت النهاية» مجلدان، و كتاب: «المسائل الغريبة» مجلد، و كتاب «المسائل المصرية» مجلد، و كتاب «المسلك» فى أصول الدين مجلد، و كتاب «الكهنة» فى المنطق مجلد، و له كتب أخرى ليس هذا موضع استيفائها فأمرها ظاهر، و له تلاميذ فقهاء فضلاء. (١١))

حكى أن المحقق نصير الدين الطوسى حضر درس المحقق و طلب منه إكمال الدرس، فجرى البحث فى مسألة استحباب التياسر (يعنى فى العراق) فقال المحقق الطوسى: لا وجه للاستحباب، لأن التياسر إن كان من القبلة إلى غيرها

(١) ابن داود: الرجال: ١ برقم ٣٠٠؛ و انظر ترجمته فى روضات الجنات: ١٨٣ / ٢، برقم ١٧٠. و لشيخنا المحقق ترجمة وافية فى غير واحد من الكتب، فلاحظ رجال ابن داود: القسم الأول برقم ٣٠٠، و أعيان الشيعة: ٨٩ / ٤، مقابس الأنوار: ١٢، و الكنى و الألقاب: ٢ / ١٥٤.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٧٣

فهو حرام، و إن كان من غيرها إليها فواجب، فقال المحقق فى الحال: بل منها إليها، فسكت المحقق الطوسى.

ثم ألفت المحقق فى ذلك رسالة لطيفة أوردتها الشيخ أحمد بن فهد فى «المهذب» بتمامها، و أرسلها إلى المحقق الطوسى فاستحسنها، و كان مرجع أهل عصره فى الفقه، يروى عن أبيه عن جده يحيى الأكبر. (١١))

إن كل ما انتج يراع شيخنا المحقق أثر خالد على جبين الدهر، لا سيما كتابيه «شرائع الإسلام» و «المعتبر»، فإن لهما قيمة علمية كبيرة لم تتناول يد الزمان عليهما.

فكتاب شرائع الإسلام فى مسائل الحلال و الحرام، و هو من أحسن المتون الفقهية ترتيباً، و أجمعها للفروع، و قد ولع به الأصحاب من لدن عصر مؤلفه إلى الآن، و لا يزال من الكتب الدراسية فى حواضر العلم الشيعية، و قد اعتمد عليه الفقهاء خلال هذه القرون العديدة فاتخذوه محوراً لبحوثهم و دراساتهم، و كتبوا عليه شروحاً و حواشى كثيرة، و يكفيك أن معظم الموسوعات الفقهية الضخمة التى

ألقت بعد عصر المحقق كلها شروح له، وقد ذكر أسامى تلك الشروح شيخنا المجيز في «الذريعة إلى تصانيف الشيعة». (٢) و أما كتاب «المعتبر في شرح المختصر» فقد شرح فيه كتابه الآخر «المختصر النافع» الذي هو مختصر كتابه «شرائع الإسلام» خرج منه العبادات إلى كتاب الحج وبعض التجارات، وطبع أخيراً في جزءين. و الكتاب من أنفس الكتب الفقهية الاستدلالية لا يقاس بغيره، وقد كان السيد المحقق البروجردى (١٢٩٢ - ١٣٨٠ هـ) يذكره في دروسه الشريفة بإجلال وإكبار، ويقول لم يؤلف على غراره تأليف.

(١) الكنى والألقاب: ١٥٤/٢.

(٢) الذريعة: ١٣/٤٧ برقم ١٦١.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٧٤

٦. أحمد بن موسى بن جعفر بن طاوس (المتوفى ٦٧٣ هـ)

يعرفه تلميذه ابن داود بقوله: سيدنا الطاهر، الإمام المعظم، فقيه أهل البيت جمال الدين أبو الفضائل، مات سنة ثلاث و سبعين و ستمائة، مصنف، مجتهد، كان أروع فضلاء زمانه، قرأت عليه أكثر «البشرى» و «الملاذ» و غير ذلك من تصانيفه، و أجاز لى جميع تصانيفه و رواياته، و كان شاعراً مصقفاً، بليغاً منشئاً مجيداً، من تصانيفه: كتاب «بشرى المحققين» فى الفقه ستة مجلدات، و كتاب «الملاذ» فى الفقه أربعة مجلدات، كتاب «الكر» مجلد، كتاب «السهم السريع» فى تحليل المبايعه مع القرض مجلد، كتاب «الفوائد العدة» فى أصول الفقه مجلد، كتاب «الثاقب المسخر على نقض المشجر» فى أصول الدين، كتاب «الروح» نقضاً على ابن أبى الحديد، كتاب «شواهد القرآن» مجلدان، كتاب «بناء المقالة العلوية فى نقض الرسالة العثمانية» مجلد، كتاب «المسائل» فى أصول الدين مجلد، كتاب «عين العبرة فى غبن العترة» مجلد، كتاب «زهرة الرياض» فى المواعظ مجلد، كتاب «الاختيار فى أدعية الليل و النهار» مجلد، كتاب «الازهار» فى شرح لامية مهيار مجلدان، كتاب «عمل اليوم و الليلة» مجلد، و حقق الرجال و الرواية و التفسير تحقيقاً لا مزيد عليه، ربانى و علمنى و أحسن إلئى، و أكثر فوائد هذا الكتاب من إشاراته و تحقيقاته جزاه الله عنى أفضل جزاء المحسنين. (١)

و ممّا يجب إلفات نظر القارئ إليه هو أنه (قدس سره) أول من اخترع تفرّيع الخبر إلى أقسامه الأربعة المشهورة: الصحيح، الحسن، الموثق، و الضعيف، بعد ما كان الصحيح عند القدماء بغير المعنى الذى اصطلحه هو عليه، و قد ذكرنا وجه الفرق

(١) ابن داود الحلبي: الرجال، برقم ١٣٧؛ و انظر ترجمته فى روضات الجنات: ٧/٦٦ برقم ١٥، و الكنى و الألقاب: ١/٣٤٠، إلى غير ذلك من الكتب.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٧٥

و سبب تنويع الأخبار إلى الأقسام الأربعة فى كتابنا «كليات فى علم الرجال». (١)

و ممّا يؤسف له انّ موسوعاته الفقهية باسم «بشرى المحققين» فى ستة أجزاء، و كتاب «ملاذ العلماء» فى أربعة أجزاء ممّا لعب به الزمان، فلم نعثر على نسخة منها.

ثم إن من تأليفه «حلّ الإشكال فى معرفة الرجال» و كانت نسخة الكتاب موجودة عند الشهيد الثانى، ثم انتقلت إلى ولده الشيخ حسن صاحب المعالم، فجدّد صياغة الكتاب و أسماه ب- «التحرير الطاوسى».

و قد صبت الحركة الأخبارية- التى ظهرت فى أوائل القرن الحادى عشر- حمم غضبها على ابن طاوس و تلميذه العلامة الحلبي من جزاء تنويعهما الأخبار بهذا النحو الذى ذكرناه.

٧. الفقيه البارع يحيى بن سعيد الحلبي (٦٠١-٦٨٩)

عَرَفَهُ ابن داود في رجاله بقوله: يحيى بن أحمد بن سعيد، شيخنا الإمام الورع القدوة، كان جامعاً لفنون العلم الأديبة و الفقهية و الأصولية، و كان أورع الفضلاء و أزهدهم، له تصانيف جامعة للفوائد، منها: كتاب «الجامع للشرائع» في الفقه، كتاب «المدخل» في أصول الفقه، و غير ذلك، مات سنة ٦٨٩ هـ. (٢)

و قال الأفتدى التبريزى في كتابه القيم «رياض العلماء»: كان (قدس سره) مجمعاً على فضله و علمه بين الشيعة و عظماء أهل السنة. (٣)

(١) كليات في علم الرجال: ٣٥٩.

(٢) ابن داود: الرجال: برقم ١٦٦٠.

(٣) رياض العلماء: ٥ / ٣٣٦.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٧٦

قال السيوطى في «بغية الوعاة» في طبقات اللغويين و النحاة نقلاً عن الذهبي أنه قال: لغوى، أديب، حافظ للآثار، بصير باللغاة و الأدب، من كبار الرافضة. (١)

و قد ترجمنا له ترجمته وافية في تقديمنا لكتابه «الجامع للشرائع».

و من لطائف آثاره كتابه «نزهة الناظر في الجمع بين الأشباه و النظائر» و قد غفل عن ذكره ابن داود في «رجال» و هو كتاب سيق في الفقه يذكر لمسألة واحدة نظائرها و أشباهها.

و قد طبع من آثاره: «الجامع للشرائع» بتقديم منّا و «نزهة الناظر».

٨. غياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن طاوس (٦٤٨-٦٩٣ هـ)

يعرفه المحدث النورى في «المستدرک» بقوله: نادرة الزمان، و أعجوبة الدهر، صاحب المقامات و الكرامات.

و يعرفه أيضاً تلميذه ابن داود في «رجال»: سيدنا الإمام المعظم، غياث الدين، الفقيه النسابة النحوى العروضى الزاهد العابد أبو المظفر، انتهت رئاسة السادات و ذوى النواميس إليه، و كان أوحد زمانه، حائري المولد، حلى المنشأ، بغدادى التحصيل، كاظمى الخاتمة، ولد في شعبان سنة ٦٤٨ هـ، و توفى في شوال سنة ٦٩٣ هـ، و كان عمره خمساً و أربعين سنة و شهرين و أياماً، كنت قرينه طفلين، إلى أن توفى قدس الله روحه، ما رأيت قبله و لا بعده بخلقه و جميل قاعدته و حلو معاشرته ثانياً، و لا لذكائه و قوة حافظته مماثلاً، ما دخل في ذهنه شىء فكاد ينساه، حفظ القرآن في مدة يسيرة و له إحدى عشرة سنة، استقل بالكتابة و استغنى عن المعلم في أربعين يوماً و عمره إذ ذاك أربع سنين، و لا تحصى مناقبه و فضائله.

(١) بغية الوعاة: ٢ / ٣٣١.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٧٧

له كتب، منها: كتاب «الشمل المنظوم في مصنفى العلوم» ما لأصحابنا مثله، و كتاب «فرحة الغرى» و غير ذلك. (١)

٩. سديد الدين يوسف بن المطهر الحلبي

هو الشيخ يوسف بن الشيخ شرف الدين علي بن مطهر الحلبي، والد العلامة الحلبي، وأستاذه الأقدم في الفقه والأدب والأصول، يعرفه ابن داود في «رجال» بقوله: كان فقيهاً، محققاً، مدرساً، عظيم الشأن. (٢) وقال الحر العاملي: فاضل، فقيه، متبحر، نقل ولده العلامة أقواله في كتبه. (٣) و يكفى في عظمته وسعة آفاق علمه أن ولده العلامة تتلمذ عليه. و يظهر من أجوبة العلامة لأسئلة السيد المهنا أن والده كان فقيهاً فحلاً، حيث يذكر هناك ما دار بينه وبين والده من الاختلاف في مسألة، فمن أراد فليرجع إليه. (٤)

١٠. الحسن بن أبي طالب اليوسفي الآبي (كان حياً عام ٦٧٣ هـ -)

هو عز الدين الحسن بن أبي طالب اليوسفي المكنى بـ «أبي زينب» المعروف بالفاضل الآبي، وصفه العلامة المامقاني بقوله: عالم، فاضل.

ترجمه العلامة الطباطبائي بقوله: أحد تلامذة المحقق الحلبي و شارح كتابه «النافع» المسمى «كشف الرموز» و هو أول من شرح هذا الكتاب، عالم، فاضل،

(١) ابن داود: الرجال: برقم ٩٤٧.

(٢) ابن داود: الرجال: برقم ٤٦١.

(٣) أمل الآمل: ٢ / برقم ١٠٨١.

(٤) أجوبة المسائل المهنية.

أدوار الفقه الإمامي (للسبغاني)، ص: ١٧٨

محقق، فقيه، قوى الفقه، حكى الأصحاب كالشهيدين والسيوري وغيرهم أقواله ومذاهبه في كتبهم، ويعبرون عنه بالآبي و أبي زينب، و شارح النافع، و تلميذ المحقق. و شهرة هذا الرجل دون فضله و علمه أكثر من ذكره و نقله، و كتابه «كشف الرموز» كتاب حسن مشتمل على فوائد كثيرة و تنبيهات جيدة مع ذكر الأقوال والأدلة على سبيل الإيجاز و الاختصار، و يختص بالنقل عن السيد ابن طاوس أبي الفضائل في كثير من المسائل، و له مع شيخه المحقق مخالفات و مباحثات في كثير من المواضع؛ و هو ممن اختار المضايقة في القضاء، و تحريم الجمعة في زمان الغيبة، و حرمان الزوجة من الرباع و إن كانت ذات ولد، و قد فرغ من كتابه سنة ٦٧٢ هـ. (١)

و قد توفي المحقق الماتن عام ٦٧٦ هـ - و شيخنا الآبي قد فرغ من شرح الكتاب و الماتن على قيد الحياة.

يقول في مقدمة الكتاب: بعد ذكر توجهه إلى الحلّة السيفية، يعزّفها بقوله: فكم بها من أعيان العلماء بهم التقية، و المعارف الفقهاء، بأيهم اقتديت اهتديت؛ و كان صدر جريدتها، و بيت قصيدتها، جمال كمالها، و كمال جمالها، الشيخ الفاضل الكامل، عين أعيان العلماء، و رأس رؤساء الفضلاء، نجم الدين حجة الإسلام أبا القاسم جعفر بن الحسن بن سعيد عظم الله قدره و طول عمره.

فاستسعدت بهاء طلعتته، و استفدت من جنى ثمرته في كلّ فصل من كلّ فنّ، و صرفت أكثر همي و سابق فهمي إلى العلوم الدينية الفقهية و الكلامية، إذ لا تدرّك إلّا بكمال العقل و صفاء الذهن، و عليها مدار الدين و تحقيق اليقين. (٢)

(١) انظر إلى الفوائد الرجالية: ٢ / ١٧٩ و ترجمه أيضاً المامقاني في تنقيح المقال: ١ / ٢٦٧.

و الحقّ أنّ فضل الرجل قد اختفى، لأجل عدم توفر ترجمته وافية له في المعاجم.

(٢) المحقّق الآبي: مقدّمة كشف الرموز: ١/ ٣٨.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٧٩

ثمّ يذكر أنّ لأستاذه المحقّق كتابين: ١. شرائع الإسلام، ٢. منتخبه النافع.

فيقول: التمس منّي بعض إخواني في الدين أن أكشف قناع الإشكال عن رموزات كتاب «النافع» أعني: كتاب «مختصر الشرائع» إلى أن يقول: فوجدت طاعته راحة، و إجابته طاعة، ففقت به مستعيناً بمسبب الأسباب و مسهل الصعاب. و يقول في آخر الكتاب: و اتفق فراغ مصنّفه في سنة ٦٧٢ هـ، و كلّما يذكر قول الماتن يردفه بقوله دام ظلّه إلى آخر الكتاب، و هو يدل على أنّ التلميذ برع في عهد أستاذه حتى صنّف دورة فقهية استدلالية في زمن المؤلّف، و قد طبع الكتاب في جزئين طبعة محقّقة.

١١. الشيخ عماد الدين علي بن محمد الطبري (كان حيّاً عام ٦٩٨ هـ -)

عماد الدين الحسن بن علي بن محمد بن علي بن حسن الطبري المعروف بـ «عماد الدين الطبري» كان حيّاً سنة ٦٩٨ هـ. يعرفه سيدنا الأمين بقوله: متكلم، فقيه، معاصر للمحقّق الطوسي و المحقّق الحلّي، و أقواله منقولة في كتب الفقه، و يعبرون عنه فيها بالعماد الطبري، و بعماد الدين الطبري، و قد نقل شيخنا الشهيد الثاني رأيه في رسالته الجمعة، و ليس رأيه إلّا أنّ وجوب الجمعة موقوف على حضور السلطان العادل المبسوط اليد. (١١)

و قال الأفندي التبريزي: هو عالم، فاضل، متبحر، جامع، دين، كان من أفاضل علماء طبرستان، و من المعاصرين لتصير الدين الطوسي. و قد أُلّف في غير واحد من الموضوعات تربو على ١٧ كتاباً، ففي الفقه أُلّف

(١) السيد الأمين: أعيان الشيعة: ٥/ ٢١٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٨٠

«المنهج» في فقه العبادات، و الأدعية و الآداب الدينية، و كتاب «العمدة» في أصول الدين و فروعه الفرضية و النقلية، و «نهج الإيمان إلى هداية الإيمان» و هو أيضاً في الفروع الفقهية. إلى غير ذلك من التآليف.

و يظهر من كتابه «أسرار الإمامة» أنّه كان حيّاً إلى سنة ٦٩٨ هـ - فقال: حين البحث عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف: فإن قيل ألا يمكن أن يعيش أحد من سنة ٢٥٥ إلى سنة ٦٩٨ هـ (... ١)

حصيلة الجهود الفقهية في القرن السابع

إشارة

إنّ هذا القرن يؤلّف جزءاً من الدور الرابع، و لكنّه بالنسبة إلى سائر القرون قرن زاهر بالفقهاء العظام الذين يضمن بهم الدهر إلّا في فترات يسيرة، فقد ساهموا مساهمة فعّالة في تنشيط الحركة الفقهية و الأخذ بزمامها نحو الامام، و تمخضت جهودهم المبذولة في هذا القرن بالأمر التالية:

١. تأليف متون فقهية

فقد أُلِّفت في هذا القرن متون فقهية لم تزل تحتفظ بصدارتها إلى عصرنا الحاضر بين مسهب كشرائع الإسلام، و متوسط كالجامع للشرائع لابن سعيد الحلّي، و مقتضب كالمختصر النافع.

٢. تأليف موسوعات فقهية

شهد هذا القرن تأليف موسوعات فقهية على غرار مبسوط الشيخ الطوسي،

(١) اقرأ ترجمته الوافية في روضات الجنات برقم ١٩٤، و رياض العلماء.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٨١

كالمعتبر للمحقق الحلّي و إن لم يتم.

و كتاب «بشرى المحققين» في ستة أجزاء، و كتاب «الملاذ» في أربعة أجزاء لأحمد بن موسى بن طاوس، و «كشف الرموز» للمحقق الآبي.

٣. الاهتمام بأصول الفقه

اهتم المحققون في هذا القرن بأصول الفقه أيضاً، فقد أُلِّفت كتب في هذا المضممار، نذكر على سبيل الاختصار:

أ. «المعارج» للمحقق الحلّي، و هو مطبوع منتشر.

ب. «المدخل في أصول الفقه» ليحيى بن سعيد الحلّي.

ج. «الفوائد العدة» في أصول الفقه لأحمد بن طاوس.

٤. إبداع نهج جديد في الفقه الشيعي

يبنتي الفقه الشيعي على رفض القياس و الأخذ بالسنة و ترك العمل بالاستحسان، و لربما تشترك مسائل كثيرة في أصل واحد و تتفرع عليه، و يعتبر عنه بالأشبه و النظائر و بالاطلاع على شبيه المسألة و نظيرها يكسب الفقيه خبرة و إحاطة بالفقه، و قد كان هذا اللون من الاستنباط شائعاً بين مشايخنا، فإذا طرحت مسألة استدل عليها بطرح أشباهها و نظائرها بوجه يكشف عن تضلعه في الفقه، و قد تبع هذا النهج - الذي وضع لبناته الأولى الفقيه البارح يحيى بن سعيد بتأليف كتابه «نزهة الناظر في الجمع بين الأشباه و النظائر» و الحسن بن علي بن داود الحلّي فألّف كتابه «عقد الجواهر في الأشباه و النظائر»، و الحافظ جلال الدين السيوطي فألّف كتابه الرائج «الأشباه و النظائر».

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٨٢

و ممّا يؤسف له أنّ هذا النوع من التأليف لم يدم طويلاً، فلا نكاد نعرث على كتب فقهية أُلِّفت على هذا الغرار بين فقهاءنا. و قد كان بعض مشايخنا العظام - قدس الله سرهم - يسلك هذا المنهج في دراساته الفقهية العليا.

٥. تهذيب الأخبار

قد كان الحديث الصحيح عند القدماء هو الخبر الذي دلت القرائن على صحته و صدوره عن المعصوم، و قد كان الوقوف على تلك القرائن متوفراً في القرون الأولى، و كلما ابتعد الفقهاء عن عصر النص، أخذ الغموض يكتنف تلك القرائن، فمست الحاجة إلى إبداع أساليب يعرف بها الصحيح عن غيره، فأول من شمر عن ساعد الجد لهذا الأمر هو السيد أحمد بن طاوس، فأخذ بتنوع الأحاديث إلى أربعة أنواع حسب القواعد الرجالية التي أبدعها، فصار التنوع أمراً متبعاً إلى يومنا هذا، غير أن الأخبارية التي ظهرت في أوائل القرن الحادي عشر شنت حملات شعواء على هذا التنوع، و سيوافيك تفصيله.

و ثمة نكتة جديرة بالإشارة و هي أن الحملة الشرسة التي قادها الوثنيون المغول في غضون القرن السادس بدءاً من خراسان و انتهاءً ببغداد تركت مضاعفات خطيرة على الحوزات الإسلامية، لا سيما الحوزات التي كانت في مسيرهم نحو بغداد، كحوزة نيسابور و بيهق. و لمّا انتهى الأمر إلى سقوط بغداد و القضاء على الخلافة العباسية حاول المغول تدمير سائر المدن العراقية، ككربلاء و النجف الأشرف و الحلة الفيحاء، و لكنّه سبحانه صانها عن شرهم و كيدهم بتدبير من علمائها، و قد ذكر العلامة الحلّي بعض تلك التدابير في كتابه «كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين» فمن أراد فليرجع إليه. (١)

(١) نقلها الخوانساري في روضات الجنات: ٨/ برقم ٧٤٩ عن كتاب «كشف اليقين» للعلامة الحلّي.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٨٣

الدور الرابع

الجهود الفقهية في القرن الثامن

إشارة

قد اطلعت على الجهود التي بذلت في الارتقاء بالمستوى الفقهي و على أسماء نخبة من الفقهاء الشامخين و كتبهم في القرن السابع. فهلمّ معي نبحت عن تقدّم الركب الفقهي في القرن الثامن، و سيرة الفقهاء الذين برزوا فيه، و الجهود التي بذلوها بغية إنعاش هذا العلم.

و الجهود العلمية التي انصبت في هذا القرن ليس إلّا إكمالاً للجهود التي بذلت في القرن السابع، فالأساليب المتبعة هي نفس الأساليب السابقة دون أن يطرأ عليها أي جديد، و لو كان هناك تطور فإنّما هو في العرض و البيان كما سيوافيك.

[فقهاء القرن الثامن]

١. الحسن بن علي بن داود الحلّي (٦٤٧-٧٠٧هـ)

الشيخ تقى الدين الحسن بن علي بن داود الحلّي المعروف بـ «ابن داود» من العلماء البارعين في الفقه و الأصول و الرجال و الكلام. يصفه الشهيد الثاني بقوله: صاحب التصانيف الغزيرة، و التحقيقات الكثيرة، التي من جملتها كتاب «رجاله» سلك فيه مسلكاً لم يسلكه فيه أحد من

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٨٤

الأصحاب، و له من التصنيفات في الفقه نظماً و نثراً مختصراً و مطولاً و في العربية و المنطق و العروض و أصول الدين نحو من ثلاثين مصنفاً. (١)

و قد قرأ على المحقق نجم الدين الحلّي و السيد جمال الدين بن طاوس كما مرّ في ترجمته المحقق و ابن طاوس.

و هو (قدس سره) يعرف نفسه في رجاله كعادة الرجاليين قائلاً: الحسن بن علي بن داود مصنف هذا الكتاب، مولده خامس جمادى الآخرة من سنة سبع و أربعين و ستمائة.

له كتب، منها في الفقه: كتاب «تحصيل المنافع» و كتاب «التحفة السعدية» و كتاب «المقتصر من المختصر» و كتاب «الكافي» و كتاب «النكت» و كتاب «الرائع» و كتاب «خلاف المذاهب الخمسة» و كتاب «تكملة المعبر» لم يتم، و كتاب «الجوهرة في نظم التبصرة» و كتاب «اللمعة» في فقه الصلاة نظماً، و كتاب «عقد الجواهر في الأشباه و النظائر» نظماً، و كتاب «اللؤلؤة» في خلاف أصحابنا لم يتم نظماً، و كتاب «الرائض في الفرائض» نظماً، و كتاب «عدة الناسك في قضاء المناسك» نظماً، و كتاب «الرجال» و هو هذا الكتاب، و له في الفقه غير ذلك.

و منها في أصول الدين و غيره: «الدر الثمين في أصول الدين» نظماً، و كتاب «الخريدة العذراء في العقيدة الغراء» نظماً، و كتاب «الدرج» و كتاب «إحكام القضية في أحكام القضية» في المنطق، و كتاب «حل الإشكال في عقد الاشكال» في المنطق، و كتاب «البعية» في القضايا، و كتاب «الإكليل التاجي» في العروض، و كتاب «قوة عين الخليل في شرح النظم الجليل» لابن الحاجب في العروض أيضاً، و كتاب «شرح قصيدة صدر الدين الساوي» في العروض أيضاً، و كتاب «مختصر الإيضاح» في النحو، و كتاب «حروف المعجم» في النحو، و كتاب «مختصر أسرار

(١) الخوانساري: روضات الجنات: ٢/ ٢٨٧، نقلًا عن إجازات الشهيد الثاني.

أدوار الفقه الإمامي (للسبغاني)، ص: ١٨٥

العربية» في النحو. (١)

و من جميل ما ألفه هو كتابه «خلاف المذاهب الخمسة»، و هو فقه مقارن و قد تبع فيه خلاف الشيخ الطوسي إلا أن الثاني أعم منه من حيث بيان المذاهب.

و أمّا سلوكه في الرجال فرتبه على الحروف، فالأول في الأسماء و أسماء الآباء و الأجداد، و جمع في كتابه ما وصل إليه من كتب الرجال مع حسن الترتيب و زيادة التهذيب، فنقل فيه ما في رجال النجاشي و فهرست الشيخ و رجاله و رجال الكشي و كتاب ابن الغضائري و البرقي و ابن عقدة و الفضل بن شاذان و ابن عبدون و غيرها. (٢)

و هذه ميزة لا توجد في سائر الكتب الرجالية المؤلفة إلى عصره.

٢. العلامة الحلّي (٦٤٨-٧٢٦هـ)

هو الشيخ الأجل، العلامة على الإطلاق، أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلّي، قدس الله نفسه و روح رمسه.

تتلمذ على عدد كبير من علماء عصره، كما تتلمذ عليه جمع غفير من العلماء. فمشاهير أساتذته: المحقق الحلّي، نصير الدين محمد بن حسن الطوسي، والده سديد الدين يوسف بن مطهر الحلّي، و الشيخ كمال الدين ميثم البحراني، و الشيخ نجم الدين علي بن عمر الكاتب القزويني الشافعي، و الشيخ شمس الدين محمد ابن محمد بن أحمد الكيشي.

و من تلامذته: ولده فخر المحققين، و السيد عميد الدين، و السيد ضياء الدين، و محمد بن علي الجرجاني، و الشيخ قطب الدين محمد بن محمد الرازي

(١) ابن داود الحلّي: الرجال: برقم ٤٣٤.

(٢) الطهراني: الحقائق الراهنة: ٥٣.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٨٦

البويهى.

هذه نماذج من تلامذته، وإلا فقد تخرج على يديه و استجاز منه أناس كثيرون يطول بنا المقام بذكرهم. كيف و قد كان فى عصره فى الحلة أربعمائه و أربعون مجتهداً؟! («١»)

و يصفه ولده فى شرحه على القواعد بقوله: المؤيد بالنفس القدسيه و الأخلاق النبويه. («٢»)

و يعرفه الحسن بن داود الذى كان معاصراً له فى رجاله و يقول: الحسن بن يوسف بن المطهر الحلّى، شيخ الطائفة، و علامة وقته، صاحب التحقيق و التدقيق، كثير التصانيف، انتهت رئاسة الإمامية إليه فى المعقول و المنقول. («٣»)

و قد حفلت كتب الرجال و التراجم بترجمة العلامة ترجمة وافية، و قام بذلك غير واحد من المحققين فى تقديماتهم على كتبه المنتشرة.

فنحن لا نرى حاجة فى التبسط فى المقام، و الذى يجدر بنا ذكره هو (قدس سره) أنه قد ألف ست دورات فقهية لكل ميزتها الخاصة، و قد ذكرها فى ترجمته فى رجاله (الخلاصة)، و قال فيها:

١. «منتهى المطلب فى تحقيق المذهب» لم يعمل مثله، ذكرنا فيه جميع مذاهب المسلمين فى الفقه، و رجحنا ما نعتقده بعد إبطال حجج من خالفنا فيه يتم إن شاء الله تعالى عملنا منه إلى هذا التاريخ، و هو شهر ربيع الآخر سنة ثلاث و تسعين و ستمائة فى سبعة مجلدات.

٢. كتاب «تلخيص المرام فى معرفة الأحكام».

(١) رياض العلماء: ١ / ٣٦١، أعيان الشيعة: ٥ / ٤٠١ فى ترجمة العلامة الحلّى.

(٢) إيضاح الفوائد فى شرح القواعد: ١ / ١٠.

(٣) ابن داود الحلّى: الرجال: ١١٩ برقم ٤٦١.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٨٧

٣. كتاب «غاية الأحكام فى تصحيح تلخيص المرام».

٤. كتاب «تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية» حسن جيد، استخرجنا فيه فروغاً لم نسبق إليها مع اختصاره.

٥. كتاب «مختلف الشيعة فى أحكام الشريعة» ذكرنا فيه خلاف علمائنا خاصة، و حجّة كلّ منهم و الترجيح لما نصير إليه.

٦. كتاب «تبصرة المتعلّمين فى أحكام الدين». («١»)

و نقل محقق «غاية المرام» فى تقديمه عليه عن إحدى مخطوطات كتاب «الإرشاد» للعلامة الحلّى أنه جاء فى هامشه ما يلى:

«قدّس الله نفس العلامة حيث صنف فى كلّ فنون الفقه، كتب فى الخلاف مع الجمهور «التذكرة»، و فى الخلاف بين الخاصة «المختلف»، و فى فنّ التفريع «التحرير»، و فى كليات قواعده «القواعد»، و فى فروع الروايات «الإرشاد»، و فى الاستدلال «المنتهى»، و فى النتائج «النهاية». («٢»)

و الكتاب الأخير لم يذكره العلامة عند تطوّقه لترجمته نفسه، و قد طبع أخيراً، و بهذا يبلغ عدد الدورات الفقهية الناجزة بيراعه إلى سبع. كما ألف فى الأصول كتباً متعدّدة، بين موجز ك- «مبادئ الوصول إلى علم الأصول»، و متوسط ك- «تهذيب الوصول إلى علم الأصول»، و مسهب ك- «نهاية العقول إلى علم الأصول» و قد طبع الأوّلان، و الثالث لم ير النور و نحتفظ منه بنسخة.

(١) رجال العلماء الحلّي: ٤٥ برقم ٥٢.

(٢) غاية المراد: ٥١، مقدمه المحقق، نقلًا عن مخطوطة المكتبة الرضوية المقدّسة المرقّمة ٢٦٨٩ الورقة ٩٥.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٨٨

وقد ذكر شيخنا في «ريحانة الأدب» أنّ العلامة الحلّي ألف خمسة عشر كتاباً في الفقه، و عشرة كتب في أصوله، وربما ناهزت أجزاء بعض كتبه في الفقه عشرين جزءاً كما هو واضح لمن طالع تذكرة الفقهاء.

وحصيلة الجهود التي بذلها العلامة الحلّي في رفع المستوى الفقهي هو أنّه ألف كتباً مختلفة لغايات مختلفة، فلو ألف الشيخ الخلاف بين المذاهب فقد ألف هو مختلف الشيعة في اختلافات فقهاء الشيعة.

كما أنّه ألف في الفقه المقارن دورتين:

إحدهما: «منتهى المطلب في تحرير المذهب» بدأ بتأليفه و له من العمر اثنان و ثلاثون عاماً، أي في عام ٦٨٠ هـ، و كان المرجو أن يتم تأليفه و لكن الحوادث عاقته عن الإتمام.

و الثاني: «تذكرة الفقهاء» فقد فرغ من الجزء الأخير منه عام ٧٢٠ هـ و لم يتجاوز عن كتاب النكاح، و مع ذلك فهو أيضاً لم يتم. فعلى من حاول الوقوف على تخريجاته و تفرعاته الرجوع إلى كتاب «تحرير الأحكام» حيث اشتمل على فروع كثيرة، و فرغ من تأليفه عام ٦٩٧ هـ.

و نرجو من الله سبحانه أن يوفّقنا لتحقيق هذا الكتاب و نشره في الأوساط الإسلامية. (١)

٣. فخر المحققين (٦٨٢-٧٧١ هـ)

محمد بن الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلّي الشهير ب- «فخر المحققين» وصفه الشهيد الأول بقوله: الشيخ الإمام، سلطان العلماء، منتهى

(١) قد حققه ولدنا المحقق الشيخ ابراهيم «بهادري» حفظه الله و نشر في ستة أجزاء سادسها فهارسه الفقيه.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٨٩

الفضلاء، و النبلاء، خاتمة المجتهدين، فخر الملة و الدين، أبو طالب محمد بن الشيخ الإمام السعيد جمال الدين بن المطهر مدّ الله في عمره مدّاً، و جعل بينه و بين الحادثات سدّاً.

و وصفه والده في أوّل كتابه الموسوم ب- «الألّفين»: «أجبت سؤال ولدي العزيز عليّ «محمد» أصلح الله أمر داريه كما هو بار بوالديه، و رزقه أسباب السعادات الدنيوية و الأخروية كما أطاعني في استعمال قواه العقلية و الحسية، و أسعفه ببلوغ آماله كما أرضاني بأقواله و أفعاله، و جمع له بين الرئاستين كما لم يعصني طرفه عين. (١)»

و عزّفه شيخنا الحر العاملي في كتابه «أمل الآمل»، بقوله: كان فاضلاً، محققاً، فقيهاً، ثقةً، جليلاً، يروى عن أبيه العلامة و غيره.

له كتب، منها: شرح القواعد سمّاه «إيضاح الفوائد في حلّ مشكلات القواعد» و له شرح خطبة القواعد سمّاه «إيضاح القلوب» و «الفخرية في النية»، و «حاشية الإرشاد»، و «الكافية الوافية» في الكلام، و غير ذلك. و يروى عنه الشهيد و أثنى عليه في بعض إجازاته ثناءً بليغاً جداً.

و ذكره السيد مصطفى التفرشي، فقال: من وجوه هذه الطائفة و ثقاتها و فقهاؤها، جليل القدر، عظيم المنزلة، رفيع الشأن، حاله في علو

قدره، و سمو رتبته و كثرة علومه أشهر من أن يذكر، روى عن أبيه، و روى عنه شيخنا الشهيد، له كتب جيدة منها «الإيضاح». (٢)

و من تأليفه الفقيهية: «إيضاح الفوائد في حلّ مشكلات القواعد» و هو شرح كتاب القواعد لوالده العلامة، و قد طبع في ثلاثة أجزاء.

(١) روضات الجنات: ٦ / ٣٣١.

(٢) أمل الآمل: ٢ / ٢٦٠ برقم ٧٤٨.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٩٠

و من آثاره الأصولية: «شرح مبادئ الأصول»، المتن للوالد و الشرح له، و مثله كتابه الآخر «غاية السؤل في شرح تهذيب الأصول». و من آرائه التي انفرد بها بين الإمامية أنّ النهي في العبادات يقتضى الصحة بدل اقتضائه للفساد، هذا و قد سأله العارف الجليل السيد حيدر الآمل عن مسائل فأجابها، فقال السيد: بعد الحمد و الصلاة، هذه مسائل سألتها جناب الشيخ الأعظم سلطان العلماء في العالم مفخر العرب و العجم قدوة المحققين، مقتدى الخلائق أجمعين، أفضل المتأخرين و المتقدمين، المخصوص بعناية رب العالمين، الإمام العلامة في الملة و الحقّ و الدين، ابن المطهر، مد الله ظلال إفضاله، و شيد أركان الدين ببقائه، مشافهة في مجالس متفرقة على سبيل الفتوى، و كان ذلك في سلخ رجب المرجب سنة ٧٥٩ هجرية نبوية هلالية ببلدة حلّة السيفية حماها الله عن الحدثان، و أنا العبد الفقير حيدر بن علي بن حيدر العلوي الحسيني الآمل، أصلح الله حاله و جعل الجنة مآله. («١»)

٤. قطب الدين الرازي (المتوفى عام ٧٧٦ هـ)

الحكيم، الفقيه، المتأله، تلميذ العلامة الحلّي، و قد قرأ قواعد عليه و كتب على ظهر الكتاب العبارة التالية - يعلم منها مكانة التلميذ - قال: قرأ عليّ هذا الكتاب الشيخ العالم، الكبير، الفقيه، الفاضل، المحقق، المدقق، ملك العلماء و الأفاضل قطب الملة و الدين، محمد بن محمد الرازي أدام الله أيامه، قراءة بحث و تدقيق، و تحرير و تحقيق، و سأل عن مشكلاته، و استوضح معظم مشتبهاته، فبينت له ذلك بياناً شافياً، و أجزت له رواية هذا الكتاب بأجمعه و روايته جميع مصنفاتي و رواياتي و ما أُجيز لي روايته و جميع كتب أصحابنا السالفين (رضوان الله تعالى

(١) المستدرک: ٣ / ٤٥٩، الفائدة الثالثة.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٩١

عليهم أجمعين) بالطرق المتصلة مني إليهم، فليرو ذلك لمن شاء و أحبّ على الشروط المعتمدة في الإجازة، فهو أهل لذلك، أحسن الله عاقبته، و كتب العبد الفقير إلى الله تعالى حسن بن يوسف بن المطهر الحلّي مصنف الكتاب في ثالث شعبان المبارك من سنة ٧١٣ بناحية ورامين، و الحمد لله وحده و صلى الله على محمد النبي و آله.

و عرفه الشهيد الأوّل بقوله: اتفق اجتماعي به بدمشق أخريات شعبان سنة ٧٧٦ هـ، فإذا هو بحر لا ينزف، و أجازني جميع ما يجوز عنى روايته، ثمّ توفي في ١٢ ذى القعدة من السنة المذكورة بدمشق، و دفن في الصالحية، ثمّ نقل إلى موضع آخر، و صلّى عليه برحمة القلعة، و حضر الأ-كث من معتبري دمشق للصلاة عليه، (رحمه الله) و قدّس روحه، و كان إمامي المذهب بغير شك و ريبة، صرّح بذلك و سمعته منه و انقطاعه إلى بقية أهل البيت معلوم.

و يقول الشهيد: إنّه كان من ذرية الصدوق ابن بابويه.

و قد وصفه غير واحد من علمائنا بما يعرف عن مكانته في العلوم العقلية و النقلية.

و كفاك أنّ كتابيه: شرح الشمسية، و شرح المطالع من الكتب الدراسية في الحوزات العلمية.

و قد نقل الشيخ الأنصاري آراءه الفقهية في متاجره، فمن أراد الوقوف، فليرجع إلى مستدرک الوسائل. («١»)

(١) المستدرک: ٣/ ٤٥١، الفائدة الثالثة. و انظر ترجمته في طبقات أعلام الشيعة: القرن الثامن: ٢٠٠.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٩٢

٥. محمد بن مكي العاملي (٧٣٤ - ٧٨٦ هـ)

هو المحقق الجليل، المتصلع في الفقه، المعروف بإمام الفقه، فضله أشهر من أن يذكر، و جماع القول فيه أنه تاج الشيعة، و فخر الشريعة، صاحب النفس الزكية القدسية القوية، ولد بجزين سنة ٧٣٤ هـ.

و يعرفه الشيخ الحر العاملي بقوله: كان عالماً، ماهراً، فقيهاً، محدثاً، مدققاً، ثقةً، متبحراً، كاملاً، جامعاً لفنون العقلية و النقلية، زاهداً، عابداً، ورعاً، شاعراً، أدبياً، منشئاً، فريد دهره، عديم النظر في زمانه.

و قد استجاز عن مشايخ الفريقين، و روى مصنّفات أهل السنة عن نحو أربعين شيخاً، كما روى عنه جماعة كثيرة، و يعد شيخ الإجازات في القرن الثامن، و إليه تنتهي أكثر الإجازات.

و أمّا آثاره الفقهية:

١. كتاب «الذكرى»، خرج منه كتاب الطهارة و الصلاة.

٢. كتاب «الدروس الشرعية في فقه الإمامية» خرج منه أكثر الفقه.

٣. «غاية المراد في شرح نكت الإرشاد».

٤. كتاب «جامع البين من فوائد الشرحين» جمع فيه شرحي تهذيب الأصول للسيد عميد الدين و السيد ضياء الدين.

٥. كتاب «البيان» في الفقه.

٦. رسالة «الباقيات الصالحات».

٧. «اللمعة الدمشقية» دورة فقهية كتب بصورة المتن و عليها شروح كثيرة، أحسنها شرح الشيخ زين الدين الشهيد الثاني المسمى ب-

«الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية». و قد ألفه شيخنا الشهيد بطلب من علي بن المؤيد ملك

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٩٣

خراسان و ما والاها و الذي توفي عام ٧٩٥ هـ، ألفه عام ٧٨٢ هـ، و ذلك قبل شهادته بأربع سنوات. و بذلك يعلم أن ما هو المشهور

من أن الشهيد ألفه في سبعة أيام في محبسه غير صحيح، و كان الرسول بين الشهيد و المؤيد هو محمد الأبى النقيب شمس الدين.

(«١»)

٨. «الألفية في فقه الصلاة اليومية».

٩. رسالة في قصر من سافر بقصد الإفطار و التقصير.

١٠. «النغلية في مستحبات الصلاة اليومية».

١١. «خلاصة الاعتبار في الحج و الاعتمار».

١٢. «القواعد».

١٣. «الدرّة المضيئة».

١٤. رسالة «التكليف».

١٥. و له عدّة إجازات.

و من أطف كتبه كتاب «القواعد و الفوائد»، فإنّ الشهيد الأوّل يعد أوّل من صنّف في هذا المصنّف، و قد احتوى الكتاب على ما

يقرب من ٣٣٠ قاعدة، إضافة إلى فوائد تقرب من ١٠٠ فائدة، عدا التنبهات و الفروع؛ و هذه القواعد و الفوائد ليست فقهية خالصة، و

إنما فيها بعض القواعد الأصولية والعربية، لكن الطابع الفقهي هو الغالب عليها، و لم يتبع الشهيد منهجاً معيناً في ترتيب ما أورده من قواعد و فوائد، حيث لم يفصل القواعد الفقهية عن الأصولية أو العربية، و هذا مما حدا بتلميذه المقداد بن عبد الله السيوري بترتيب تلكم القواعد و تهذيبها، و أسماها بـ «نضد القواعد الفقهية».

(١) الطهراني: طبقات أعلام الشيعة: ٣ / ١٧٥، القرن الثامن. و له ترجمة ضافية في مقابس الأنوار: ١٣، روضات الجنات: ٣ / ٧ برقم ٥٩٢، و أمل الآمل: ١ / ١٨١ برقم ١٨٨.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٩٤

و من أعجب ما حظي به الشهيد هو ما كتبه أستاذه فخر المحققين في حقه و قال: قرأ علي مولانا الإمام العلامة الأعظم، أفضل علماء العالم، سيد فضلاء بني آدم، مولانا شمس الحق و الدين محمد بن مكى بن محمد بن حامد أدام الله أيامه من هذا الكتاب مشكلاته، و أجزت له رواية جميع كتب والدي (قدس سره)، و جميع ما صنّفه أصحابنا المتقدمون - رضی الله عنهم - عن والدي عنهم الطرق المذكورة. («١»)

٦. عميد الدين عبد المطلب بن محمد («٢») بن علي الأعرج (٦٨١ - ٧٥٤ هـ)

يعرّفه الشهيد الأول بقوله: المولى السعيد، الإمام المرتضى علم الهدى، شيخ أهل البيت في زمانه، عميد الحق و الدين، يروى عن خاله العلامة الحلّي، له شرح تهذيب الأصول.

و يعرّفه («٣») أيضاً الخوانساري، بقوله: كان من أجلة العلماء الثقات، و مشايخ الروايات، فاضلاً، محققاً، أصولياً، ماهراً، حسن التصرف و التصنيف، و كفاه فخراً أنّ مثل شيخنا الشهيد الأول يعتنى بشأنه كثيراً، و ينقل عن ابن معين أنّه عرّفه بقوله: درّة الفخر، و فريدة الدهر، مولانا الإمام الرباني، و هو ابن أخت العلامة (رحمه الله)، و قد شرح كتاب خاله العلامة الحلّي باسم «تهذيب الأصول» و أسماه «منية اللبيب في شرح التهذيب» فرغ منه عام ٧٤٠ هـ. («٤»)

(١) رياض المسائل: ٧١، قسم المقدمة.

(٢) هذا هو المكّي بأبي الفوارس، صهر والد العلامة سديد الدين، و قد أنجبت زوجته أولاداً ذكوراً خمسة، و هم: جلال الدين علي، عميد الدين عبد المطلب، ضياء الدين عبد الله، نظام الدين الفاضل العلامة عبد الحميد، غياث الدين عبد الكريم.

(٣) أمل الآمل: ٢ / ١٦٥ برقم ٤٨٤، و انظر ترجمته في روضات الجنات: ٤ / ٢٦٥ برقم ٣٩٤.

(٤) نحتفظ منه بنسخة في مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، و حكى شيخنا المدرس في «ريحانة الأدب» أنّه طبع في بلاد الهند.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٩٥

و له من الكتب الفقهية: «كنز الفوائد في حل مشكلات القواعد».

و على ذلك فالعميدي أوّل من شرح كتاب القواعد للعلامة الحلّي، ثمّ أعقبه شرح آخر لأخيه كما يأتي، و ثالث لفخر المحققين.

٧. عبد الله بن محمد بن علي الأعرج

يعرّفه الحر العاملي في كتابه «أمل الآمل» بقوله: عالم، فاضل، جليل القدر، من مشايخ الشهيد، يروى عن العلامة، له كتب، منها «شرح التهذيب» للعلامة، و غير ذلك.

و ربما يقال: إن «منية اللبيب» لهذا الأخ، و أمّا ما ألفه عميد الدين فليس له اسم خاص. («١»)
 و قد مضى أنّ الشهيد الأوّل جمع بين فوائد شرح الأخوين و زاد عليهما فوائد أُخرى، و أسماه «جامع البين من فوائد الشرحين». و ميّز ما
 اختص به شرح الضياء بعلامة (ض) و ما اختص به شرح العميدى بعلامة (ع)، و أجرى شيخنا عز الدين الحسين بن عبد الصمد والد
 الشيخ بهاء الدين العاملى تعميمات مفيدة فى آخره. («٢»)
 و يعرفه صاحب الرياض بقوله: هو الفقيه الجليل، الأعظم، الأكمل، الأعلم، الأفضل، الكامل، المعروف بالسيد ضياء الدين الأعرج
 الحسينى.

(١) انظر ترجمته فى أمل الآمل: ٢/ ١٦٤ برقم ٤٧٩، و طبقات أعلام الشيعة: ١٢٤، القرن الثامن.

(٢) الطهرانى: الذريعة: ٤/ ٤٣٥، و لاحظ المستدرک: ٣/ ٤٥٩، الفائدة الثالثة.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٩٦

٨. عبد الله بن سعيد بن المتوج البحراني

هو عبد الله بن سعيد بن المتوج البحراني، أحد كبار الفقهاء فى القرن الثامن.
 يعرفه الأندى بقوله: عالم، فاضل، فقيه، جليل، أديب، شاعر، نبيل، و كان من أكابر العلماء و الفقهاء المتأخرين، و يعرف ب- «ابن
 المتوج» و ربما يطلق على ابنه الشيخ أحمد فخر الدين.
 و له مؤلفات فى الفقه، منها:

١. كتاب «المقاصد».

٢. كتاب «الناسخ و المنسوخ» من الآيات على طريقة الإمامية و مذهبهم.

٣. كتاب «النهاية فى تفسير خمسمائة آية» التى عليها مدار الفقه.

و حيث إنّ مصدر الترجمة هو «رياض العلماء» للفاضل الأندى التبريزى («١») فقد عدّ «المقاصد» من تأليف الوالد لا الولد على
 خلاف ما جعله شيخنا المجيز الطهراني فى «الذريعة» («٢») فجعله تأليفاً للولد و فى الوقت نفسه احتمل أن يكون للوالد.
 و ستوافيك ترجمة ولده فى زمرة فقهاء القرن التاسع.

٩. مهنا بن سنان بن عبد الوهاب المدنى (المتوفى ٧٥٤ هـ)

أحد الفقهاء الإمامية القاطنين فى المدينة المنورة، أذعن بفضله الفريقان،

(١) رياض العلماء: ٣/ ٢٢٠.

(٢) الذريعة: ٢١/ ٣٧٨ برقم ٥٥٤٦؛ و طبقات أعلام الشيعة: ١٢٨، القرن الثامن.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٩٧

يعرفه ابن حجر العسقلانى بقوله: مهنا بن سنان بن عبد الوهاب بن نميلة الحسينى الإمامي المدنى، قاضى المدينة، اشتغل كثيراً، و كان
 حسن الفهم، جيد النظم، و لأمرء المدينة فيه اعتقاد، و كانوا لا يقطعون أمراً دونه، و كان كثير التفقه، إلى أن قال: مات سنة ٧٥٤ هـ.

(«١»)

وقد بعث مسائل إلى العلامة الحلّي يستفهمه في مسائل، فأجاب عنها العلامة و وصفه في صدر الرسالة بقوله: السيد الكبير، النقيب، الحسيب، النسيب، المعظم المرتضى، عز السادة، زين السيادة، معدن المجد و الفخار، و الحكم و الآثار، الجامع للقصد الأوفى من فضائل الأخلاق، و الفائز بالسهم المعلى من طيب الأعراق، مزين ديوان القضاء بإظهار الحقّ على الحيّة البيضاء عند ترفع الخصم، نجم الحق و الملة و الدين مهنا بن سنان الحسيني، القاطن بمدينة جدّه. (٢٠)

و تعرب المسائل عن توغّله في الفقه، و كونه مرجعاً و ملاذاً للعامّة في أحكام الدين.

و يكفى في جلالته في الفقه أنّ فخر المحقّقين يصفه بقوله: أفضل علماء الآفاق، و أعلم الفقهاء على الإطلاق.

حصيلة الجهود الفقهية في القرن الثامن

كان النظام السائد في المناهج الفقهية في القرن الثامن هو نفس النظام المتبع في القرن السابع استمراراً لما خطّه المحقّق و تلاميذه بيد أنّ الجهود المبذولة في هذا القرن انتهت إلى إبداع أسلوب جديد في عرض الأبحاث الفقهية.

(١) العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.

(٢) أجوبة المسائل المهنية: ٢٠.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٩٨

فقد كان إطار البحث في المسائل الخلافية هو البحث عن الخلافات الموجودة بين أئمة المذاهب الفقهية، و لم يؤلّف كتاب في خلافات مذهب واحد، و ما ذلك إلا لقلّة الاختلاف بين فقهاء المذهب الواحد نتيجة إقفال باب الاجتهاد.

و أمّا الشيعة منذ عصر الرسول إلى يومنا هذا فقد اختلفت كلمات فقهاء المذهب الواحد نتيجة إقفال باب الاجتهاد.

١. فألّف العلامة الحلّي لأوّل مرّة كتاب «مختلف الشيعة» و ذكر خلافات فقهاء المذهب الفقهية من الطهارة إلى الديات.

٢. ظهور موسوعة فقهية تحمل في طياتها فقهاً مقارناً بين المذاهب الإسلامية لم ير مثلاً إلى الآن و هو كتاب «التذكرة» للعلامة الحلّي، و قد أتبع المؤلف النهج الذي اختطه الشيخ المفيد ثم المرتضى ثم الطوسي.

٣. ظهور كتب رجالية تحليلية تجمع نصوص الرجالين المتقدمين مع شيء من التحليل و التفسير، و هذا النمط قد ابتكر لأوّل مرّة في «رجال ابن داود» و «خلاصة العلامة» و «إيضاح الاشتباه» له أيضاً.

فالنظر في هذه الكتب الثلاثة إذا قارنها مع ما أُلّف في القرن الرابع و الخامس من الكتب الرجالية يقف على وجود لون من الاجتهاد في علم الرجال، و البحث فيه بحثاً مفصلاً.

٤. أنّ تنوع الحديث إلى الأقسام الأربعة الذي ابتكره السيد ابن طاوس في القرن السابع لم يدخل حيز التطبيق إلا بفضل تلميذه ابن داود و العلامة الحلّي، فإنّ الثاني قد طبق الاصطلاح الموروث عن أستاذه في كتبه الفقهية، فتجد أنّه يفتى بالحديث لكونه صحيحاً، و يرده لكونه ضعيفاً، و يحتج بهما فتبعه الفقهاء إلى يومنا هذا.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ١٩٩

و أمّا الحافظ على تنوع الحديث- مع أنّ الحديث بين القدماء كان بين صحيح و ضعيف- فهو أنّ الصحيح عند القدماء كان كل حديث يثقون بصدوره عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بالقرائن المتوفرة في ذلك الحين- و إن اختلفت فيما بعد- و إن كان الراوي غير ثقة في نفسه.

غير أنّ مرور الزمان و انتقال الأحاديث من الأصول الأربعمئة التي كانت لها مكانة من الصحة إلى الجوامع الأولية و الثانوية صارت سبباً لاختفاء القرائن التي كانت تورث الثقة بالحديث، فلم يكن بدّ من معالجة تلك الأحاديث بشكل آخر، و هو الذي اقترحه السيد

ابن طائوس و تبت أركانه العلامة الحلّي، و قد أوضحنا ذلك بإسهاب في كتابنا الموسوم بـ «كليات في علم الرجال». ٥. الاهتمام بعلم الأصول و تطويره بتأليف متعاقبه، و قد علمت أن العلامة الحلّي ألف كتاباً في علم الأصول، كما ألف ابن أخته شرحين لكتابه «تهذيب الأصول» و ألف ابنه فخر المحققين كتاباً في علم الأصول.

إضافه إلى أن الشهيد الأول جمع نكات الشرحين للعلمين الجليلين: عميد الدين و ضياء الدين في كتاب واحد.

٦. إبداع نمط جديد في الفقه بتحرير قواعده، و أول من شيد صرحه هو العلامة الحلّي في كتابه «القواعد» و هو إن كان لا يشمل القواعد الفقهية برمتها و لكنه خط هذا الطريق و تبعه الشهيد الأول بتأليفه كتاب «الفوائد و القواعد».

٧. كان للحلّة يومذاك الحظ الأوفر لظهور الفقهاء الأفاضل، كما كان في البحرين حوزة علمية فقهية عامرة في القرن السابع و الثامن تخرّج منها: المحقق

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٠٠

ميثم البحراني صاحب «شرح نهج البلاغه» و أستاذ العلامة المتوفى عام ٦٩٩ هـ، و ابن المتوج، و غيرهم.

نعم ازدهرت في هذا القرن و ما يتلوه مدرسه جبل عامل الذي شيد أركانها الشهيد الأول، و قد تخرّج منها نخبة من الفقهاء سنذكر أسماء بعض منهم في القرن التاسع.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٠١

الدور الرابع

الجهود الفقهية في القرن التاسع

إشارة

و قبل استعراض السير الفقهية في هذا القرن لا بدّ من استعراض الظروف التاريخية و السياسية التي كانت سائدة في الأمصار الإسلامية لما لها من تأثير مهم على سير التحولات الفقهية على سبيل الإيجاز.

الأوضاع السياسية في القرن التاسع

بسط المغول نفوذهم من الشرق الإسلامي إلى حاضرة البلاد الإسلامية (بغداد) بعد حروب طاحنة شهدت قتل عدد هائل من المسلمين، فسقطت الدولة العباسية على يد هولاءكو عام ٦٥٦ هـ، و استقر حكم الوثنيين على بلاد الإسلام و المسلمين إلى أن اعتنق بعضهم الإسلام، و يعدّ محمود غازان خان الذي جلس للحكم من عام (٦٩٤-٧٠٤ هـ) أول من اعتنق الإسلام، ثم أعقبه محمد خدابنده أولجايتو فتسلم زمام الأمور عام (٧٠٤-٧١٦ هـ) و قد انتحل التشيع بفضل رجل العلم و الفضيلة العلامة الحلّي لمناظرات جرت بينه و بين علماء المذاهب الأربعة في مسائل فقهية في محضر السلطان و حاشيته و وزرائه، فبان قوة منطقه على كلّ من حضر، فطلب السلطان منه أن يلازمه في السفر و الحضر، و هكذا أخذ العلامة يصاحبه مع تلاميذه و كتبه، فأسس مدرسه سيارة تقام كلما حط

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٠٢

السلطان بمكان، حتّى أنّ العلامة الحلّي قد فرغ من تأليف بعض كتبه في مدينة «سلطانية» من اعمال زنجان. كما كتب اجازته لقطب الدين في ناحية ورامين كما مرّ.

و لَمّا استتب الأمر للمغول و اعتنقوا الإسلام و التشيع و انصهروا في الكيان الإسلامي أخذوا يروجون العلم لا سيّما العلوم الطبيعية كالفلك و النجوم و الحساب، و في ظل استتباب الأمن و الاستقرار، نرى أنّ الركب الحضاري بدأ يتقدّم بعد نكسته التي أصيب بها

من جِراء استيلاء المغول، و لم تمض مدة حتى بدأ المسلمون الذين غلبوا في عقر دارهم بأخذ زمام المبادرة من يد المغول من خلال رسم الخطوط العريضة لهم في السياسة و الثقافة و الاقتصاد بل في كافة جوانب الحياة، و هذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على قوة منطق الإسلام و صلابته، إذ جعل من الأعداء أنصاراً للحق.

كان الأمن سائداً و مستتباً في البقاع الإسلامية إلى عصر السلطان أبي سعيد بهادر خان (٧١٦-٧٣٦هـ).

و قد تدهور وضع الدولة الإيلخانية المغولية بعد وفاته، و تسلّم أزمة الأمور أشخاص كانت تعوزهم الكفاءة و الحزم، فعادت الفوضى إلى البلاد حتى تجد تولّى عدة سلاطين لمنصة الحكم في سنة واحدة فقد مات أبو سعيد بهادر خان و أعقبه السلطان ارباكاون سنة ٧٣٦هـ- و بقي عدّة شهور على منصة الحكم، ثم أعقبه السلطان موسى خان و لم يدم طويلاً بل أمضى هو الآخر عدّة شهور أيضاً، ثم حلّ محلّه السلطان محمد خان (٧٣٦-٧٣٨هـ).

و استمر الوضع على هذا المنوال حتى انقراض الدولة الإيلخانية في عهد آخر سلاطينهم المسمّى ب- «أنوشيروان العادل» (٧٤٤-٧٥٦هـ) و كأنه قدّر لهم

أدوار الفقه الإمامي (للسبجاني)، ص: ٢٠٣

الحكم قرابة قرن واحد.

ثم عادت الفوضى أكثر من ذي قبل، و تمزقت البلاد أشلاء، و استبدّ بكل جزء منها أمير من الأمراء تعوزهم الكفاءة، منهم:

١. سلسلة أمراء آل جلاير (٧٤٠-٨١٣هـ).

٢. سلسلة أمراء جوباني (٧٤٤-٧٥٩هـ).

٣. سلسلة أمراء آل مظفر (٧٤٠-٧٩٥هـ).

٤. سلسلة أمراء أئينجو (٧٤٢-٧٥٨هـ).

٥. السربدارية (٧٣٨-٧٨٨هـ).

التيمورية على منصة الحكم

و في تلك الأوضاع المضطربة و المتدهورة ظهر تيمور لنك و بسط نفوذه على أصقاع شاسعة بعد أن أراق دماء كثيرة حتى استتب له الأمر أواخر القرن الثامن، و دام حكمهم ١٢٧ سنة شهدت فيها البلاد المزيد من الدمار و الهلاك و السفك و القتل حتى انقراضهم في عهد سلطانهم المدعو سلطان حسين بايقرا عام ٩١١هـ-.

و قد خلفت التيمورية خلال مدة حكمها مضاعفات خطيرة على الصعيد العلمي و الثقافي، فقد كان تيمور لنك و أولاده لا يهتمهم سوى الركوب على رقاب الناس و الإغارة على ثرواتهم مهما بلغ من ثمن، فانعكست آثارها السيئة و تبلورت في قلّة الانتاجات العلمية و الموسوعات الفقهية.

و لا شكّ أنّ الحضارة تزدهر و العلم ينمو في ربوع يسودها العدل و الأمن و الاستقرار.

أدوار الفقه الإمامي (للسبجاني)، ص: ٢٠٤

هذه لمحة خاطفة عن الأوضاع السياسية السائدة في القرن التاسع، ذكرناها على وجه موجز، ليقف القارئ على الأوضاع المزريّة التي أصيب بها المسلمون، و تركت من جراء ذلك آثاراً سيئة على الحركة الفقهية ممّا أعقب ذلك فتور النشاط الفقهي و قلّة الانتاج فيه.

و إليك

أسماء نخبة من فقهاء هذا القرن:

١. الحسن بن سليمان بن خالد الحلبي (كان حياً عام ٨٠٢ هـ -)

هو الحسن بن سليمان بن خالد الحلبي يعرّفه الحر العاملي بقوله: فاضل، عالم، فقيه، له «مختصر بصائر الدرجات» لسعد بن عبد الله، يروى عنه الشهيد.

و يعرّفه الخوانساري بقوله: فقيه، فاضل، من تلامذة شيخنا الشهيد الأول، صاحب المصنّفات الكثيرة الفقهية. وله أيضاً كتاب لطيف يسمّى «الرجعة».

وقد نقل الخوانساري صورة إجازته للشيخ العالم الموقّق عز الدين حسين بن محمد بن الحسن الحموياني و في آخرها كتب عبد الله حسن بن سليمان بن محمد في الثالث والعشرين من شهر محرم الحرام سنة ٨٠٢ هـ - (١)»

٢. فخر الدين أحمد بن عبد الله بن المتوج

هو الشيخ فخر الدين أحمد بن عبد الله بن سعيد بن المتوج، المشهور بـ «ابن المتوج» البحراني، المعروف بالعلم و الفضل و التقوى في أسانيد أصحابنا، يوصف

(١) الأفتدى التبريزي: رياض العلماء: ١/ ١٩٣، الخوانساري: روضات الجنات: ٢/ ٢٩٣ برقم ٢٠٢، طبقات أعلام الشيعة: القرن التاسع.

أدوار الفقه الإمامي (للسبعماني)، ص: ٢٠٥

ب-: خاتمة المجتهدين، شيخ مشايخ الإسلام، و قدوة أهل النقض و الإبرام و من تلامذة الشهيد و فخر المحققين، و مرّت ترجمته والده في فقهاء القرن الثامن.

و في الروضات: و هو شيخ أبي العباس بن فهد الحلبي (١)» و الشيخ فخر الدين أحمد بن محمد بن عبد الله السبعمي الفقيه المشهور المتوطن بلاد الهند، و من أجلّ تلامذة الشهيد و فخر المحققين.

آثاره الفقهية

١. الوسيلة.

٢. رسالته «الناسخ و المنسوخ».

٣. كتاب «ما يجب على المكلفين».

٤. كتاب «غرائب المسائل».

٥. «النهاية» في تفسير ٥٠٠ آية، و هي آيات الاحكام في القرآن، و ينقل فيه عن كنز العرفان معبراً عنه: قال المعاصر. (٢)»

٣. جمال الدين المقداد بن عبد الله السيوري الحلبي (المتوفى ٨٢٦ هـ -)

هو الفقيه الفاضل المحقق أبو عبد الله المقداد بن عبد الله بن محمد بن

(١) يعرّفه صاحب الرياض بقوله: الشيخ شهاب الدين أحمد بن فهد بن إدريس المقرئ الأحسائي، المعروف بابن فهد، و هو غير ابن فهد المعروف صاحب «المهذب البارع» و «عدة الداعي».

و يدل على ذلك ما ذكره ابن أبي جمهور في أول كتاب «غوالي اللآلي»، يقول: أروى عن أحمد بن فهد المذكور (شهاب الدين) عن شيخه خاتمة المجتهدين، المشهورة فتاواه في جميع العالمين، فخر الدين أحمد بن متوج بن عبد الله.

(٢) لاحظ رياض العلماء: ١/ ٤٤، روضات الجنات: ١/ ٦٨، طبقات أعلام الشيعة: ٤، القرن التاسع.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٠٦

حسن بن محمد السيوري الحلّي الأسدي الغروي، المعروف بـ «الفاضل السيوري» و «الفاضل المقداد» عند الفقهاء المتأخرين، كان من أجلاء الأصحاب، و عظماء مشايخ الرجال، جامعاً بين المعقول و المنقول، عالماً، فاضلاً، متكلماً، محققاً، مدققاً، من أعظم الفقهاء، قد أثنى عليه كل من عنونه بالثناء الجميل و الذكر النبيل، أفاض الله على تربته سجال لطفه.

يعرّفه الأندلسي التبريزي بعد وصفه بالعلم و الفضل و التحقيق و التدقيق: له كتب، منها: شرح نهج المسترشدين في أصول الدين، و كنز العرفان في فقه القرآن، و التنقيح الرائع في شرح مختصر الشرائع، و شرح الباب الحادي عشر، و شرح مبادئ الأصول، يروى عن الشهيد محمد بن مكّي العاملي. (١)

و يروى عنه: شرف الدين المكّي، و الحسين بن علاء الدين مظفر بن فخر الدين بن نصر الله القمي، و تاج الدين الحسن بن راشد الحلّي صاحب «الجمانة البهية في نظم الألفية»، و محمد بن شجاع القطان الحلّي، و أحمد بن فهد الحلّي المتوفّي عام ٨٤١هـ، و قاسم الدين. (٢)

و له في الفقه الكتب التالية:

١. «التنقيح الرائع لمختصر شرح الشرائع» و هي دورة فقهية استدلالية من الطهارة إلى الديات، ابتدأ في أوّله بتعريف الفقه و تحصيله، و الأدلة العقلية، و العمل بخبر الواحد و أقسامه، و تفسير الأشهر و الأطهر و الأشبه، و غير ذلك من المصطلحات. (٣)

(١) رياض العلماء: ٥/ ٢١٦؛ أمل الآمل: ٢/ ٣٢٥ برقم ١٠٠٢.

(٢) طبقات الشيعة: ١٣٩، القرن التاسع.

(٣) لاحظ التنقيح الرائع: ١/ ٣٦-٣٧، و طبع الكتاب في أجزاء أربعة ضخام.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٠٧

٢. «كنز العرفان في فقه القرآن»: و هو بين الكتب المؤلفة حول فقه القرآن، كتفسير «مجمع البيان» في تفسير القرآن، في جودة نسقه و ترتيبه، و قد ذكره الذهبي المصري في كتاب «التفسير و المفسرون» حيث قال:

يتعرض هذا التفسير لآيات الأحكام فقط، و هو لا يفسر الآيات سورة فسورة على حسب ترتيب المصحف، ذاكراً ما في كلّ سورة من آيات الأحكام كما فعل الجصاص و ابن العربي مثلاً، بل طريقتة في تفسيره أنه يعقد أبواباً كأبواب الفقه، و يدرج في كلّ باب منها الآيات التي تدخل تحت موضوع واحد، فمثلاً يقول: باب الطهارة ثم يذكر ما ورد في الطهارة من الآيات القرآنية، شارحاً كلّ آية منها على حدة، مبيناً ما فيها من الأحكام، على حسب ما يذهب إليه الإمامية الاثنا عشرية في فروعهم مع تعرّضه للمذاهب الأخرى، و ردّه على من يخالف ما يذهب إليه الإمامية الاثنا عشرية. (١)

٣. «آداب الحج».

٤. «نضد القواعد الفقهية على مذهب الإمامية» و هو ترتيب للقواعد الفقهية للشهيد الأول.

و أمّا تأليفه في الكلام و العقائد فحدّث عنها و لا حرج.

فقد أصبح شرحه على الباب الحادي عشر من الكتب الدراسية إلى يومنا هذا.

(١) انظر التفسير و المفسرون: ٢/ ٤٦٥.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٠٨

٤. ابن فهد الحلبي (٧٥٧-٨٤١هـ)

جمال الدين أبو العباس أحمد بن فهد الأسدي الحلبي.

يعرفه الشيخ الحر العاملی بقوله: فاضل، عالم، ثقة، صالح، زاهد، عابد، ورع، جليل القدر، له كتب. (١)

و يعرفه العلامة المامقاني بقوله: له من الأشتهار بالفضل والعرفان والزهد والتقوى والأخلاق والخوف والإشفاق ما يغنيننا عن البيان، وقد جمع بين المعقول والمنقول والفروع والأصول واللفظ والمعنى والحديث والفقه والظاهر والباطن والعمل بأحسن ما كان يجمع. (٢)

وقد أطبق المتأخرون على علمه ودقته وفقهه.

وأما تأليفه الفقهي، فهي:

١. «المهذب البارع إلى شرح النافع» وهو شرح للمختصر النافع للمحقق من أوله إلى آخره، أورد في كل مسألة أقوال الأصحاب وأدلته كل قول، و بين الخلاف في كل مسألة خلافية، وعين المخالف وإن كان نادراً متروكاً، وأشار إلى وجه التردد من المصنف لدليل انقذح في خاطره، وقال: وسميته ب- «المهذب البارع في شرح المختصر النافع» وإن شئت فسمه جامع الدقائق وكاشف الحقائق. (٣)

لأنه لا يمر بمسألة مشككة، إلّا جلاها غاية الجلاء، ولا لمعضلة إلّا وشفى من بحثها غاية الشفاء، ورتب في أول كل كتاب، مقدّمة أو مقدّمات، ذكر فيها

(١) أمل الآمل: ٢/ ٢١.

(٢) تنقيح المقال: ١/ ٩٢ برقم ٥١٠، باب أحمد.

(٣) المهذب البارع: ١/ ٦٣-٦٥، ثمّ قدّم مقدّمات أربع.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٠٩

تعريفه وسند مشروعيته من الكتاب والسنة والإجماع، وما يليق به من التمهيد، فكان كالدستور يرجع إليه في المشكلات، ويعتمد عليه في المعضلات ويتفكك منه بالتفريعات. (١)

٢. «شرح الإرشاد» للعلامة الحلبي.

٣. «فقه الصلاة».

٤. «شرح الألفية».

٥. «كفاية المحتاج في مسائل الحاج».

إلى غير ذلك من التأليف الفقهيّة وقد بلغ الشيخ الفقيه من الكمال ما بلغ بفضل جمعه بين العلم والعمل ومحافظة على الظواهر الشرعية ومراقبته للنفس.

وفي كتبه التالية دلالات واضحة على ذلك، منها:

١. «عدة الداعي ونجاح الساعي».

٢. «أسرار الصلاة».

٣. «التحصين و صفات العارفين».

توفّي بكربلاد عن عمر ناهز ٨٤ سنة، وله هناك قبر يزار.

و يعد من شيوخ الإجازة كشيخه الشهيد الأول، يروى عن الشيخ ظهير الدين علي بن يوسف بن عبد الجليل النيلي، و الشيخ نظام الدين علي بن عبد الحميد النيلي الحائري، و الشيخ فخر الدين ولد العلامة، و يروى عنه جماعة، منهم: الشيخ رضى الدين حسين الشهير بـ «ابن راشد القطيفي»، كما يظهر من أول غوالي اللاكلى. (٢٠)

(١) المذهب البارع: ٧٠ / ١ - ٧١.

(٢) رياض العلماء: ٦٥ / ١.

أدوار الفقه الإمامي (للسبغاني)، ص: ٢١٠

٥. ناصر الدين بن جمال الدين أحمد بن متوج (المتوفى ٨٥٦ هـ -)

هو ناصر الدين بن جمال الدين أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن الحسن بن متوج البحراني. يعرّفه الشيخ الحر العاملي بقوله: الشيخ ناصر بن أحمد بن عبد الله بن المتوج البحراني، صاحب الذهن الوقاد، فاضل، محقق، فقيه، حافظ، نقل أنه ما نظر شيئاً و نسيه. (١)

٦. الشيخ شهاب الدين أحمد بن فهد بن إدريس المقرئ الأحسائي

هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن إدريس المقرئ الأحسائي من أجله علماء الإمامية و فقهاءهم، يروى عن: الشيخ فخر الدين أحمد بن عبد الله المشهور بـ «ابن المتوج البحراني» عن الشيخ فخر الدين ولد العلامة. و يروى عنه الشيخ جمال الدين حسن الشهير بـ «المطوع الجرواني الأحسائي» كما ذكره ابن أبي جمهور في أول غوالي اللاكلى. ثم إن ابن فهد هذا غير ابن فهد الأسدي الحلّي فهما معاصران، و من العجب أن لكل واحد منهما شرحاً على إرشاد العلامة، و كلاهما في طبقة واحدة حيث يرويان عن فخر المحققين بواسطة واحدة. (٢)

(١) أمل الآمل: ٣٣٣ / ٢ برقم ١٠٢٦. و انظر ترجمته في طبقات أعلام الشيعة: ١٤٢، القرن التاسع؛ رياض العلماء: ٢٣٦ / ٥.

(٢) رياض العلماء: ٥٥ / ١، و الترجمة منقولة عن كشكول البحراني، و حيث إن محقق الكتاب لم يعثر على الجزء الأول من الرياض، جمع ما يرجع إليه من هنا و هناك، فالترجمة أولى بالانتساب إلى محقق الكتاب، أعني: السيد أحمد الحسيني الاشكوري - دام مجده -.

أدوار الفقه الإمامي (للسبغاني)، ص: ٢١١

٧. محمد الأنصاري بن شجاع الحلّي

محمد الأنصاري بن شجاع الحلّي القطان، عالم، فقيه، فاضل، يروى عن الفاضل المقداد، و له من الكتب:

١. «معالم الدين في فقه آل ياسين».

و يروى فيه أيضاً عن أبي الحسن علي بن الحسن الاسترآبادي الراوي عن حسن بن سليمان تلميذ الشهيد.

يقول شيخنا المجيز الطهراني في وصف الكتاب الأول: و قد رتبته على أربعة أقسام، و هي دورة فقهية كاملة، فرغ منه في عاشر شعبان

سنة ٨٣٢ هـ. (١)

و قد حُقِّق الكتاب في مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام) و طبع مع تقديم مَنَّا.

٢. «أحكام الإيمان» الموسوم بنهج العرفان، فرغ من تصنيفه في التاسع عشر من شعبان عام ٨١٩ هـ - يروى فيه عن الفاضل المقداد و يدعو له بقوله: متعنا الله بطول بقائه.

٨. مفلح الصيمري (كان حياً عام ٨٧٨ هـ -)

هو الشيخ مفلح بن حسن بن رشيد بن صالح الصيمري، من تلاميذ أحمد ابن فهد الحلبي (المتوفى ٨٤١ هـ). و له من المؤلفات الفقهية ما يلي:

١. «غاية المرام في شرح شرائع الإسلام» في مجلد واحد، و قد طبع أخيراً في بيروت في عدة أجزاء، و قد اختار فيه الفرق بين الرطلين في الزكّاتين، كما اختاره ابن فهد في «المهذب البارع» أو العلامة الحلبي في «التحرير».

(١) لاحظ ترجمته في رياض العلماء: ١٠٨ / ٤؛ طبقات أعلام الشيعة: القرن التاسع: ١١٨؛ الذريعة: ٢٤ / ٤٢٢، و ج ٢١ / ١٩٩.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢١٢

٢. «جواهر الكلمات في صيغ العقود و الإيقاعات» فرغ من تصنيفه عام ٨٧٠ هـ، و هي رسالة عملية تدل على غزارة علم مؤلفها؛ مليح، كثير المباحث، غزير العلم.

٣. «التنبيهات في الإرث و التوريثات» ذكره شيخنا الطهراني في «الذريعة». (١) رسالة في الفرائض مرتبة على ثلاثة أبواب و خاتمة.

٤. «تلخيص الخلاف» هو تلخيص كتاب «الخلاف» لشيخ الطائفة، و قد طبع التلخيص في ثلاثة أجزاء عام ١٤٠٨ هـ.

٥. «التنبيه على غرائب من لا يحضره الفقيه» جمع فيه المؤلف فتاوى الشيخ الصدوق المخالفة للإجماع و المسائل المرفوضة عند فقهاءنا المتقدمين.

٦. «كشف الالتباس» و هو شرح استدلالى لتمام رسالة الموجز الحاوي، ينتهي إلى آخر كتاب الزكاة؛ و الموجز من تأليف أحمد بن فهد الحلبي، و قد طبع الكتاب عام ١٤١٧ هـ.

و سيأتي ترجمته ولده حسين بن مفلح عند استعراض علماء القرن العاشر. (٢)

٩. الحسن بن محمد بن الحسن الاسترآبادي

هو الشيخ كمال الدين (تاج الدين) حسن بن شمس الدين محمد بن حسن الاسترآبادي مولداً، و النجفي موطناً.

يعرفه الأفتدي التبريزي بقوله: كان من أكابر علماء متأخري أصحابنا، و له

(١) الذريعة: ٣ / ٣٣٥؛ كشف الالتباس، مقدمة المحقق، و قد كتب له ترجمته ضافية.

(٢) طبقات أعلام الشيعة: القرن التاسع، ص ١٣٧؛ و انظر مخطوط كتاب مشايخ الشيعة.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢١٣

تأليف قيمة، منها:

١. «معارج السئول و مدارج المأمول» في مجلدين، و هو كتاب جامع في معناه حسن كاسمه، كثير الفوائد، كبير، فرغ من تأليفه ٨٩١ هـ.

و قد ألفه على غرار كتاب «كنز العرفان» للشيخ مقداد السيوري، و زاد عليه بفوائد نفيسة جليئة كثيرة.

٢. «عيون التفاسير» و قد صرح به في أول المعارج.

يقول شيخنا المجيز: عيون التفاسير للشيخ كمال الدين الحسن بن محمد بن حسن الاسترآبادي النجفي.

٣. «شرح الفصول النصيرية».

أقول: صرح في أول «معارج الأصول» بأنّ الله منّ عليه بتأليف عيون التفاسير و استخراج منه المعارج على نهج ما ألفه شيخه المقداد. و بما أنّه فرغ من تأليف «عيون التفاسير» سنة ٨٩١هـ، و في الوقت نفسه يروى عن الفاضل المقداد المتوفى عام ٨٢٨هـ، فهو من المعمرين. («١»)

١٠. الحسن بن راشد الحلّي

هو تاج الدين الحسن بن راشد الحلّي، تلميذ الفاضل المقداد صاحب «الجمانة البهيّة في نظم الألفيّة الشهيديّة».

يعرّفه الشيخ الحرّ العاملی بقوله: فاضل، فقيه، شاعر، أديب، له شعر كثير

(١) انظر ترجمته في رياض العلماء: ١ / ٣١٩؛ الذريعة: ١٥، برقم ٢٣٧٥؛ طبقات أعلام الشيعة: ٩١، القرن التاسع.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢١٤

في مدح المهدي و سائر الأئمّة (عليهم السلام)، و مريثه الحسين (عليه السلام)، و أرجوزة في تاريخ الملوك و الخلفاء، و أرجوزة في تاريخ القاهرة، و أرجوزة في نظم ألفية الشهيد.

و وصفه الشيخ إبراهيم الكفعمي المتوفى عام ٩٠٥هـ بقوله: الشيخ الإمام، الفاضل، نادرة الزمان، و ذكر أنّه يروى الألفيّة عن شيخه المقداد، و هو يرويها عن مؤلفها الشهيد.

و أول الأرجوزة:

قال الفقير الحسن بن راشد*** مبتدأ باسم الإله الماجد («١»)

١١. ابن أبي جمهور الأحسائي

هو المحقق الفاضل محمد بن الشيخ زين الدين أبي الحسن علي بن حسام الدين بن إبراهيم بن حسين بن إبراهيم بن أبي جمهور

الهجري الأحسائي، يعرّفه الشيخ الحرّ العاملی بقوله: كان عالماً، فاضلاً، راوياً، له كتب، ثم ذكر أسماء كتبه.

و يعرّفه المحدّث البحراني بقوله: كان فاضلاً، مجتهداً، متكلماً، له كتاب غوالي اللآلي.

و يذكره العلّامة المجلسي و يقول: و مؤلّفه بالفضل معروف.

و أمّا آثاره الفقهية، فقد ألف:

١. «الأقطاب الفقهية و الوظائف الدينية على مذهب الإمامية»، و هو على

(١) أمل الآمل: ٢ / ٦٥ برقم ١٧٨. و انظر الذريعة: ٥ / ١٣١ برقم ٥٤٢، تاريخ طبقات أعلام الشيعة: ٤١، القرن التاسع.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢١٥

غرار قواعد الشهيد.

٢. «الأنوار المشهدية في شرح الرسالة البرمكية» في فقه الصلاة اليومية، و الظاهر أنّ الرسالة البرمكية قد كتبها بنفسه.

٣. «التحفة الحسينية في شرح الألفية» كتبه شرحاً لألفية الشهيد الأول.

و أمياً تأليفه في الأحاديث و الأخبار، فمن أشهر كتبه «غوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية»، وقد فرغ منه سنة ٨٩٩ هـ - كما ذكره شيخنا النوري في «المستدرک»، وقد طبع الكتاب في أربعة أجزاء.

و حيث إنّه قضى أكثر عمره في القرن التاسع، و قد توفي في مستهل القرن العاشر (بعد سنة ٩٠١) ذكرناه في فقهاء هذا القرن. («١») هذه نخبة من أسماء الأعلام من فقهاء القرن التاسع تلونهاها عليكم كنماذج من الفقهاء الأفذاذ الذين برزوا في تلك الحقبة من الزمان، و الذين أنعشوا الحركة الاجتهادية بتأليفهم، و من أراد الوقوف على مزيد ممّا ذكرنا فليرجع إلى طبقات الفقهاء و سائر الكتب.

حصيلة الجهود العلمية في القرن التاسع

قد مرّ عليك في صدر البحث أنّه لم تكن توجد سلطة مركزية تحكم البلاد الإسلامية، بل كانت ثمة دويلات صغيرة تحكم في إطار المناطق التي تخضع لنفوذها.

(١) المستدرک: ٣ / ٣٦١ - ٣٦٥، الفائدة الثالثة؛ ریحانة الأدب: ٧ / ٣٣٩؛ أمل الآمل: ٢ / ٢٥٣ برقم ٧٤٩؛ روضات الجنات: ٧ / ٢٦ برقم ٥٩٤.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢١٦

و من الواضح أنّ في مثل تلك الظروف القلقة تنعدم الطمأنينة و الثبات المطلوب لعرض الأفكار و مناقشتها خصوصاً في مجال الفقه. و قد احتفل التاريخ في هذا القرن بأسماء جمع غفير من الفقهاء مع قلّة الانتاجات العلمية. فبعد الإيعاز إلى هذه المقدمة نستعرض حصيلة الجهود التي أنجزت في هذا القرن:

ألف. ظهور ثلّة من الفقهاء العظام الذين أخذوا على عاتقهم إنعاش الفقه و تطويره على ضوء ما ورثوه من أساتذتهم، و في طليعتهم:

١. المقداد السيوري (المتوفى ٨٢٨ هـ).

٢. الشيخ ابن فهد الحلّي (٧٧٥ - ٨٤١ هـ).

٣. مفلح الصيمري (كان حياً عام ٨٧٨ هـ).

٤. شهاب الدين أحمد بن فهد الأحسائي.

ب. العناية الوافرة بتفسير آيات الأحكام التي هي أسس التشريع الإسلامي، فقد أُلّف الفاضل المقداد كتاب «كنز العرفان» و يعد مصدر إشعاع و إلهام إلى يومنا هذا.

كما أُلّف الحسن بن محمد بن الحسن الاسترآبادي كتابه «معارض السؤل و مدارج المأمول» في مجلدين سار فيه على ضوء كتاب كنز العرفان لأستاذة.

ج. العناية الوافرة بالقواعد الفقهية على غرار ما أُلّف في القرن الثامن لكن بنظم و منهجية أكثر، و قد وقفت على أنّ الفاضل المقداد أُلّف «نضد القواعد» تنظيماً لما أُلّفه الشهيد الأول.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢١٧

الدور الرابع

الجهود الفقهية في القرن العاشر و أوائل الحادي عشر

عند إطلاء القرن العاشر سادت الربوع الإسلامية دولتان عظيمتان هما: الدولة الصفوية و العثمانية؛ حيث حكمت الأولى أصقاعاً من الشرق الإسلامي من عام (٩٠٥-١١٣٥ هـ) و حكمت الثانية أصقاعاً من الغرب الإسلامي و أكثر البلاد العربية، و قد استأثر الفقهاء باهتمام كلا الدولتين بغية إصفاء الشرعية على حكمهما خصوصاً الدولة الصفوية التي قامت على دعامة التشيع و ولاية الأئمة الاثنى عشر التي فوضت الأمور بعد غيبة الإمام الثاني عشر إلى الفقهاء العظام الجامعين لشرائط الإفتاء، فازدهرت العلوم الإسلامية لا سيما الفقه في عهد الصفوية إلى حد بعيد، فلنذكر نخبة من العلماء الذين أنجبهم هذه الحقبة.

[فقهاء القرن العاشر]

١. الشيخ حسين الصيمري (المتوفى عام ٩٣٣ هـ)

هو الشيخ حسين بن مفلح بن حسن الصيمري يعرفه الحر العاملي بقوله: فاضل، عالم، محدث، عابد، كثير التلاوة و الصوم و الصلاة و الحج، حسن الخلق، واسع العلم، توفي سنة ٩٣٣ هـ، و عمره يزيد على الثمانين. و أما تأليفه، فقد فصلها شيخنا المجيز و عدّها منها: أدوار الفقه الإمامي (للسبعماني)، ص: ٢١٨. ١. «محاسن الكلمات في معرفة النيات». ٢. «مناسك الحج». ٣. «جواز الحكومة الشرعية». و رسائل أخرى لم تذكر بعنوانها، و قد مرّ أنّ والده مفلحاً تلميذ ابن فهد له «جواهر الكلمات في صيغ العقود و الإيقاعات»، و «غاية المرام في شرح شرائع الإسلام». («١»)

٢. الحسن الأعرج الحسيني (المتوفى عام ٩٣٣ هـ)

هو بدر الدين بن جعفر بن فخر الدين بن الحسن بن نجم الدين الأعرج الحسيني. يصفه الحر العاملي بأنه كان فاضلاً، جليل القدر، و من جملة مشايخ شيخنا الشهيد الثاني، قرأ عليه في الكرك، و توفي سنة ٩٣٣ هـ. يقول في إجازته للشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي: و أرويه عن شيخنا الأجل الأعلم، الأكمل ذي النفس الطاهرة الزكية أفضل المتأخرين في قوته العلمية و العملية. مؤلفاته

١. كتاب «المحجة البيضاء و المحجة الغراء» جمع فيه بين فروع الشريعة و الحديث و التفسير في الآيات الفقهية.

(١) أمل الآمل: ١٠٣/٢ برقم ٢٨٥؛ و طبقات أعلام الشيعة: ٦٦، القرن العاشر؛ و له ترجمة في أعيان الشيعة.

أدوار الفقه الإمامي (للسبعماني)، ص: ٢١٩

٢. «العمدة الجلية في الأصول الفقهية».

٣. «شرح الطيبة الجزرية في القراءات العشر».

٤. «مقنع الطلاب فيما يتعلق بكلام الاعراب». («١»)

٣. على بن عبد العالى الكركى (المتوفى عام ٩٤٠هـ)

هو الشيخ على الكركى المعروف بـ «المحقق الثانى» نور الدين على بن الحسين بن على بن محمد بن عبد العالى الكركى، المتوفى عام ٩٤٠هـ فى النجف يوم الغدير.

يعرفه الشيخ الحر العاملى بقوله: الشيخ الجليل على بن عبد العالى الكركى، أمره فى الثقة و العلم و الفضل و جلاله القدر و عظم الشأن و كثرة التحقيق أشهر من أن يذكر، و مصنفاته كثيرة مشهورة، ثم ذكر فهرس كتبه.

و ذكره السيد التفرشى فى «نقد الرجال» و قال: شيخ الطائفة، و علامة وقته، صاحب التحقيق و التدقيق، كثير العلم، نقى الكلام، جيد التصانيف من أجلاء هذه الطائفة، يروى عن الشيخ شمس الدين محمد بن داود عن ابن الشهيد عن أبيه، و كفى فى فضله أن الشهيد

الثانى يثنى عليه بقوله: الشيخ الإمام المحقق المنقح نادرة الزمان و يتيمة الأوان.

و من تأليفه

١. «جامع المقاصد فى شرح القواعد» فى خمسة مجلدات كبار إلى بحث التفويض من النكاح، و هو كتاب مشحون بالتحقيق و الاستدلال ينقح مبانى

(١) أمل الآمل: ٥٧ / ١ / ٥٧ برقم ٤٤؛ و انظر ترجمته فى روضات الجنات: ٢ / ٢٩٤ برقم ٢٠٣؛ طبقات أعلام الشيعة: القرن العاشر، ص ٤٩.

أدوار الفقه الإمامي (للسبجاني)، ص: ٢٢٠

الأحكام، و هو من الكتب الممتعة و من حسنات الدهر.

و يحكى عن الشيخ محمد حسن النجفى صاحب «جواهر الكلام» أنه قال: إن الفقيه إذا كان بين يديه «جامع المقاصد» و «وسائل الشيعة» و «الجواهر» استغنى عن أى مصدر آخر، و كان بإمكانه استنباط الحكم الفقهي اعتماداً على هذه المصادر الثلاثة. («١»)

و نقل عن صاحب العروة أنه يكفى للمجتهد فى استنباطه للأحكام أن يكون عنده كتاب «جامع المقاصد» و «الوسائل» و «مستند الشيعة».

و أما سائر آثاره الفقهية فنتهى إلى ٣٢ كتاباً و رسالة نذكر بعضها، و من أراد التفصيل فليرجع إلى مقدمة «جامع المقاصد». («٢»)

نعم أن الشيخ أول من أورد المسائل الحكومية إلى الساحة الفقهية، لما تمتع به من منصب فى الدولة الصفوية، و سيأتى الحديث عنه عند البحث عن حصيلة الجهود التى بذلت فى القرن العاشر.

٢. الرسالة الخراجية المسماة بـ «قاطع اللجاج فى تحقيق حل الخراج».

٣. رسالة الجمعة.

٤. الرسالة الرضاعية.

و غيرها من التأليفات التى نافى على ٣٢ تأليفاً.

٤. إبراهيم القطيفي (المتوفى عام ٩٤٥هـ)

هو كما يعرفه صاحب الرياض: الإمام، الفقيه، الفاضل، العالم، الكامل،

(١) جواهر الكلام: ١ / ١٤؛ لاحظ المستدرک: ٣ / ٤٣١، الفائدة الثالثة.

(٢) مقدّمة جامع المقاصد: ٤١-٤٣.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٢١

المحقّق، المدقّق، المعاصر للشيخ على الكركي العاملي، المعروف بـ «المحقّق الثاني»، و كان هو و الشيخ عز الدين الأملي و الشيخ على الكركي شركاء الدرس عند الشيخ على بن هلال الجزائري، و كان زاهداً، عابداً، ورعاً، مشهوراً، تاركاً للدنيا برمتها. و قد دارت بينه و بين زميله الشيخ على الكركي مساجلات و مناظرات في مسائل فقهية أهمها مسألة الخراج كما سيوافيك. و ذكر صاحب الروضات أسماء تأليفه الفقهية بالنحو التالي:

١. «الهادي إلى سبيل الرشاد في شرح الإرشاد».

٢. «نفحات الفوائد و مفردات الزوائد».

٣. رسالة في أحكام الرضاع.

٤. رسالة في محرّمات الذبيحة.

٥. رسالة في الصوم ينقل عنه الأردبيلي في «مجمع الفائدة».

٦. رسالة في أحكام الشكوك.

٧. شرحه على ألفية الشهيد.

٨. تعليقات كثيرة على الشرائع. (١)

و من المسائل التي خالف فيها المحقّق الكركي هو مسألة حل الخراج، ففي الواقع كان المحقّق الكركي يؤيد الحكومة الصفوية لا سيما الشاه طهماسب، و كان القطيفي على خلافه.

فألّف المحقّق كتابه «قاطع اللجاج في تحقيق الخراج» عام ٩١٦ هـ، رتبه

(١) رياض العلماء: ١/ ١٥، روضات الجنات: ١/ ٢٥-٢٧ برقم ٣.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٢٢

على مقدّمة في أقسام الأرضين و خمس مقالات، و قد طبعت مع الرسائل الرضاعيات.

و نقضها الشيخ إبراهيم القطيفي بكتاب أسماه «السراج الوهاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج».

و صارت المسألة موضع نقاش حاد بين العلماء، فألّف المحقّق الأردبيلي رسالة دافع فيها عن القطيفي، كما ألّف ماجد الشيباني رسالة دافع فيها عن الكركي، و الكتابان الأولان مطبوعان.

و من فتاواه حرمة صلاة الجمعة في عصر الغيبة مطلقاً رداً على المحقّق الكركي القائل بوجوبها مع وجود المجتهد الجامع لشرائط الفتوى.

إنّ الخلاف بين المحقّق الكركي و القطيفي لم يكن سياسياً كما زعمه بعض، بل إنّ منشأه أنّ الخراج إنّما يؤخذ من الأراضي التي فتحت عنوة بإذن الإمام و كانت معمورة عند الفتح و لم يثبت وقفيتها أو لم يدع أحد أنّ بيده ملكيتها، ففي مثل تلك الأراضي يؤخذ الخراج و يصرف في مصالح المسلمين.

فالقطفيفي و من أيّده كالأردبيلي يدعون عدم ثبوت هذه الشروط في الأراضي التي يؤخذ منها الخراج. (١)

٥. زين الدين الجبعي العاملي (٩١١-٩٦٦ هـ)

هو الشيخ الأجل زين الدين بن علي بن أحمد بن محمد بن جمال الدين بن نقي الدين بن صالح (تلميذ العلّامة) العاملي، الجبعي،

المعروف ب- «الشهيد الثاني».

(١) لاحظ الرسالتين الخراجيتين للأردبيلي، المطبوعتين مع سائر رسائله.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٢٣

يعرفه الحر العاملى بقوله: أمره فى الثقة والعلم والفضل والزهد والعبادة والورع والتحقيق والتبحر وجلالة القدر وعظم الشأن وجمع الفضائل والكمالات أشهر من أن يذكر، ومحاسنه وأوصافه الحميدة أكثر من أن تحصى وتحصر، ومصنفاته كثيرة مشهورة. كان (رحمه الله) فقيهاً، محدثاً، نحويّاً، قارئاً، متكلماً، حكيماً، جامعاً لفنون العلم، وقد أُلّف تلميذه محمد العودى العاملى رسالة فى ترجمة الشهيد منذ ولادته إلى شهادته بالقسطنطينية سنة ٩٦٦هـ.

وأما تصانيفه المفعمّة بالتحقيق فكثيرة، نذكر منها على سبيل المثال:

١. «مسالك الأفهام فى شرح شرائع الإسلام» وقد طبع قديماً فى جزئين كبيرين، وأعيد طبعه بصف جديد فى خمسة عشر جزءاً فرغ المؤلف عنه عام ٩٦٤، وهو أحسن كتاب جمع بين التلخيص فى التعبير والتحقيق فى المادة والمعنى، وليس له نظير بين المتقدمين والمتأخرين.

٢. «الروضة البهية فى شرح اللمعة الدمشقية» وهى دورة فقهية تضم جميع أبواب الفقه، وبما أنه جمع بين حسن التعبير والاختصار فى الاستدلال على الحدّ اللازم صار كتاباً دراسياً منذ قرون وما زال يدرّس فى الجامعات الإسلامية الشيعية إلى يومنا هذا، وعليها تعليقات كثيرة.

وأما سائر تأليفه الفقهية فحدث عنها ولا حرج، وقد سرد أسماءها الحر العاملى فى كتابه القيم «أمل الآمل». (١)

يروى عنه: السيد على بن الصائغ الفقيه المشهور صاحب شرح الشرائع، والسيد نور الدين عبد الحميد الكركى العاملى، والمولى محمود بن محمد بن على

(١) أمل الآمل: ١/ ٨٥، وروضات الجنات: ٣/ ٣٥٢ برقم ٣٠٦، رياض العلماء: ٢/ ٣٦٥.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٢٤

الجيلانى، والشيخ محبى الدين بن أحمد بن تاج الدين الميسى العاملى، والشيخ تاج الدين بن هلال الجزائرى، والشيخ بهاء الدين بن العودى وهو من خواص تلامذته، والشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثى والد الشيخ بهاء الدين العاملى، والسيد على بن أبى الحسن الموسوى العاملى الجبجعى وهو صهره الذى كان والد سبطه السيد محمد صاحب المدارك. (١)

وقد يتصوّر المرء فى بدو الأمر أنّ الشهادة كتبت على أبطال رفعا السلاح فى ميادين الجهاد وساحات الوغى، ولكن عند ما يتصفح صفحات التاريخ ويقف على سيرة علمائنا الأبرار يجد أنّهم جمعوا بين اللسان والحسام، وخدموا الشريعة ببرايعهم وأقلامهم ودمائهم وأرواحهم، وشيخنا هذا من أبرز مصاديق تلك الزمرة. فقد استعرض التاريخ لنا كيفية شهادته المفجعة. (٢)

٦. الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملى (٩١٨ - ٩٨٤ هـ)

الشيخ عز الدين حسين بن عبد الصمد الجبجعى العاملى، والد شيخنا بهاء الدين العاملى، يصفه أستاذه زين الدين الشهيد الثانى، بقوله: الشيخ الإمام العالم الأوحد، المرقى عن حضيض التقليد إلى أوج اليقين، عضد الإسلام والمسلمين فى الدنيا والدين، حسين بن الشيخ الصالح العالم العامل المتقى، خلاصة الأخيار، الشيخ عبد الصمد بن الشيخ الإمام شمس الدين محمد الشهير بالجبجعى الحارثى الهمدانى. (٣)

و لعل هذه الكلمة من أستاذه تعرب عن مكانة الرجل في العلم و الفقه

(١) رياض العلماء: ٢ / ٣٦٦.

(٢) أمل الآمل: ١ / ٨٨ - ٩٩.

(٣) طبقات أعلام الشيعة: ٦٢، القرن العاشر.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٢٥

و الأمانة، و آثاره تدل على تضلعه في الفقه، و قد ترك آثاراً فقهية نذكر منها ما يلي:

١. رسالة في تعارض اليد و الشيع و تقديمه على اليد.

٢. رسالة في المسح على الرجلين.

٣. رسالة في تحقيق تسع مسائل مهمة في الصلاة، المعبر عنه ب- «الرسالة التساعية».

٤. مسائل الصلاة، أو الرسالة الطهماسية، في بعض المسائل الفقهية.

و لما توفي (قدس سره)، رثاه ولده الأكبر شيخنا بهاء الدين العاملی بقصيدة مطلعها:

قف بالطلول و سلها أين سلماها و رو من جرع الأجفان جرها (١)

٧. علي بن الحسين الصائغ العاملي (المتوفى عام ٩٨٠ هـ -)

هو علي بن الحسين بن محمد الشهير ب- «الصائغ» الحسيني العاملي الجزيني.

عرّفه الحر العاملي بقوله: كان فاضلاً، عابداً، فقيهاً، محدثاً، محققاً، و من تلامذة الشهيد الثاني، له كتاب «شرح الشرائع» رأيت به خطه و كتاب «شرح الإرشاد» و غير ذلك.

قرأ عنده الشيخ حسن (صاحب المعالم) ابن الشهيد الثاني، و السيد محمد بن علي بن أبي الحسن الموسوي العاملي (صاحب المدارك) و روى عنه.

و لما توفي رثاه الشيخ حسن المذكور بقصيدة تتألف من ٢٤ بيتاً مطلعها:

(١) و لشيخنا المترجم ترجمة وافية في الغدير، ذكر فيه مشايخه و تلاميذه، فمن أراد فليرجع إلى الجزء ١١ / ٢١٧ - ٢٣١.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٢٦

داعي الغواية بين العالمين دعا*** من شاب نجم الهدى من بعد ما سطعا (١)

يقول الأفتدي: يروي عنه المحقق الأردبيلي، و أنّ شرحه على الإرشاد موسوم ب- «مجمع البيان في شرح إرشاد الأذهان» و قد رأيت منه نسخة بقصبة «دهخارقان»، و قد قرئت تلك النسخة عليه، و كان تاريخ تأليفه سنة ٩٧٩ هـ.

و كفى في جلالته أنه من مشايخ الأردبيلي، الذي تربى في أحضان العلماء الجليلان صاحباً المعالم و المدارك.

٨. عبد العالي الكركي (٩٢٦ - ٩٩٣ هـ -)

هو الشيخ عبد العالي بن نور الدين علي بن عبد العالي العاملي الكركي.

يعرّفه الحر العاملي بقوله: كان فاضلاً، فقيهاً، محققاً، محدثاً، متكلماً، عابداً، من المشايخ الأجلّاء، يروي عن أبيه و غيره من المعاصرين.

و ذكره التفريسي في «رجال» وقال: جليل القدر، عظيم المنزلة، رفيع الشأن، نقي الكلام، كثير الحفظ، كان من تلامذة أبيه، تشرّف بخدمته، وقد توفي باصفهان عام ٩٩٣ هـ. (٢)

و أما آثاره العلمية

١. «اللمعة في عدم عينيه الجمعة».

٢. رسالة في القبلة عموماً، و قبلة خراسان خصوصاً.

إلى غير ذلك من التأليف.

(١) أمل الآمل: ١/ ١١٩ برقم ١٢٣.

(٢) أمل الآمل: ١/ ١١٠ برقم ١٠٠. وانظر ترجمته في نقد الرجال: ١٨٨-١٨٩؛ طبقات أعلام الشيعة: ١٢٢، القرن العاشر؛ روضات الجنات: ١٩٩/٤.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٢٧

٩. المحقق أحمد الأردبيلي (المتوفى عام ٩٩٣ هـ)

المولى أحمد بن محمد الأردبيلي، أمره في الجلالة و الثقة و الأمانة أشهر من أن يذكر، و فوق ما تحوم حوله عبارة، كان متكلماً، فقيهاً عظيم الشأن، جليل القدر، رفيع المنزلة، أروع أهل زمانه، و أعبدهم و أتقاهم. (١)

يعزفه المحدث البحراني بقوله: لم يسمع بمثله في الزهد و الورع، له مقامات و كرامات لا مجال لذكرها.

و كانت السلطة الصفوية آنذاك بيد الشاه عباس الصفوي، و كان يبالي في تعظيمه و تمجيدته، و يرسل إليه بكل جميل، و يستدعي من جنبه القدوم إلى إيران، و هو يتحاشى عن قبول ذلك.

و قد خلف أثرين عظيمين في الفقه قلما يوجد لهما مثل هما:

١. «مجمع الفائدة و البرهان في شرح إرشاد الأذهان» و قد طبع في اثني عشر جزءاً، و هو مفعم بالتحقيق و مشحون بالدقة، و هو دورة

فقيهية كاملة، و موسوعة كبيرة تشمل جميع أبواب الفقه، إلّا كتاب النكاح، و قد اعترف بدقته و فضله كل من تأخر عنه، و هو المجدد

في أكثر المسائل الفقهية و مع أنه كان يرجع إلى كلمات الفقهاء، و لكن لا يصدر عنها تقليداً، فرغ من الجزء الأول عام ٩٧٨ هـ، قال

في آخر هذا الجزء: وقع اختتامه في عاشر ربيع الأول المنتظم في شهر سنة ٩٧٨ هـ- في مشهد أمير المؤمنين، أمير الأمراء عليه و على

حبيبه سيد الأنبياء، و أولاده سادات الأتقياء أفضل التحية و الثناء، في زمن الاختفاء من الأعداء. (٢)

(١) الأفتدى التبريزي: الرياض: ١/ ٥٦؛ طبقات أعلام الشيعة: ٨، القرن العاشر.

(٢) لاحظ مجمع الفائدة: ٣/ ٤٤٥.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٢٨

إنّ للمحقّق الأردبيلي في هذا الكتاب آراءً خاصية، خالف فيها الرأي المشهور بين العلماء، و قد نشرت مجموعة من هذه الآراء في

الجزء الثاني من المقالات التي طبعت بمناسبة انعقاد مؤتمر احياء الذكرى المئوية على وفاة المحقق الأردبيلي.

و تعرب آراؤه عن دقته و حرّيته في الرأي، و عمق تفكيره، و نظرتة الفاحصة نحو المسائل الفقهية.

٢. «فقه القرآن»: المسمّى ب- «زبدة البيان في أحكام القرآن» فسّر فيه آيات الأحكام الواردة في القرآن المجيد، و هو- بعد كنز

العرفان- أبسط كتاب حول الموضوع، و قد فرغ من تأليفه سنة ٩٨٩ هـ، و وقع موضع العناية من قبل العلماء، فشرحه بعضهم، و علّق

عليه آخرون.

و هو كتابه السابق مشحون بالتحقيق، و أما منهج المؤلف في هذا الكتاب، يشرح اللغات المشكّلة، ثم يبيّن النكات الأدبية، و يفسّر الآيات على ضوءهما، ثم يتطرق إلى الأحكام التي تدل عليها الآية، و هو في تأليفه هذا متأثر بكتاب «مجمع البيان» للشيخ الطبرسي. و قد شهد القرن العاشر محققين كبيرين على صعيد الفقه، أحدهما المحقق الكبير الشيخ أحمد الأردبيلي، و الثاني الشيخ علي الكركي المعروف بـ «المحقق الكركي» صاحب جامع المقاصد كما مرّ ذكره. كما يكفيه من الفضل أنّه ربّي فقيهين جليلين، هما: الشيخ حسن صاحب المعالم، و السيد محمد صاحب المدارك، و كلاهما من أعلام الفقه و حملة الأعلام. (١)

(١) طبقات أعلام الشيعة: ٨، القرن العاشر.

أدوار الفقه الإمامي (للسبغاني)، ص: ٢٢٩

١٠. الحسين المجتهد الكركي (المتوفى عام ١٠٠١ هـ)

هو السيد الحسين المجتهد الكركي ابن السيد ضياء الدين أبي تراب الحسن ابن أبي جعفر محمد الموسوي الكركي. يعرّفه الأندى التبريزي بقوله: الفقيه، الفاضل، الجليل، الكامل، المعروف بالأمير السيد حسين المجتهد، و قد يعرف بالأمير السيد حسين المفتي، والد الميرزا حبيب الله المشهور، الذي تسلم مناصب رفيعة في عهد الصفوية، و هو ابن أخت الشيخ عبد العالي بن الشيخ علي الكركي المشهور، و كان والده من جملة مشايخ الشهيد الثاني، و من أكابر العلماء، و من مشايخ الشيخ حسين بن عبد الصمد، والد شيخنا بهاء الدين العاملي، و قد تخرّج عليه الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ ظهير الدين إبراهيم البحراني. و أما آثاره العلمية الفقهية، فهي:

١. «رفع البدعة في حل المتعة» وصفه الأندى بقوله: و هي رسالة طويلة الذيل، حسنة الفوائد، و عندنا منها نسخة، و قد ألفها لكمال الدين شيخ أويس.

٢. رسالة «اللمعة في أمر صلاة الجمعة» فرغ من تأليفها سنة ٩٦٦ هـ- و قد ألفها للسلطان شاه طهماسب، و يذهب فيها إلى وجوب صلاة الجمعة تخييراً لكن شريطة أن يكون إمام الجمعة فقيهاً مجتهداً جامعاً لشرائط الفتوى، و ردّها فيها على ما ذكره الشهيد الثاني من الأدلة على وجوبها عيناً.

٣. «النفحات القدسية في أجوبة المسائل الطبرسية».

٤. «الاقتصاد».

أدوار الفقه الإمامي (للسبغاني)، ص: ٢٣٠

٥. «شرح الشرائع» خرج منه كتاب الطهارة.

إلى غير ذلك من الرسائل و المصنّفات في الفقه و العقائد و غيرها. (١)

يقول شيخنا المجيز: توفي بأردبيل بالطاعون، و حمل إلى العتبات المقدسة سنة ١٠٠١ هـ، ثم اعتذر عن ذكره في عداد فقهاء القرن العاشر بقوله: و ذكرنا المترجم له هاهنا مع أنّه توفي عام ١٠٠١ هـ- لشدة احتكاك ترجمته مع أهل المائة العاشرة.

١١. الشيخ جمال الدين الحسن صاحب المعالم (٩٥٩-١٠١١ هـ)

هو الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن بن الشيخ زين الدين الشهيد الثاني العاملي الجبعي. يعرّفه الشيخ الحر العاملي بقوله: كان عالماً، فاضلاً، عاملاً، كاملاً، متبحراً، محققاً، ثقةً، فقيهاً، وجيهاً، نبياً، محدثاً، جامعاً للفنون، أديباً، شاعراً، زاهداً، عابداً، ورعاً، جليل القدر، عظيم الشأن، كثير المحاسن، وحيد دهره، أعرف أهل زمانه بالفقه والحديث والرجال. (٢) ولا أجد عبارة أجمع في الإشادة بفضلته كتلك التي ذكرها الحر العاملي. انتقل الشيخ حسن و ابن أخته السيد محمد صاحب المدارك إلى النجف، وتلمذوا على يد المحقق الأردبيلي، وكان يخصيهما بالتدريس وراء ما يلقيه على سائر الطلاب، وكان يتتبا لهما بمستقبل زاهر و زاخر بالعباءة العلمی.

(١) لاحظ، طبقات أعلام الشيعة: ٧١، القرن العاشر، فقد ذكر فهرس تأليفه على وجه التفصيل، الأفتدي التبريزي: الرياض: ٦٢ / ٢ - ٦٩؛ و أمل الآمل: ٦٩ / ١ برقم ٦٣.

(٢) الحر العاملي: أمل الآمل: ٥٧ / ١، روضات الجنات: ٢ / ٢٩٦، رياض العلماء: ١ / ٢٢٥.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٣١

وقد أنتج قلم شيخنا كتباً، منها:

١. «منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان» خرج منه كتب العبادات إلى الحج، وهو كتاب قليل النظر، وفيه نكات وإفادات لا توجد في غيره.

٢. «معالم الدين و ملاذ المجتهدين» خرج منه مقدمة في الأصول و قسم من كتاب الطهارة، و لم تزل مقدمته في الأصول كتاباً دراسياً منذ تأليفه إلى يومنا هذا.

٣. «مناسك الحج».

٤. الرسالة الاثنا عشرية في الصلاة.

٥. «حاشية على مختلف الشيعة» مجلد واحد.

٦. «التحرير الطووسي» في الرجال.

٧. كتاب «مشكاة القول السديد في تحقيق معنى الاجتهاد و التقليد».

٨. رسالة في المنع من تقليد الميت.

و في ظني ان شيخنا أبا منصور صاحب المعالم ألف الكتابين الأخيرين ردّاً لما ظهر في الأوساط العلمية من بوادر الحركة الاخبارية، التي كانت تحرم الاجتهاد و لا تجوز التقليد، و تجوز أخذ الحكم من الحي و الميت.

و هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على ظهور الحركة الرجعية في مستهل القرن الحادي عشر، قبل أن ينادى بها محمد أمين الاسترآبادي من مكة المكرمة عن طريق تأليف كتابه «الفوائد المدنية» و سوافيك تفصيل ذلك عند البحث عن الحركة الاخبارية.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٣٢

١٢. السيد محمد صاحب المدارك (٩٤٦-١٠٠٩هـ-)

هو السيد محمد بن علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي الجبعي. (١)

يعرّفه الحر العاملي بقوله: كان عالماً، فاضلاً، متبحراً، ماهراً، محققاً، مدققاً، زاهداً، عابداً، ورعاً، فقيهاً، محدثاً، كاملاً، جامعاً للفنون و العلوم، جليل القدر، عظيم المنزلة، قرأ على: أبيه، و علي مولانا أحمد الأردبيلي، و تلامذه جده لأمه الشهيد الثاني، كان شريك خاله الشيخ حسن في المدرس، و كان كل يقتدى بالآخر في الصلاة و يحضر درسه، و قد رأيت جماعة من تلامذتهما.

و هذا التعبير يعرب عن مكانة الرجل و ورعه، غير ان سيدنا المترجم له قليل التأليف، و لكنّه كثير التحقيق و التدقيق، ردّ أكثر الأشياء المشهورة بين المتأخرين في الأصول و الفقه، كما فعله خاله الشيخ حسن. و من تأليفه:

١. «مدارك الاحكام في شرح شرائع الإسلام»، طُبعت في ثمانية أجزاء، و فرغ منه سنة ٩٩٨ هـ.

٢. «شرح المختصر النافع».

٣. و له حواش على الاستبصار، و التهذيب، و ألفية الشهيد.

و كان يقول بوجوب صلاة الجمعة.

(١) له ترجمة في أعيان الشيعة: ١٠٣/٤٦، أمل الآمل: ١/١٦٧، الذريعة ٤٤، ریحانة الأدب: ٢/٣٨٨، لؤلؤة البحرين: ٤٤، نقد الرجال: ٣٢١، هدية الأجاب: ١٨٩، روضات الجنات: ٧/٤٥، و له ترجمة وافية في مقدّمة مدارك الأحكام. أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٣٣

و من مميزات كتاب المدارك متانة الاستدلال، و الاعتماد على الروايات المسلمة، فينتقى منها ما كانت واضحة الدلالة، و من الأدلة العقلية ما كانت متسالمة، و هو في الوقت نفسه ينقل الرواية بكاملها مع الدقة في نقلها، و يضعف ما يرويه غير الإمامي الاثنى عشرى.

١٣. القاضي نور الله التستري المرعشي (٩٥٦-١٠١٩ هـ)

هو السيد نور الله بن السيد شرف الدين الحسيني المرعشي التستري («١»)، متكلم كبير، فقيه متبحر، أصولي بارع، كان يقضى في بلاد الهند بالمذاهب الخمسة، يصفه الشيخ الحرّ العاملي بقوله: فاضل، عالم، محقق، علامة، محدث، له كتب، منها: «إحقاق الحقّ في جواب من ردّ نهج الحقّ للعلامة»، و كتاب «الصوارم المهركة في جواب الصواعق المحرقة»، و كتاب «مصائب النواصب»، و «رسالة في نجاسة الماء القليل بالملاقاة» و له «حاشية على شرح المختصر للعضدي»، و «حاشية على تفسير البيضاوي».

كما أنّ له كتاب «مجالس المؤمنين» في القضايا و التراجم.

ألّف العلامة الحلّي كتاب «نهج الحق و كشف الصدق» للسلطان محمد خدابنده، مرتباً على مسائل في التوحيد و العدل و النبوة و الإمامة، و مسائل أصول الفقه، و المسائل الفرعية.

و قد قام الفضل بن روزبهان بنقض هذا الكتاب و فرغ من النقض عام ٩٠٩ هـ - و سمّاه «إبطال الباطل و إهمال كشف العاطل» أورد فيه جميع نهج الحقّ بألفاظه غير خطبته، ثمّ قام القاضي نور الله، بنقض كتاب روزبهان بكتاب

(١) له ترجمة ضافية في روضات الجنات: ٨/١٥٩ برقم ٧٢٧؛ أمل الآمل: ٢/٣٣٦ برقم ١٠٣٧؛ و ترجمه السيد المرعشي في مقدمته على كتاب إحقاق الحقّ.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٣٤

أسماء «إحقاق الحقّ» فلما علمت به السلطات الجائرة في الهند ألقى القبض عليه و زُجّ في السجن و عذب حتى استشهد على أثرها عام ١٠١٩ هـ.

و قد طبع «إحقاق الحقّ» بعدة طبعات، و طبع أخيراً بتعليقات و افرة للسيد العلامة المرعشي (رحمه الله).

١٤. عناية الله القهبائي (كان حياً عام ١٠١٦ هـ)

هو الشيخ عناية الله القهبائي من تلامذة المحقق الأردبيلي و الشيخ عبد الله التستري الاصفهاني و بهاء الدين العاملي، صاحب «مجمع الرجال في علم الرجال» جمع فيه تمام ما في الأصول الخمسة الرجالية، أعنى: رجال النجاشي، و الكشي، و رجال شيخ الطائفة، و فهرسته، و رجال ابن الغضائري؛ و هو في الوقت نفسه إعادة لتأليف «حل الإشكال في معرفة الرجال» للسيد ابن طاوس، و قد طبع الكتاب في سبعة أجزاء في ثلاثة مجلدات ((١)) و يعد كتابه هذا من أدق الكتب الرجالية و أعمقها.

١٥. الشيخ عبد النبي بن الشيخ سعد الجزائري ((٢)) (المتوفى ١٠٢١هـ -)

يصفه الحرّ العاملي بقوله: كان عالماً، محققاً، جليلاً، له كتب منها: شرح التهذيب. و يعرفه الخوانساري: كان فاضلاً، محققاً، جليلاً، قرأ في الأصولين، و الفقه،

(١) روضات الجنات: ٤ / ٤١٠؛ طبقات أعلام الشيعة، القرن الحادي عشر: ٤٢٠.
(٢) الجزائر عبارة عن ناحية كبيرة، و قرى متصلة واقعة على شفير نهر تستر، بينها و بين البصرة، حسنة الرباع و الاقطاع، خرج منه جمع كثير من علماء الشيعة. كما في الروضات لاحظ أيضاً مقدمة حاوي الأقوال: ٨.
أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٣٥
و الحديث و الرجال، و كتابه «حاوي الأقوال في معرفة الرجال» جليل معروف معتمد عليه بين الطائفة.
قرأ على شيخنا بهاء الدين العاملي، و صاحب المعالم، و المدارك، و ما في أمل الآمل من أنه قرأ على المحقق الكركي بعيد عن الصحة، لأن الثاني توفي عام ٩٤٠هـ و المترجم له توفي عام ١٠٢١هـ. ((١))

١٦. عبد الله بن الحسين التستري شيخ الرجالين (المتوفى ١٠٢١هـ -)

يعرفه تلميذه في «نقد الرجال» بقوله: عبد الله بن الحسين التستري مدّ ظله - شيخنا و أستاذنا، الإمام، العلامة، المحقق، المدقق، جليل القدر، عظيم المنزلة، دقيق الفطنة، كثير الحفظ، و حيد عصره، فريد دهره، أروع أهل زمانه، ما رأيت أحداً أوثق منه، لا تحصى مناقبه و فضائله، قائم الليل، صائم النهار، و أكثر فوائد هذا الكتاب (نقد الرجال) من تحقيقاته، جزاه الله عنى أفضل جزاء المحسنين، ثم ذكر كتبه. ((٢))

و يروى عنه محمد تقي المجلسي الأول و غيره.

و هو الذي وقف على كتاب «حل الإشكال في معرفة الرجال» للسيد أحمد ابن طاوس الحلّي الذي جمع فيه عبارات الكتب الرجالية الخمسة: رجال الطوسي، فهرسته، اختيار الكشي، و فهرست النجاشي، و كتاب الضعفاء المنسوب إلى ابن الغضائري؛ ثم جرد ما نقله السيد في ذلك الكتاب عن ابن الغضائري

(١) له ترجمة في أمل الآمل: ٢ / ١٦٥ برقم ٤٨٨، روضات الجنات: ٤ / ٢٦٨ برقم ٣٩٥، رياض العلماء: ٣ / ٢٧٢.

(٢) التفرشي: نقد الرجال: ١٩٧ برقم ٩٢؛ لاحظ كليات في علم الرجال: ٨٣.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٣٦

و جعله في رسالته، و الطريق الوحيد إلى كل ما ينقل عن ابن الغضائري هي تلك الرسالة المجردة من كتاب «حل الإشكال في معرفة الرجال».

١٧. ميرزا محمد الاسترآبادي (المتوفى ١٠٢٨ هـ -)

هو الشيخ محمد الاسترآبادي بن علي بن إبراهيم الحسيني (المتوفى ١٠٢٨ هـ-) وقد أُلّف في الرجال كتباً ثلاثة تقدّمت أسماؤها. وهو أستاذ محمد الأمين الاسترآبادي الأخباري وأبو عقيلته، وله وراء كتبه الثلاثة، شرح آيات الأحكام، وحاشية التهذيب للشيخ الطوسي، ورسائل أخرى متعددة؛ توفي بمكة في ١٣ ذي الحجة، أو ثالث ذي القعدة سنة ١٠٢٨ هـ. يروى عن: إبراهيم بن علي بن عبد العالي الميسي، وأبي محمد محسن بن غياث الدين منصور. و يروى عنه: محمد أمين الاسترآبادي (المتوفى ١٠٣٦ هـ-). («١») ترجمه غير واحد من الرجالين، كالأردبيلي في «جامع الرواة» و التفرشي في «نقد الرجال» هؤلاء هم الأقطاب الثلاثة لعلم الرجال في أوائل القرن الحادي عشر.

١٨. الشيخ محمد بهاء الدين (٩٥٣-١٠٣٠ هـ -)

هو الشيخ الجليل بهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الجبعي، منسوب إلى الحارث الهمداني، الذي كان من خواص أمير المؤمنين (عليه السلام) يعزفه الحرّ العاملي بقوله: حاله في الفقه والعلم، والفضل والتحقيق،

(١) الطهراني: طبقات أعلام الشيعة: القرن الحادي عشر: ٤٩٧.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٣٧

و التدقيق، و جلاله القدر، و عظم الشأن، و حسن التصنيف، و رشاقة العبارة، و جمع المحاسن، أظهر من أن يذكر، و فضائله أكثر من أن تحصى، و كان ماهراً، متبحراً، جامعاً، كاملاً، شاعراً، أديباً، مُثَنِّئاً، ثقةً، عدم النظر في زمانه في الفقه والحديث والمعاني والبيان والرياضي وغيرها. («١»)

يقول شيخنا المجيز بعد مدحه و إطرانه ما هذه خلاصته: ورد المترجم له بلاد إيران مع والده في عصر طهماسب، و اشتغل على العلماء، كوالده، و عبد الله بن شهاب الدين اليزدي، و محمد باقر اليزدي و غيرهم، حتى برع في فنون عصره، بشهادة تصانيفه في التفسير و الفقه و الأصول و الأدب و الرجال و التاريخ و العلوم، فانتسب إلى مقام شيخ الإسلام، ثم استعفى، و ساح في البلاد ثلاثين سنة، و حصلت عنده خزانه كتب كبيرة. («٢»)

أساتذته

١. والده الشيخ حسين بن عبد الصمد (المتوفى عام ٩٨٥ هـ-).

٢. الشيخ عبد العالي الكركي ابن المحقق الكركي (المتوفى عام ٩٩٣ هـ-).

٣. الشيخ محمد بن محمد بن أبي اللطيف المقدّس الشافعي، و له منه إجازة توجد ضمن إجازات البحار مؤرخة بسنة ٩٩٢ هـ-.

٤. الشيخ المولى عبد الله اليزدي (المتوفى عام ٩٨١ هـ-).

٥. المولى علي المذهب المدرس، تتلمذ عنده في العلوم الرياضية.

٦. النطاسي المحنك، عماد الدين محمد، قرأ عليه في الطب.

(١) أمل الآمل: ١/ ١٥٥ برقم ١٥٨.

(٢) طبقات أعلام الشيعة: ٨٦، القرن الحادي عشر. نقل بتصرف يسير.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٣٨

و أما انتاجاته الفقهية

١. «الجامع العباسي» و هو رسالة عملية كتبها باللغة الفارسية، و لعلها أوّل رسالة عملية ظهرت بين فقهاء الشيعة، و قد عملت للمقلّدين، و لم يوفق لإتمامها فأكملها غيره.
٢. حاشية على الفقيه.
٣. حاشية على القواعد.
٤. «الحبل المتين» و قد طبع.
٥. رسالتان كريتان.
٦. رسالة في الصلاة.
٧. رسالة في الموارد، و قد طبعت.
٨. رسالة في القبلة.
٩. رسالة في الحج.
١٠. شرح الفرائض النصيرية للمحقق الطوسي.
١١. رسالة في ذبائح أهل الكتاب، و قد طبعت.

يقول في مقدّمها: إنّ الباعث على تأليف هذه الرسالة أنّ رسول ملك الروم، لما ورد بالرسالة من تلك المملكة إلى هذه البلاد، ذكر في بعض الأيام أنّ من أعظم ما يشنّع به علماء الروم على علمائكم، بعد مسألة الإمامة، حكمهم بتحريم ذبائح أهل الكتاب، مع أنّ القرآن المجيد نطق بتحليلها في آية لا مجال لتأويلها، و هي قوله تعالى: (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ). (١)

(١) المائدة: ٥.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٣٩

فأمرني السلطان ... أن أكتب رسالة قامعة للجاجهم، قاطعة لاحتجاجهم بحيث يرتفع تشنيعهم علينا، فكتبت على سبيل الاستعجال ما منح به قلم الارتجال، مع توزّع البال، و أمر بإرسال هذه الرسالة إلى بلاد الروم مع رسوله ليرتفع حجاب الاحتجاج في هذا الباب، و يتضح عذرنا عند أولى الألباب. (١)

إلى غير ذلك من الرسائل، و أما تأليفه في سائر العلوم، و حتى الأصول، فليس هناك موضوع إلّا و قد ولجه، و قد ألفت في الأصول كتابه «زبدة الأصول»، و هو مطبوع. (٢)

١٩. الشيخ جواد بن سعيد بن جواد الكاظمي (كان حياً عام ١٠٢٩ هـ -)

هو الشيخ محمد جواد الكاظمي، ثم الأصفهاني، قرأ المقدمات في الكاظمية، ثم ارتحل إلى بلدة أصفهان، فتخرّج على شيخنا البهائي، إلى أن صار من أخصّ خواصه، و أعزّ ندماؤه، فصنّف بأمره كتابه المسمى ب- «غاية المأمول في شرح زبدة الأصول».

كما شرح كتابه الآخر باسم «خلاصة الحساب» و أمّا كتابه الثالث فهو «مسالك الأفهام في شرح آيات الأحكام» طبع في جزئين عام ١٣٨٧ هـ.

و له في الفقه كتاب آخر و هو «شرح كتاب الدروس» للشهيد الأوّل، خرج منه إلى كتاب الحجّ، و فرغ منه عام ١٠٢٩ هـ - في المشهد الكاظمي، و المطبوع

(١) رسالة ذبائح أهل الكتاب: ٥٨، المقدمة.

(٢) وقد ترجمه شيخنا الأمينى فى «الغدیر»: ١١ / ٢٤٩ - ٢٨٤، وقد ذكر عدداً من مشايخه و تلامذته و جلّ تأليفه، و مقتطفات من شعره، و أسماء المعاجم التى له فيها ترجمه؛ روضات الجنات: ٧ / ٥٦ برقم ٥٩٩، أمل الآمل: ١ / ١٥٥؛ ریحانة الأدب: ٣ / ٣٠١؛ الذريعة: ٢ / ٢٩.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٤٠

من كتبه هو شرحه على آيات الأحكام، الذى يصفه الشيخ حسن بن عباس البلاغى النجفى فى كتابه «تنقيح المقال» بأنه كتاب كبير من أكبر ما كتب فى شأنه. («١»)

٢٠. محمد باقر بن محمد مؤمن السبزواری (١٠١٧ - ١٠٩٠)

هو الشيخ محمد باقر بن محمد مؤمن الخراسانى السبزواری ثم الاصفهاني أحد أعيان الإمامية، وصفه الحرّ العاملى بقوله: عالم فاضل، محقق، متكلم، حكيم، فقيه، محدث، جليل القدر.

تلمذ على جماعة منهم السيد أبو القاسم الفندرسكى (المتوفى ١٠٥٠) والقاضى معز الدين الاصفهاني، قرأ عليهما فى المعقول و حيدر على الاصفهاني، و حسن على بن عبد الله التستري قرأ عليهما فى المنقول، و مهر فى غالب العلوم و حقق و صنّف و ارتفع شأنه عند السلطان عباس الثانى الصفوى، فاسند إليه منصب شيخوخة الإسلام- يعنى قاضى القضاة- و قلده إمامة الجمعة و الجماعة و فوض إليه الوزير الكبير السيد الحسين بن رفيع الدين محمد المرعشى التدريس فى مدرسة عبد الله التستري باصفهان و اشتهر و صار من كبار مجتهدى عصره.

تلمذ عليه جماعة منهم عبد الله الأفندى التبريزى و محمد شفيح بن فرج الجيلانى و المحقق حسين الخوانسارى، و محمد بن عبد الفتاح التنكابنى و عبد الله الأردبيلى و غيرهم.

صنّف كتباً، منها: «ذخيرة المعاد فى شرح الإرشاد» و «الكفاية فى الفقه» إلى غير ذلك.

(١) انظر ترجمته فى رياض العلماء: ١ / ١١٨، روضات الجنات: ٢ / ٢١٦ برقم ١٧٩، و الكنى و الألقاب: ٣ / ٩، و قد كتب السيد المرعشى (قدس سره) مقدمة على كتاب «مسالك الأفهام» أدّى فيه حق المقال.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٤١

توفى باصفهان سنة تسعين و ألف و نقل نعشه إلى المشهد الرضوى. («١»)

هذه أسماء ثلثة من الفقهاء الذين أنجبته هذه الحقبة من الزمان، و لو أردنا الإطناب بسرد أسماء الفقهاء فى هذا القرن لطلال بنا الكلام، فإنّ السابر فى تاريخ الفقه الشيعى خاصة فى هذا القرن يجد أمامه أسماء طائفة كبيرة من الفقهاء خصوصاً فى منطقة جبل عامل و الشام.

حصيلة الجهود الفقهية فى القرن العاشر

يتمتع هذا القرن بغزارة الانتاج الفقهى، و كثرة الفقهاء، و ذلك لأنه قد تأسست فى مستهلّ القرن العاشر (٩٠٥ هـ) دولة شيعية على يد السلطان إسماعيل الصفوى، و استطاع أن يقضى على الدويلات الصغيرة، و ييسط نفوذه على المرافد المقدسة فى العراق، و بذلك اتسعت رقعة دولته، حتى شملت «هراء» من الشرق إلى غربى العراق، و على صعيد آخر فقد تزامن ظهور الدولة الصفوية مع الدولة

العثمانية، و اتسعت رقعتها على يد السلطان سليم العثماني، فلم يكن لسلاطين الصفوية بُد من إضفاء الشرعية على حكمهم عن طريق التقرب إلى الفقهاء، امتثالاً لواجبهم الديني و رغبة في الحيلولة دون وصول النفوذ العثماني إلى المناطق الخاضعة لنفوذهم، و ممن لبي دعوتهم الشيخ المحقق علي بن عبد العالي الكركي، فقد التقى بالسلطان إسماعيل في هراة و دارت بينهما مناظرات ظهرت فيها كفاءته، و لما توفي السلطان إسماعيل، قام مقامه السلطان طهماسب فكان للشيخ المحقق منزلة عظيمة عنده، و نصبه حاكماً في الأمور الشرعية لكافة بلاد إيران، و أعطاه بذلك حكماً ذكره شيخنا النوري في المستدرک. و قد حرّر الحكم عام ٩٣٩ هـ. («٢»)

(١) موسوعة طبقات الفقهاء: ١١ / ٣١٨ برقم ٣٥٣١.

(٢) المستدرک: ٣ / ٤٣٣ - ٤٣٤.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٤٢

لا شك أنّ الفقيه الجامع للشرائط هو الذي يتكفل بالنصب و العزل، لا السلطان، و أمّا المرونة التي أظهرها الشيخ بقبول أوامر السلطان فلم تكن إلّا لمصالح اقتضت قبوله لصالح الشيعة.

و قد تمتع علماء الشيعة في الشام في عصر المماليك بحريّة نسبية أتاحت لهم فرصة ممارسة النشاط العلمي الفقهي في الشام و جبل عامل و سائر النقاط المكتظة بالشيعة.

و سرعان ما أخذ هذا النشاط الفقهي بالفتور إثر تسلّم الدولة العثمانية زمام الأمور في الشام خصوصاً جبل عامل، و عاد الاضطهاد على الشيعة مرّة أخرى، ممّا حدا بفقهاء جبل عامل إلى الهجرة نحو إيران، لمّا وجدوا فيها ضالّتهم المنشودة، فقد رحبت بهم الدولة الصفوية ترحيباً حاراً، فأخذت الأبحاث الفقهية تزدهر في إيران و العراق خصوصاً فيما يرجع إلى الفقه الحكومي، و صار من حصيلة هذا القرن أنّه كثرت التآليف في هذا المضمار، و مرّ فيما سبق أنّ المحقق الكركي كتب رسالة في حل الخراج، و نازعه الشيخ إبراهيم القطيفي برسالة أخرى، و كان الأردبيلي يدعم موقف القطيفي في المسألة، و الشيباني يدعم موقف المحقق الكركي.

و هكذا نجد رسائل كثيرة ألفت حول وجوب صلاة الجمعة زمن الغيبة و حرمتها، و وجوبها تخييراً، و ما ذلك إلّا لأنّ صلاة الجمعة لها أهميتها لا سيما جانبها السياسي، ففي زمان الحضور لا يقيمها إلّا الإمام، أو من نصبه، و أمّا في زمان الغيبة فقد اختلفت كلمة الفقهاء، و احتدم الجدل و النقاش حولها منذ ظهور الصفوية على مسرح الصراع، و قد أفتى بوجوبها في عصر الغيبة فقيه جامع للشرائط كالمحقق الكركي، و أخذ ينصب أئمة لإقامة الجمعة، حتّى صار ذلك

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٤٣

سبباً لطرح المسألة من رأس، فهل للمجتهد الجامع للشرائط كما للإمام المعصوم من النصب أو العزل أو لا، و هذا الذي نعبر عنه في زماننا بولاية الفقيه؟

فبعد الإيعاز إلى هذه المقدمة نستعرض حصيلة الجهود التي أنجزت في هذا القرن:

١. ظهور مؤلفات في الفقه الحكومي حول الخراج و صلاة الجمعة و غيرها.
٢. اكتظت الساحة الفقهية ببدوات تدور أكثرها حول المسائل الحكوميّة أو المساجلات التحريرية، و ما ذلك إلّا لظهور أبحاث كان الفقهاء بأمس الحاجة إلى وضع الحلول المناسبة لها خاصة بعد قيام الدولة الصفوية الشيعية.
٣. ظهور موسوعات فقهية كبيرة لم ير الدهر لها من نظير، كـ «جامع المقاصد» لشيخنا المحقق الكركي، و «مجمع الفائدة و البرهان» للمحقق الأردبيلي.

٤. العناية بعلم الرجال، و تصحيح الأسانيد، و الإفتاء على ضوء الروايات الصحيحة، و تطبيق التنويع الموروث عن ابن طاوس على الفقه، كما هو المشاهد من فقه المحقق الأردبيلي، و تلميذيه صاحب المعالم و المدارك.

٥. العناية بفقه القرآن عناية وافرة، فقد أُلّف في ذلك القرن عدّة كتب حول آيات الأحكام، من جملتها:

١. «معارج السئول في مدارج المأمول» في تفسير آيات الأحكام في مجلدين، للمولى كمال الدين الحسن بن شمس الدين محمد بن الحسن الاسترآبادي النجفي، فرغ من مجلده الأول عام ٨٩١هـ، وقال في مقدمته: لَمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِتَأْلِيفِ كِتَابِ «عَيُونَ التَّفَاسِيرِ» سَأَلَهُ مِنْ طَاعَتِهِ فَرَضَ أَنْ يَسْتَخْرِجَ مِنْهُ تَفْسِيرَ

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٤٤

آيات الأحكام على نهج ما أُلّفه شيخه الفاضل المقداد.

و يعرّفه الشيخ النوري بأنّه أحسن ما أُلّف في تفسير آيات الأحكام و أبسطها. («١»)

٢. «زبدة البيان في فقه القرآن» أُلّفه المحقّق الأردبيلي كما مرّ.

٣. «مسالك الافهام» للشيخ جواد الكاظمي و قد مرّ.

٤. «التفسير الشاهي» أُلّفه أبو الفتح بن الأمير المخدم، ابن الأمير شمس الدين محمد الحسيني، المتوفّي عام ٩٨٦هـ، و قد أُلّفه للسلطان طهماسب الأول باللّغة الفارسيّة، و طبع بإشراف الشيخ ولي الله الاشرافي السرابي (قدس سره).

ميزات الدور الرابع

ابتدأ هذا الدور منذ أوائل القرن السابع، و استمر إلى أواخر القرن العاشر و شيء من أوائل الحادي عشر، و قد ذكرنا في مختتم كل قرن حصيلة الجهود التي انتهت إلى تطوّر الفقه على كافة الأصعدة، فلو قمنا بجمعها لوفقنا على حصيلة المميزات التي يميز بها هذا الدور عمّا سبقه من الأدوار الثلاثة.

و خوفاً من إطالة الكلام نذكر موجزاً لما تقدّم.

١. تأليف المتون الفقهية على أصعدة ثلاثة: مقتضب و متوسط و مسهب.

٢. تأليف موسوعات فقهية و دورات كبيرة، خاصّة في القرن السابع و العاشر.

٣. الاهتمام بأصول الفقه من قبل فقهاء الشيعة، فقد شهدت الكتب الأصولية تطوّراً ملحوظاً كمّاً و كيفاً.

(١) الذريعة: ٢١/ برقم ٤٥١٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٤٥

٤. ظهور لون جديد من التأليف في فقه الشيعة، و هو جمع الخلافات بين فقهاء الشيعة، و يعد العلامة الحلّي أوّل من فتح الباب على مصراعيه في هذا المضمار.

٥. ظهور موسوعات فقهية في الفقه المقارن، أشهرها و أجمعها كتاب «التذكرة».

٦. ظهور كتب رجالية كـ «حل الإشكال في معرفة الرجال» للسيد جمال الدين الطاووسي، و صنّف على غرار تلميذاه: العلامة الحلّي، و ابن داود، و ظهور موسوعات رجالية للّقهبائي و الاسترآبادي على ما مرّت.

٧. تنويع الحديث بابتكار ابن طاوس، و إدخالها حيّز التطبيق في الفقه.

٨. ظهور لون خاصّ من الفقه باسم القواعد، و أوّل من أُلّف فيه هو الشهيد الأوّل.

٩. العناية بفقه القرآن، فقد أُلّف شيخنا الفاضل المقداد كتاب «كنز العرفان» و أعقبه الحسن بن محمد بن الحسن الاسترآبادي بتأليف كتابه «معارج السئول في مدارج المأمول» في مجلدين، و أعقبه الأردبيلي بتأليف كتابه «زبدة البيان» و شيخنا الفاضل الجواد بكتابه

«مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام».

١٠. العناية بالأحكام السلطانية و الفقه الحكومي، و ظهور مساجلات تحريرية بين العلماء في مسائل صارت موضعاً للابتلاء بعد ظهور الدولة الصفوية. و بذلك انتهى هذا الدور باختتام القرن العاشر.

المراكز العلمية التي نشطت في هذا الدور

إشارة

قد احتفل هذا الدور بنشاط مراكز علمية مختلفة، غير أنّ القسط الأوفر أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٤٦ كان لمدرستين عظيمتين، هما: مدرسة الحلة، و مدرسة جبل عامل، اللتان أنجبتا عباقرة من الفقهاء.

١. مدرسة الحلة

فقد بدأت مدرسة الحلة نشاطها في مختتم القرن السادس يوم قام ابن إدريس بنفض غبار التقليد عن كاهل الفقه و رفع راية الاجتهاد، فالتف حوله نخبة من الفضلاء الأفاضل حتى أضحت مدرسته النواة الأولى لمدرسة الحلة فيما بعد. ثم أعقبه آخرون ساروا على نهج الاجتهاد الحر (أى غير الملتزم برأى من قبله)، ك- ابن نما الحلبي، و ابن طاوس، و المحقق الحلبي، و ابن سعيد الحلبي.

و قد استمر نشاطها في القرون المتتابعة حتى أواخر القرن التاسع.

و مع أنّ الحملة المغولية محت كثيراً من الآثار العلمية في حاضرة العراق و دمرتها، إلّا أنّ الحوزة العلمية في الحلة بقيت مصونة عن شرهم و استمر نشاطها إلى مختتم القرن التاسع، و كان أحمد بن فهد الحلبي (المتوفى ٨٤١هـ-) من أعلام ذلك القرن.

٢. مدرسة جبل عامل

راج التشيع في بلاد الشام منذ إقصاء أبي ذر الغفاري ذلك الصحابي الجليل إلى الشام، ثم انتعش في أيام الفاطميين حتى أصيب بنكسة في زمن الأيوبيين، و لما استولى المغول و أعقبهم دولة المماليك تنفست الشيعة الصعداء في تلك المنطقة.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٤٧

و في تلك الظروف بادر الشهيد الأوّل إلى إنشاء مدرسة علمية في جزين، فأثمرت و اتسعت و تلتها حوزات علمية أخرى، كحوزة بعلبك و الكرك و جبج.

و استمر الوضع على هذا المنوال حتى سقوط دولة المماليك على يد السلطان سليم العثماني الذي امتد نفوذه إلى بلاد الشام في العقد الثالث من القرن العاشر (٩٣٠هـ-)، و هناك عاد الضغط على الشيعة مرةً أخرى، و بلغ القمة حين استشهاد الشهيد الثاني من جراء نشوب الاضطرابات و الفتن عام ٩٦٥هـ-، فأخذ النشاط الفقهي في جبل عامل بالتقلص شيئاً فشيئاً، ممّا حدا بكثير من الفقهاء إلى الهجرة صوب إيران و العراق

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٤٩

الدور الخامس ظهور الحركة الأخبارية («١») (١٠٣٠-١١٨٥هـ)

إشارة

كان مطلع القرن الحادي عشر مسرحاً للتيارات الفكرية المختلفة، فمن مكبّ على العلوم الطبيعية كالنجوم والرياضيات والطب التي معيارها التجربة، إلى آخر متوغّل في الحكمة والعرفان والمعارف العقلية التي لا تدرك إلّا بقسطاس العقل، إلى ثالث مقبل على علم الشريعة كالفقه والأصول ومبادئها.

وفي تلك الأجواء المشحونة ظهرت المدرسة الأخبارية التي شطبت على العلوم العقلية بقلم عريض ولم تر للعقل أيّ وزن واعتبار لا في العلوم العقلية ولا في العلوم النقلية، ونادت ببطلان الاجتهاد والتقليد، وخطأت طريقتهما. وقد رفع رايتها الشيخ محمد أمين بن محمد شريف الاسترآبادي الأخباري في

(١) إن الحركة الأخبارية ابتدأت منذ أوائل القرن الحادي عشر ودامت حتى مقتل آخر زعيمهم، أعنى: الشيخ الشريف محمد بن عبد النبي بن عبد الصانع المحدث النيسابوري المعروف بـ «ميرزا محمد الأخباري» في الكاظمية عام ١٢٣٢ هـ، والواقع أنّ ظهور أفكار الوحيد البهبهاني (١١١٨-١٢٠٦ هـ) استطاعت أن تقضى على تلك الحركة وتضعف أركانها، فلم يعد هناك من يتحمس لتلك الفكرة ويدافع عنها، فتجد أنّ الوحيد البهبهاني قد صلّى على جنازة الشيخ يوسف البحراني أكبر شخصية أخبارية لما توفي عام ١١٨٦ هـ، وهذا يعرب عن اضمحلال الفكرة الأخبارية وإعادة النشاط الاجتهادي إلى الساحة الفكرية مرة أخرى.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٥٢

كتابه الموسوم بـ «الفوائد المدنية» الذي ألّفه في المدينة المنورة أيام إقامته بها وتلخّص فكرته في الأمور التالية:

١. عدم حجّية ظواهر الكتاب إلّا بعد ورود التفسير عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، لما ورد من الأحاديث الناهية عن تفسير القرآن بالرأى أوّلًا، و طروء مخصّصات ومقيدات على عمومها و خصوصه ثانيًا.
٢. نفى حجّية حكم العقل في المسائل الأصولية وعدم الملازمة بين حكم العقل والنقل.
٣. نفى حجّية الإجماع من دون فرق بين المحصل والمنقول.
٤. ادعاء قطعية صدور كلّ ما ورد في الكتب الحديثية الأربعة من الروايات لاهتمام أصحابها بتلك الروايات، فلا يحتاج الفقيه إلى دراسة أسنادها أو تنويعها إلى الأقسام الأربعة المشهورة، كما قام بها ابن طاوس و تبعه العلامة.
٥. التوقّف عن الحكم إذا لم يدل دليل من السنّة على حكم الموضوع، والاحتياط في مقام العمل، فالتدخين الذي كان موضوعاً جديداً آنذاك تُوقف عن الحكم فيه و روعي الاحتياط في مقام العمل بتركه.

هذه هي الأسس التي قامت عليها المدرسة الأخبارية.

نعم نقل الخوانساري في «الروضات» عن المحدث الصالح الشيخ عبد الله ابن الحاج صالح السماهيجي البحراني الذي هو أحد الأخباريين في القرن الثاني عشر أنّه ألّف رسالة في المسائل الضرورية و أنهى ما بين الأخباريين و المجتهدين من الفروق إلى أربعين فرقاً. ثمّ نقلها («١») صاحب الروضات برمتها في ترجمته محمد

(١) روضات الجنات: ٢٥٠ / ٤.

أدوار الفقه الإمامي (للسبجاني)، ص: ٢٥٣

أمين الأخباري. (١)

و الحق أن جوهر الفروق هي التي استعرضناها، و أما الفروق الأخر الباقية، فإما تعود إلى تلك الفروق الخمسة، أو إلى أمور جزئية لا صلة لها بالمنهج كجواز تقليد الميت و عدمه.

الجدور المزعومة للحركة الأخبارية

إنّ المهم هو بيان السبب الذي أدّى إلى نشوء تلك الفكرة، و هناك عدّة فروض مطروحة على مائدة النقاش لا يسندها الدليل سندكرها على وجه موجز.

الأول: إنّ السبب في ظهور تلك الفكرة هو الشيخ الرجالي الكبير المعروف بميرزا محمد الاسترآبادي مؤلف كتب الرجال الثلاثة:

١. نهج المقال، المطبوع و هو أضخمها.

٢. الوسيط، و قد طبع أيضاً.

٣. الوجيز، الذي لم يطبع غير أنّ نسخته موجودة في المكتبة الرضوية.

و قد زوّج كريمته لمحمد أمين الاسترآبادي، و توفي ١٠٢٨ هـ - في مكة المكرمة، و دفن بالمعلّى.

يقول محمد أمين الاسترآبادي في كتابه الموسوم «دانشنامه شاهي»: (٢)

إلى أن وصل المطاف إلى أعلم علماء المتأخرين في علم الحديث و الرجال و أروعهم، أستاذ الكل في الكل ميرزا محمد استرآبادي - نور الله مرقده الشريف -

(١) روضات الجنات: ١٢٧ / ١.

(٢) دانشنامه شاهي مخطوط تتوفر نسخة منه في مكتبة المرعشي في قم، يظهر منها أنّه ألفه بالفارسية في مكة المكرمة يضم أربعين

فائدة، و ذكر في أولها أنّه بمنزلة الأربعين للفخر الرازي، و نقل الخوانساري نص لفظه بالفارسية، لاحظ روضات الجنات: ١٢١ / ١.

أدوار الفقه الإمامي (للسبجاني)، ص: ٢٥٤

و بعد ان قرأت عنده علم الحديث أشار إلى قائلاً: جدّد طريقة الأخباريين و ارفع الشبهات المعارضة لها، ثمّ أشار الأستاذ بقوله: بأنّ هذا المعنى كان يدور في خاطري و لكن الله قدّر أن يكون على يدك».

«و بعد أن أخذت العلوم المتعارفة من أعظم علمائها، و كنت بالمدينة المنورة أعواماً على هذه الحال، و بعد توّرعى لوجه الله و توسّلي بأرواح أهل العصمة، فجدّدت النظر في الأحاديث و كتب العامة و الخاصة بنظرة دقيقة متعمّقة حتى وفّقني الله ببركات سيد المرسلين و الأئمّة الطاهرين، فأجبتة مؤتمراً طائعاً، فألّفت «الفوائد المدنية» و لمّا عرضته عليه أجنبي مستحسناً لما جاء فيه، و أثنى عليّ بالجميل (رحمه الله)». (١)

و لنا هنا وقفه قصيرة فعلى فرض صحّة نسبة هذا الكتاب إلى الأمين الاسترآبادي أنّه كيف يمكن أن يكون المشير و الأمر هو الميرزا الاسترآبادي الذي أفنى عمره في تأليف كتبه الرجالية الثلاثة، و الغاية من تدوين علم الرجال: الوقوف على أحوال الراوي و العمل بقول الثقة و ترك غيره، بينما يرى الأخباري قطعية الروايات المروية في الكتب الأربعة، و أنّه لا حاجة إلى دراسة أحوال الراوي و تنوع الحديث إلى الأقسام الأربعة و يعدّها من بدع العلّامة الحلّي.

و أقصى ما يمكن أن يقال إنه أشار إلى نوع دراسة الأخبار، و أين هي من الأخبارية المنهجية التي شيدت أركانها على الأسس الخمسة أو أكثر؟!

و على أية حال فالنفس لا تقنع بما نُقِلَ.

الثاني: ما ذكره أحد الكتاب المعاصرين أنّ الجذور السياسية لنشأة الحركة الأخبارية يعود إلى الصراع الشديد الذي كان يجري في العصر الصفوي بصورة مكتومة بين المؤسسة السياسية و المؤسسة الفقهية، فقد أخذ الصفويون يتضايقون

(١) مقدّمة كتاب الفوائد المدنية: ١٢-١٣ بقلم محققه.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٥٥

من سعة دائرة نفوذ المؤسسة الفقهية، و التحوّل التدريجي الذي جرى داخل المؤسسة الفقهية من سلطة روحية إلى سلطة زمنية تتدخل في شؤون الناس و تراحم السلطة الرسمية في شؤونها و اهتماماتها.

و رغم حاجة المؤسسة السياسية الصفوية إلى دعم و اسناد المؤسسة الفقهية و إلى وقوفها إلى جانبها في صراعها مع العثمانيين، إلّا أنّهم كانوا يتضايقون من توسع دائرة نفوذ الفقهاء، و في هذه الفترة بالذات ظهرت الحركة الأخبارية ابتداءً من سنة ٩٨٥ هـ، ثمّ اتسعت هذه الحركة و تمكّنت من شق المدرسة الفقهية عند الشيعة الإمامية إلى شطرين متصارعين، و إضعاف مؤسسة الاجتهاد إلى حد بعيد. (١)

أقول: إنّ ما زعم سبباً لظهور الفكرة الأخبارية لا يمت إلى الموضوع بصله، بل أقصى ما يثبت أنّ السلطات كانت ترجح الأخبارية على الأصولية.

و لكن الكلام في بيان ما هو السبب لظهور تلك الفكرة، و نظير ذلك ما ذكره «علي نقى المنزوي» في تعليقه على كتاب والده «الذريعة»: إنّهُ وصل كتاب معزّ الدين الأردستاني المقيم بحيدرآباد الهند إلى إيران في عصر أدبرت الحكومة الصفوية عن التصوّف و العرفان، و كانت تنتخب شيوخ الإسلام في البلاد من بين رجال أكثرهم أخباريون غير إيرانيين بعيدين عن العرفان الصفوي الشيعي. (٢)

الثالث: ما ذكره الكاتب أيضاً في تقديمه على كتاب «طبقات أعلام الشيعة في القرن الحادي عشر» أنّ التيار الأخباري جاء به المهاجرون من البلاد العثمانية إلى إيران، فانتشر في شيراز لأول مرّة و في البحرين، و بقيت الأخبارية بإيران إلى القرن

(١) جودت القزويني: التاريخ السياسي للفقه الإمامي.

(٢) طبقات أعلام الشيعة، القرن الحادي عشر: ٥٧١، ترجمه معز الدين الأردستاني.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٥٦

الثالث عشر. (١)

أقول: إنّ ما ذكره هذا الكاتب لا يدعمه دليل فمّن هؤلاء المهاجرون الذين قدموا إلى إيران فنشروا تلك الفكرة، و لما ذا لم يحدثنا التاريخ عنهم؟!

الرابع: ما نقله العلامة المطهرى عن سيد المحققين السيد حسين البروجردى (رضوان الله عليه) أنّه قد بدأت في القرن الحادي عشر فكرة الإعراض عن العقل و الانكباب على الحس في الشرق و الغرب، و رفع رايته في الشرق الأمين الاسترآبادي، و في الغرب علماء تجريبون أمثال فرنسيس بيكون و ديكارت.

و ما ذكره و إن كان صحيحاً، لكنّه لا يحكى إلّا عن التقارن بينهما و لا يبين السبب.

الخامس: ما ذكره بعض الأساتذة من أن الحجاز كان معقل الحديث كما كان العراق معقل الرأي والفكر، ولا شك أن تلك البيئة المشحونة بالأفكار الحديثة قد تركت انطباعاتها وآثارها على الاسترآبادي الذي كان قاطناً في المدينة المنورة سنين طوالاً و ألف كتابه «الفوائد المدنية» فيها.

أقول: إنه حدس بلا- دليل و رجم بالغيب، إذ أن الانطباعات التي تتركها البيئة على أفكار الأمين الاسترآبادي تجعله يصنف كتاباً كالوسائل و الكافي لا أن يؤسس منهجاً فكرياً يصاد كل ما كان عليه علماء الشيعة قرابة ثمانية قرون.

السادس: ما ذكره السيد المدرسي الطباطبائي في كتابه «المدخل إلى الفقه الشيعي» و حاصل ما قاله: إن الأرضية لظهور تلك الفكرة كانت موجودة في القرن العاشر أيام حياة الشهيد الثاني و تلميذه الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي، فألف الأول رسالة في التنديد بالتقليد عن الميت، كما أن الشهيد الثاني ألف كتاباً نقد فيه السيرة السائدة بين فقهاء الشيعة من الاعتناء بأقوال السالفين، و أعقبه

(١) مقدّمة طبقات أعلام الشيعة، القرن الحادي عشر، و المقدمة غير مرقمة.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٥٧

الشيخ عبد النبي بن سعد الجزائري فنقد الأسلوب الأصولي في الفقه في كتابه «الاقتصاد في شرح الإرشاد» الذي ألفه عام ١١١٥ هـ، و ادعى ميرزا حبيب الله الصدر بأنه لم يبق أي مجتهد في إيران و العراق، و كأن الكل مقلد السلف، ثم ذكر بعده سيرة المحقق الأردبيلي و صاحب المدارك و منتقى الجمان في الاستنباط مشيراً إلى حرية الفكر الذي تمتعوا به و ما كانوا يعتقدون بآراء السلف. أقول: إن أقصى ما يثبت أنه يجب على المستنبط إعمال الدقة و رفض التقليد و عدم الاعتناء بالإجماعات المنقولة بل المحصلة عن السلف.

و هذا شيء يدرك بوضوح لمن وقف على فقه شيخنا الشهيد الثاني، خصوصاً فقه المحقق الأردبيلي و تلميذه صاحب المدارك و المعالم.

و أين هذا من الفكرة الأخبارية الهادفة إلى تحريم العمل بالكتاب إلّا بعد ورود التفسير، و العمل بكل ما جاء في الكتب الأربعة، و لزوم الاحتياط فيما لم يرد فيه نصّ إفتاءً و عملاً؟!!

السابع: ما أوعزنا إليه فيما سبق من وجود تيارين فكريين بين أصحاب الأئمة، فهم بين مكبّ على الأخبار، مدبر عن العقل و بين آخذ بالنقل و العقل أمثال زرارة بن أعين و عبد الله بن يونس و الفضل بن شاذان و تبعهم القديمان و من تلاهم إلى عصر الشيخ المفيد و تلميذه المرتضى و الشيخ الطوسي، فجعلوا الجميع على نهج واحد، و هو الجمع بين النقل و العقل، و أنه عند التعارض يقدم العقل القطعي على النقل الظني.

نعم يكمن هناك فرق جوهرية بين الأخبارية التي نادى بها الأمين الاسترآبادي، و بين الأخبارية في عصر الأئمة، و هو أن الأخبارية في عصر الأئمة كانت تعنى ممارسة الأخبار و تدوينها و نقلها، دون اعمال الدقة بين صحيحها و سقيمها.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٥٨

و أما الأخبارية التي ابتدعتها الأمين الاسترآبادي، فهي أخبارية منهجية، لها أسسها و دعائمها، و قد ألقى الفكرة بصورة البرهان و النقد على الأسس التي اعتمدها الأصوليون، فلذلك لا يمكن عدّ الأخبارية الحديثة امتداداً جوهرياً للأخبارية في عصر الأئمة.

نعم كانت الأخبارية البدائية ملهمة للشيخ الأمين على أن يصبغها بصبغة علمية.

*** و السبر في كتابه «الفوائد المدنية» يوقفنا على أنه أخذ علم الأصول عن تقي الدين محمد النسابة، و علم الحديث عن السيد محمد صاحب المدارك، يقول: قد قرأت شرح العضدي للمختصر الحاجبي في أوائل سنّي في دار العلم شيراز على أعظم العلماء

المحققين، و حيد عصره، و فريد دهره، الشاه تقي الدين محمد النسابة. في مدّة أربع سنين قراءة بحث و تحقيق و تدقيق. («١»)

و يقول في موضع آخر: أول مشايخي في علم الحديث و الرجال و من تشرفت بالاستفادة و أخذ الإجازة منه في عنفوان شبابي في المشهد المقدس الغروي، هو السيد السند، و العلامة الأوحده، صاحب مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام. (٢)»
و قرأ أيضاً على يد الرجالي المعروف ميرزا محمد الاسترآبادي كما تقدم، و بذلك يعلم أنه أظهر الفكرة الأخبارية بعد ما درس الأصول و الرجال و الحديث كما يظهر من نفس الكتاب أنه قرأ الرياضيات و الفلكيات و الحكمة.

(١) الخوانساري: روضات الجنات: ١ / ١٢١ - ١٢٢.

(٢) لاحظ الفوائد المدنية، المقدمة.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٥٩

و قد عرفت الأسس التي بنى عليها منهجه و لسنا بصدد النقد.

إنما الكلام في أن منهجه الذي اختطه لم يكن سوى منهج إبداعي لم تتأصل جذوره في التاريخ و إن زعم بتأصيلها بين علماء السلف من الإمامية.

نعم زعم صاحب المسلك أن الأخبارية التي ابتدعتها قد ظهرت بوادرها في القرون السالفة بين الشيعة الإمامية، غير أنها مرت بمراحل نشاط و فتور و انتعاش و خمول، و استدل عليه بأمرين نقلناهما عند تقديمنا على طبقات الفقهاء. (١)»

كانت الحركة الأخبارية حركة رجعية عرقلت خطا الحركة الاجتهادية عن التقدم و التطور، و أقفلت باب البحث في الأسانيد و المتون، كما أقفلت باب البحث حول كثير من المسائل الأصولية حتى تجد أن المحدث البحراني الذي كان أخبارياً معتدلاً جداً، و يعد كتابه «الحدائق» من الكتب الفقهية القيمة، خصوصاً في جمع الأخبار و تفسيرها، يعترف بذلك و يقول في ترجمة الأمين الاسترآبادي: كان فاضلاً، محققاً، مدققاً، ماهراً في الأصولين و الحديث، أخبارياً صلباً، و هو أول من فتح باب الطعن على المجتهدين، و تقسيم الفرقة الناجية إلى أخباري و مجتهد، و أكثر في كتابه «الفوائد المدنية» من التشنيع على المجتهدين، بل ربما نسبهم إلى تخريب الدين، و ما أحسن و ما أجاد، و لا وافق الصواب و السداد، لما قد ترتب على ذلك من عظيم الفساد، و قد أوضحنا ذلك بما لا مزيد عليه في كتابنا: «الدرر النجفية» و في كتابنا «الحدائق الناضرة» في أحكام العترة الطاهرة» إلا أن الأول منهما استوفى البحث في ذلك بما لم يشتمل عليه الثاني. (٢)»

و مهما يكن من أمر فيظهر من خلال الرجوع إلى تاريخ الفقه في تلك البرهة

(١) مصادر الفقه الإسلامي و منابعه: ٤٣٦.

(٢) لؤلؤة البحرين: ١١٨، شرح المواقف.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٦٠

أن الفكرة الأخبارية شاعت في المراكز العلمية الفقهية، و راجت خصوصاً في النجف الأشرف و كربلاء.

يقول محمد تقى المجلسي (المتوفى ١٠٧٠ هـ) في شرحه على «الفقيه» باللغة الفارسية: أَلَفَ مولانا محمد أمين الاسترآبادي كتاباً باسم «الفوائد المدنية» أَلَفَهَا بعد الاشتغال بمطالعة الأخبار المروية عن الأئمة المعصومين، ثم أرسل كتابه هذا إلى معظم البلاد، و قد تلقاه أكثر علماء النجف و كربلاء بالتحسين و القبول و مضوا على نهجه، و الحق أن أكثر ما أفاده مولانا محمد أمين حق لا مرية فيه.

و هذا الاعتراف من أول المجلسيين دليل واضح على انتشار الفكرة الأخبارية بين الأوساط العلمية و امتدادها إلى أكثر الأصقاع الإسلامية.

تأثرت الأوساط العلمية بالتيار الأخباري، و ذاع صيته و كثر أتباعه، و هم بين متطرف كالأمين الاسترآبادي الذي يطعن العلماء و يتهمهم بأمر شنيعه، و بين معتدل يتبني نفس الفكرة، مع التبجيل و التكریم للمخالف.

و لأجل عرض نماذج من كلام المتطرف منهم نذكر عبارة الأمين الاسترآبادي في حق علمائنا الذين تبعوا أسلوب الأصوليين و تركوا- حسب زعمه- طريقة أئمة أهل البيت و تلاميذهم حيث قال:

و أول من غفل عن طريقة أصحاب الأئمة و اعتمد على فن الكلام و على أصول الفقه المبنيين على الأفكار العقلية، المتداولين بين العامة فيما أعلم محمد بن أحمد بن الجعيد العامل بالقياس، و حسن بن علي بن أبي عقيل العماني المتكلم؛ و لما أظهر الشيخ المفيد حسن الظن بتصانيفهما بين يدي أصحابه، و منهم السيد الأجل

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٦١

المرتضى و رئيس الطائفة، شاعت طريقتهما بين متأخري أصحابنا قرناً فقرناً، حتى وصلت النوبة إلى العلامة الحلّي فالتزم في تصانيفه أكثر القواعد الأصولية للعامة، ثم تبعه الشهيدان و الفاضل الشيخ علي رحمهم الله تعالى.

و أول من زعم فيما أعلم أنّ أكثر أحاديث أصحابنا المأخوذة من الأصول- التي ألفوها بأمر أصحاب العصمة (عليهم السلام) و كانت متداولة بينهم و كانوا مأمورين بحفظها و نشرها بين أصحابنا لتعمل بها الطائفة لا سيما في زمن الغيبة الكبرى- أخبار آحاد خالية من القرائن الموجبة للقطع بورودها عن أصحاب العصمة (عليهم السلام) محمد بن إدريس الحلّي تجاوز الله عن تقصيراتي و تقصيراته، و لأجل ذلك تكلم على أكثر فتاوى رئيس الطائفة المأخوذة من تلك الأصول. (١)

و لنذكر جملة ممن تأثروا بهذا المنهج على وجه الإيجاز- و التفصيل يطلب من كتب التراجم و طبقات الفقهاء- من غير تعرض للمتطرف منهم، بل نذكر الجميع على حد سواء حسب وفياتهم.

[أعيان الأخبارية]

١. زين الدين علي بن سليمان (المتوفى ١٠٦٤هـ-)

هو الشيخ علي بن سليمان بن حسن بن سليمان البحراني القدي الملقب ب- «زين الدين». يقول الشيخ البحراني: هو أول من نشر علم الحديث في بلاد البحرين، و قد كان قبله لا- أثر له و لا- عين، و روجه و هذبه و كتب الحواشي و القيود على كتابي التهذيب و الاستبصار، و لشدة ملازمته للحديث و ممارسته له اشتهر في ديار العجم

(١) الفوائد المدنية: ٣٠.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٦٢

بأم الحديث، و كان رئيساً في بلاد البحرين مشاراً إليه، توفي في السنة الرابعة و الستين بعد الألف، و من مصنفاته: رسالته في الصلاة، و رسالته في جواز التقليد، و حاشية على كتاب المختصر النافع صغيرة مختصرة.

روى عن: بهاء الدين العاملي، و الشيخ محمد بن حسن بن رجب. (١)

٢. المجلسي الأول (١٠٠٣-١٠٧٠هـ-)

مولانا الأجل محمد تقى المجلسي، و هو في غنى عن الوصف و التعريف، يعرّفه الحر العاملي: كان فاضلاً، عالماً، محققاً، متبحراً، زاهداً، عابداً، ثقة، متكلماً، فقيهاً.

له كتب منها: شرح الصحيفة، و حديقه المتقين، و شرح من لا يحضره الفقيه فارسي، و شرح آخر عربي، و رساله في الرضاع، و غير ذلك.

أقول: يعد شرحه على الفقيه باسم «روضه المتقين» من أفضل الشروح الذي يعرب عن تطلع الشارح بالأدب و الرجال و الفقه و الحديث، و قد طبع في اثني عشر جزءاً.

و قد عرفت كلامه في حق الأمين. (٢)

و يقول المحدث النوري: البحر الخضم، المولى محمد تقي المستغنى عن الإطراء و المدح.

قال النقاد الخبير محمد الأردبيلي في «جامع الرواه»: محمد تقي بن المقصود

(١) لؤلؤة البحرين: ١٤ برقم ٤.

(٢) أمل الآمل: ٢ / ٢٥٢ برقم ٧٤٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٦٣

على الملقب بالمجلسي، و حيد عصره، و فريد دهره، أمره في الجلاله و الثقه و الأمانه و علو القدر و عظم الشأن و سمو الرتبه و التبخر في العلوم أشهر من أن يذكر، و فوق ما تحوم حوله العبارة، أروع أهل زمانه و أزهدهم و أتقاهم و أعبدهم، بلغ فيضه ديناً و دنيا. (١)

٣. خليل بن غازي القزويني (١٠٠١-١٠٨٩هـ)

هو العالم المتبحر الجليل خليل بن غازي القزويني، شرح تمام الكافي بالفارسيه المسمي بالصافي، و إلى أواسط كتاب الطهاره بالعريه.

يعرفه صاحب رياض العلماء بقوله: كان دقيق النظر، قوى الفكر، حسن التقرير، جيد التعبير، من أجل مشاهير علماء عصرنا، و أكمل نحارير فضلاء دهرنا، قرأ في أوائل أمره على شيخنا البهائي و السيد الداماد، و كان شريك الدرس مع الوزير خليفه سلطان حين القراءة على المولى الشيخ حسين اليزدي شارح خلاصه الحساب و المولى محمود الزناني.

و كان يتظاهر بالأخباريه، و له كتاب في تحريم الجمعه، و قد ردّ الشيخ طاهر القمي شيخ الإسلام على رسالته في تحريم الجمعه، و مع ذلك له تأليف في الأصول و الفلسفه.

قال شيخنا المجيز: و تحريمه الجمعه التي أدت إلى عزله، و كذلك تأليفاته الأصوليه و الفلسفيه يجعلنا نشك على أن تظاهره بالأخباريه كان تقيه منه، و تماشياً مع الحكومه التي كانت تعارض الفلاسفه و حرية الاجتهاد. (٢)

(١) خاتمة المستدرک: الفائدة الثالثة: ٤١٦؛ و نقل عبارات المترجمين له في كتابه، فمن أراد فليرجع إليه.

(٢) خاتمة المستدرک: الفائدة الثالثة: ٤١٣؛ وروضات الجنات: ٣ / ٢٦٩ برقم ٢٨٧؛ طبقات اعلام الشيعة، القرن الحادي عشر: ٢٠٣.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٦٤

٤. الفيض الكاشاني (١٠٠٧-١٠٩١هـ)

هو محمد بن الشاه مرتضى بن الشاه محمود، الملقب بالفيض الكاشاني، العارف، الحكيم، الشاعر، المتوفى عن عمر ناهز ٨٤ عاماً. أخذ الحديث عن السيد ماجد بن هاشم الصادق البحراني، و يروى عنه و عن الشيخ بهاء الدين العاملی، و أخذ الحكمة و الفلسفه عن

أستاذة صدر المتألهين الشيرازي و هو صهر له. يقول السيد الخوانساري: أمره في الفضل و الفهم و النبالة في الفروع و الأصول و الإحاطة بالمعقول و المنقول و كثرة التأليف و التصنيف مع جودة التعبير و الترصيف أشهر من أن يخفى، كان بيته بيتاً جليلاً رفيعاً من كبار بيوتات العلم و العمل، و من أحسن كتبه كتاب «الوافي» فقد جمع فيه أحاديث الكتب الأربعة القديمة، و فرغ منه سنة ١٠٦٨ هـ. كما أن من أحسن تصانيفه في الفقه «مفاتيح الشرائع» الذي شرحه المحقق البهبهاني. كما أن له «المحجة البيضاء في إحياء كتاب الإحياء» و هو تهذيب و تنوير لإحياء علوم الدين، إلى غير ذلك من الكتب. و الحق أن الفيض يعد من الشخصيات التي حام حولها غموض كثير، فمن جانب نجد أنه يميل إلى التصوف و العرفان، و من جانب آخر أنه يكب على الحديث و جمعه.

٥. عبد علي العروسي (كان حياً عام ١٠٧٣ هـ)

هو عبد علي العروسي ابن جمعة الحويزي. أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٦٥ يعرّفه الحر العاملي بقوله: كان عالماً، فاضلاً، فقيهاً، محدثاً، ثقةً، ورعاً، شاعراً، أديباً، جامعاً للعلوم و الفنون، معاصراً، له كتاب «نور الثقلين في تفسير القرآن» في أربعة مجلدات، أحسن فيه و أجاد، نقل فيه أحاديث النبي و الأئمة في تفسير الآيات، من أكثر كتب الحديث، و لم ينقل فيه عن غيرهم. (١) و حيث إن «أمل الآمل» ألف عام ١٠٩٧ هـ، فيظهر منه أنه توفي قبل تأليفه، و صرح في الرياض بأنه كان معاصراً لسميه ابن ناصر الذي كان حياً في ١٠٦٣ هـ، و هذا المفسر كان حياً في ١٠٧٣ هـ.

٦. محمد بن الحسن الحر العاملي (١٠٣٣ - ١١٠٤ هـ)

هو العالم المتبحر الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين الحر العاملي المشغري، صاحب التصانيف الرائعة التي منها كتاب «الوسائل» الذي هو كالبحر الذي ليس له ساحل، و قد ألفه في المشهد الرضوي، و منح له منصب قاضي القضاة و شيخوخة الإسلام. (٢) و قد ترجم لنفسه في «أمل الآمل»، قائلاً: قرأ في قرية مشغري علي: أبيه، و عمه الشيخ محمد الحر، و جدّه لأمه الشيخ عبد السلام بن محمد الحر، و خال أبيه الشيخ علي بن محمود، و غيرهم، و قرأ في قرية جبع علي عمه أيضاً، و علي الشيخ زين الدين بن محمد بن الحسن بن زين الدين، و علي الشيخ حسين الظهيري و غيرهم. و أقام في البلاد أربعين سنة، و حجّ فيها مرتين، ثم سافر إلى العراق فزار الأئمة (عليهم السلام) ثم زار الرضا (عليه السلام) بطوس. (٣)

(١) أمل الآمل: ١٥٤ / ٢ برقم ٤٤٩.

(٢) خاتمة المستدرک: الفائدة الثالثة: ٣٩١.

(٣) أمل الآمل: ١ / ١٤١ - ١٤٢ برقم ١٠٤٩. له ترجمة في روضات الجنات: ٩٦ / ٧ برقم ٦٠٥.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٦٦

و له ترجمة ضافية في مقدمة وسائل الشيعة، و لذلك اقتصرنا على هذا المقدار، و من أراد المزيد فليرجع إليها.

٧. السيد هاشم بن سليمان البحراني التوبلي (المتوفى ١١٠٧هـ -)

هو السيد هاشم بن السيد سليمان بن السيد إسماعيل بن السيد عبد الجواد الكتكاني. يعرفه المحدث البحراني بقوله: و كان فاضلاً، محدثاً، جامعاً، متبعاً للأخبار بما لم يسبق إليه سابق سوى شيخنا المجلسي، إلى أن قال: و انتهت إليه رئاسة البلد، فقام بالقضاء في البلاد و تولّى الأمور الحسينية أحسن قيام، و نشر الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و كان من الأتقياء المتورّعين، و من مصنفاته «البرهان في تفسير القرآن» في ستة مجلدات، ثم ذكر سائر تأليفه و من أحسنها كتاب «ترتيب التهذيب» و قد رتب فيها الأخبار كلّها في الباب المناسب، و له كتاب آخر باسم «تنبيهات الأديب في رجال التهذيب» و قد تبّه فيه على أغلاط عديدة ممّا وقع للشيخ (رحمه الله) في أسانيد أخبار الكتاب المذكور. («١»)

و يعرفه المحدث النوري بنفس ما ذكره الشيخ البحراني.

أقول: إنّه خدم الحديث على وجه الإطلاع خدمات جليّة، فكتابه «معالم الزلفى في الشأء الأخرى» خير شاهد على تبخّره و تضلّعه في الحديث، و كتابه الآخر المسمى «غاية المرام» في فضائل أمير المؤمنين و الأئمّة (عليهم السلام)، يذكر فيه أحاديث الفريقين الواردة في هذا المجال، و يعرب عن تضلّعه بالحديث، و إحاطته بما في الصحاح و السنن و المسانيد من الروايات في فضائل أئمّة أهل البيت (عليهم السلام).

(١) لؤلؤة البحرين: ٦٣ برقم ١٩، أمل الآمل: ٢ / ٣٤١ برقم ١٤٩.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٦٧

و لو أُتيحت له الفرصة مثلما أُتيحت لشيخنا المجلسي الثاني لصنّف موسوعة كبيرة على غرار البحار، أو أحسن منها.

٨. المجلسي الثاني (١٠٣٧-١١١٠هـ -)

محيي السنّة، و ناشر آثار أهل البيت، الشيخ محمد باقر بن العالم الجليل محمد تقى بن الورع البصير المولى مقصود على، المتخلّص في أشعاره بالمجلسي.

هو أجّل من أن يعرف، و قد ألف شيخنا المحدث النوري رسالة في ترجمته أسماها «الفيض القدسي في ترجمة المجلسي» ذكر فيها جملاً من مناقبه و فضائله و مشايخه و تلامذته و ذريته و ذرية والده.

و كفاه فخراً أنّه ألف دائرة معارف للشيعة يوم لم يكن أيّ أثر لهذا اللون من التأليف بين الأوساط الإسلامية، و يتلوه في المكانة كتابه الآخر المسمى «مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول» و هو شرح للكافي، شرح فيه أحاديثه طبع في ستة و عشرين جزءاً و له كتاب ثالث و إن لم يكن بمنزلة السابقين و هو كتاب «ملاذ الأخيار في شرح تهذيب الأخبار» و قد طبع في اثني عشر جزءاً.

و أمّا موسوعته الكبرى، أعنى: «بحار الأنوار» فقد طبع في ١١٠ أجزاء.

و في الجملة فهو أستاذ فنّ الحديث، و سنده، و عماده، و هو في غنى عن تعريفه و إطرائه و إفاضة القول فيه.

و شيخنا هذا أوّل من ألف بالفارسية في القرون الأخيرة، و لم يكن التأليف بها أمراً معهوداً بين العلماء إلّا القليل. («١»)

(١) روضات الجنات: ٨ / ٢، لؤلؤة البحرين: ٥٥.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٦٨

٩. السيد نعمة الله بن عبد الله الموسوي الجزائري (المتوفى ١١١٣هـ -)

يعرفه الشيخ الحر العاملي، بقوله: عالم، فاضل، محقق، علامة، جليل القدر، مدرّس، من المعاصرين. له كتب، منها: «شرح التهذيب»، و «حواشي الاستبصار» إلى آخر ما ذكر.

و شرحه على التهذيب في نحو ١٢ مجلداً، و هو من الكتب الممتعة. («١»)

و قد أخذ عنه جماعة كثيرون منهم:

١. السيد محمود الميمندى.

٢. على بن الحسين بن محيي الدين بن عبد اللطيف الهمداني العاملي.

٣. الشيخ الورع الفقيه محمد بن يوسف بن علي بن كبنار.

١٠. سليمان بن عبد الله البحراني (١٠٧٥-١١٢١هـ)

هو الشيخ أبو الحسن سليمان بن الشيخ عبد الله بن علي بن حسن بن أحمد ابن يوسف بن عمّار البحراني. يعرفه شيخنا النوري في كتابه: علامة الزمان، و نادرة الأوان، الشيخ سليمان ابن الشيخ عبد الله الماحوزي البحراني، المحقق، المدقق، صاحب المؤلّفات الأنيقة التي منها: كتاب «الأربعين في الإمامة» و هو صاحب «المعراج» شرح فيه فهرست الشيخ إلى آخر باب التاء، و قد أكثر النقل عنه المحقق البهبهاني في التعليقه، توفي و عمره يقرب من خمسين سنة، في السابع عشر من شهر رجب سنة ١١٢١هـ.

(١) مستدرک الوسائل: ٣/٤٠٤، روضات الجنات: ٨/١٥٠ برقم ٧٢٦، أمل الآمل: ٢/٣٣٦ برقم ١٠٣٥.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٦٩

و يعرفه تلميذه الشيخ عبد الله بن صالح البحراني، بقوله: و كان هذا الشيخ أعجوبة في الحفظ و الدقة، و سرعه الانتقال في الجواب، و المناظرات و طلاقة اللسان، لم أر مثله قط، و كان ثقة في النقل، ضابطاً، إماماً في عصره، و حيداً في دهره، إلى أن قال: و كان أعظم علومه، الحديث و الرجال و التواريخ. («١»)

١١. عبد الله بن صالح البحراني السماهيجي (١٠٨٦-١١٣٠هـ)

هو الشيخ عبد الله بن الحاج صالح بن جمعة بن علي السماهيجي، ترجمه السيد عبد الله حفيد السيد نصر الله الجزائري، في إجازته الكبيرة لبعض علماء الحوزة، قال: كان عالماً، فاضلاً، محدثاً، متبحراً في الأخبار، عارفاً بأساليبها و وجوها، بصيراً في أغوارها، خبيراً بالجمع بين متناياتها و تطبيق بعضها على بعض، له سليقة حسنة في فهم الروايات، و أنس تام بمعانيها، كثير الاحتياط على طريقة الأخباريين، شديد الإنكار على أهل الاجتهاد، و من إفراطه و غلوّه في هذا الباب منعه من العمل بظواهر الكتاب، و دعواه أن القرآن كلّه متشابه على الرعية، و هذه المقالة نقلها العلامة في «النهاية الأصولية» عن بعض الحشوية، و اقتفى أثرهم طائفة من الأخباريين من المتأخرين.

و من تأليفاته:

١. «جواهر البحرين في أحكام الثقلين».

٢. كتاب «منية الممارسين في جوابات مسائل الشيخ ياسين».

إلى غير ذلك من التأليف، و يروى عن جماعة من فضلاء البحرين أعظمهم شأنًا الشيخ سليمان بن عبد الله المتقدم ذكره. («٢»)

(١) انظر ترجمته في لؤلؤة البحرين: ٨، روضات الجنات: ٤ / ١٦٠ برقم ٣١٩، مستدرک الوسائل: ٣ / ٣٨٨.

(٢) الإجازة الكبيرة: ٢٠٠، روضات الجنات: ٤ / ٢٤٧ برقم ٣٩٠، لؤلؤة البحرين: ٩٦ برقم ٣٨.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٧٠

١٢. الشيخ يوسف البحراني (١١٠٧-١١٨٦هـ)

هو المحدث الكبير، والفقيه المتبحر، الجامع بين التوغل في الحديث والإحاطة بالفروع.

يصفه تلميذه أبو علي الحائري مؤلف «منتهى المقال»، بقوله: عالم، فاضل، متبحر، ماهر، متتبع، محدث، ورع، عابد، صدوق، دين، من أجله مشايخنا و أفاضل علمائنا المتبحرين.

وقال تلميذه الأمير عبد الباقي سبط العلامة المجلسي في «منتخب لؤلؤة البحرين»: كان فاضلاً، عالماً، محققاً، نحرياً، مستجمعاً للعلوم العقلية والنقلية، إلى غير ذلك من جمل الثناء و حلل الإطراء ممّا ذكره المحقق السيد عبد العزيز الطباطبائي (رحمه الله) في مقدّمته على كتاب «الحدائق الناضرة».

و شيخنا هذا انتهت إليه سلسلة الإجازات و حلقات الروايات، يروى عنه لفيف من العلماء أشهرهم: المولى محمد مهدي النراقي صاحب «المستند»، و السيد مهدي بحر العلوم و يوجد نص الإجازة في ذيل فوائده الرجالية.

وقد ألف كتباً كثيرة أشهرها: «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة» و قد طبع في ٢٥ جزءاً.

يقول المؤلف في حق هذا الكتاب: لم يعمل مثله في كتب الأصحاب، و لم يسبق إليه سابق في هذا الباب، لاشتماله على جميع النصوص المتعلقة بكل مسألة و جميع الأقوال، و جملة الفروع التي ترتبط بكل مسألة إلا ما زاغ عنه البصر و حاد عنه النظر.

إلى أن قال: و بالجملة، فإنّ قصدنا فيه إلى أنّ الناظر فيه لا يحتاج إلى مراجعة غيره من الأخبار، و لا كتب الاستدلال، و لهذا صار كتاباً كبيراً واسعاً كالبحر الزاخر

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٧١

باللؤلؤ الفاخر.

وقال الخوانساري: كان هو أخبارياً صرفاً، ثم رجع إلى الطريقة الوسطى، و كان يقول: إنها طريقة العلامة المجلسي.

توفي (رحمه الله) سنة ١١٨٦هـ، و تولّى غسله الشيخ محمد علي الشهير بابن سلطان و هو من أجلّ تلاميذه، و صلّى عليه المحقق البهبهاني.

وقد ذكر المحدث النوري أسماء من روى عنهم كالشيخ حسين بن الشيخ محمد جعفر الماحوزي البحراني. (١)

١٣. محمد بن عبد النبي بن عبد الصانع النيسابوري (١١٧٨-١٢٣٥هـ)

هو أبو أحمد الشريف محمد بن عبد النبي بن عبد الصانع المحدث النيسابوري المعروف بميرزا محمد الأخباري.

يذكره في «الروضات» و يقول: لا-شبهة في غاية فضله و وفور علمه و جامعيته لفنون المعقول و المنقول، إلا أنه لما تجاهر بتحقيق علمائنا الأعلام، صرف الله عنه قلوب أهل القلوب، و هو من المتطرفين في الأخبارية. و له آثار كثيرة تدل على توقّده و ذكائه.

وقد ذكر النيسابوري سلسلة مشايخ الأخبارية بقوله: مولانا محمد أمين الاسترآبادي الأخباري هو أول من تكلم على المتأخرين لمخالفتهم طريقة قدماء الأصحاب و أحسن و أتقن، ثم تكلم المحدث القاساني في «سفينه النجاة» بقليل لا يشفى العليل، ثم المحدث

العالمي في «الفوائد الطوسية» أتى بما يروى الغليل،

(١) الحدائق الناضرة: ١، المقدمة، بقلم السيد عبد العزيز الطباطبائي (رحمه الله)؛ مستدرک الوسائل: ٣/ ٣٨٧؛ روضات الجنات: ٨/ ٢٠٣، وقد ترجم لنفسه في لؤلؤة البحرين: ٤٤٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٧٢

ثم الشيخ حسين بن شهاب الدين العاملی فی «هداية الأبرار» أشبع التفصيل، ثم الشيخ أبو الحسن الغروي أراد التكميل، و سادسهم مولانا رضى الدين القزوينى فى «لسان الخواص» أقام الدليل، و السابع هذا العبد الذليل، انتهى. («١»)
و من تأليفه «قبسة العجول فى الأخبار و الأصول» و قد رد عليه المحقق القمى فى كتاب أسماه «عين العين»، فلما وصل إلى يد الشيخ الأخبارى رد عليه بكتاب آخر أسماه «إنسان العين فى رد كتاب عين العين»، و قد ألف دورة فقيهية من الطهارة إلى الديات أسماه «التحفة».

و مهما يكن فى أمره غمة فقد تجاهر فى الطعن بالعلماء و التشييع بهم، مما حدا العوام إلى الهجوم عليه انتهت بقتله فى الكاظمية عام ١٢٣٥ هـ.

*** هذه لمحة خاطفة عن سيرة أقطاب الحركة الأخبارية منذ أن رفع رايتها الأمين الاسترآبادى إلى محمد بن عبد النبى الأخبارى بعد أن دامت ما يقرب القرنين؛ و انتهت بظهور الوحيد البهبهانى الذى هدم أركانها بمعوله، و قضى عليها بفكره الوقاد، و حججه الباهرة القاهرة و براهينه الساطعة القانعة، و جهاده المتواصل، فدحض حججها و استطاع أن يوقفها عند حدها، و منذ ذلك الوقت بدأ النشاط الأخبارى بالفتور، و لم يبق من معالمه شىء إلا أنه ترك مخلفات و آثاراً غير محمودة عند المتأخرين من العلماء.
ثم قام تلميذ منهجه الشيخ مرتضى الأنصارى (قدس سره) فى مواصلة منهج أستاذه بإزالة ما بقى من تلك الرواسب فى الأذهان بكتبه القيمة، و أفكاره

(١) روضات الجنات: ٧/ ١٣٨ - ١٣٩.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٧٣

الناضجة، و بحوثه الرائعة التى ألقاها فى النجف الأشرف، فاستتب الأمر للأصوليين، و لم يبق من أتباع المذهب المبتدع إلا كصباية الإناء تظهر بين فترة و أخرى.

و نحن على يقين بأن بث هذه الفكرة فى هذه الأيام فى الحوزات مؤامرة حيكت لإفراغ التشييع من طابعه العلمى الذى هو سلاحه فى مواجهة الأعداء عبر القرون، و من الواضح بمكان أن كل أمة إذا تخلت عن العقل و البرهان السليم أصبحت فريسة سائغة للاستعمار.

رواد الاجتهاد فى العصر الأخبارى

إشارة

ثمة علماء مفكرين لم ينخرطوا فى تيار الأخبارية الجارف بل صمدوا أمامه و أخذوا يدافعون عن منهج الاجتهاد بالأدلة القاطعة على الرغم من قلة عددهم، و نشير هنا إلى أسماء أكابرهم:

١. سلطان العلماء (المتوفى ١٠٦٤ هـ)

هو السيد حسين بن رفيع الدين محمد بن الأمير شجاع الدين محمود الآملى الاصفهانى الملقب ب- «سلطان العلماء». يعرّفه الخوانسارى بقوله: كان من أعظم الفقهاء الأعيان، محققاً، مدققاً، بديع التصرف فى العلوم، تقلد الوزارة للسلطان شاه عباس

الصفوى، و تزوج بابنته، فُزق منها أولاداً، كلهم فضلاء أذكياء، علماء أصفياء، قرأ على والده، و شارك المولى خليلاً القزويني في التلمذ على شيخنا البهائي، و من أشهر تأليفه: تعليقه على أصول المعالم، و على شرح مختصر العزدي، و على زبدة الشيخ البهائي. أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٧٤ و توفي عند عودته من فتح قندهار، ثم نقل جثمانه إلى النجف الأشرف، و قبره بها معروف بزار. («١»)

٢. الفاضل التوني (المتوفى ١٠٧١ هـ -)

هو الشيخ عبد الله بن محمد التوني البشروي الرضوي. يعرّفه الحر العاملي بقوله: عالم، فاضل، فقيه، زاهد، عابد، معاصر، له كتاب شرح الإرشاد في الفقه، و رسالته في الأصول، و رسالته في الجمعة، و من أشهر تأليفه «الوافية» التي فرغ منها سنة ١٠٥٩ هـ، و هو كما يصفه الخوانساري نقلًا عن خط أخى صاحب الترجمة: جمعت بدائع التحقيق و ودائع التدقيق، و طبع عام ١٤١٢ هـ، و هو كتاب في أصول الفقه. و تظهر قوة عارضته من المنهجية الجديدة التي مشى عليها في كتاب «الوافية» حيث وضع للمباحث الأصولية تبويباً غير معهود عند المتقدمين عليه، و انفرد بعده آراء لم يسبقه إليها أحد. و قد اهتم الشيخ الأنصاري بأفكاره و تحقيقاته، فيذكر نصحاً ثم يناقش في غير واحد من فرائد الأصول. («٢»)

٣. حسام الدين محمد صالح المازندراني (المتوفى ١٠٨٠ هـ -)

هو مولانا حسام الدين محمد صالح بن أحمد المازندراني، أحد الأصوليين في

(١) روضات الجنات: ٢/ ٣٤٦ برقم ٢١٨، و قد ترجمه المدني في سلافة العصر: ٤٩٩، أمل الآمل: ٢/ ٩٢ برقم ٢٤٩.
(٢) له ترجمة ضافية في روضات الجنات: ٤/ ٢٤٤ برقم ٣٨٩؛ أمل الآمل: ٢/ ١٦٣ برقم ٤٧٧؛ رياض العلماء: ٣/ ٢٣٧، و قد استوفى ترجمته محقق كتاب «الوافية» السيد محمد حسين الرضوي الكشميري في المقدمة. أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٧٥
العهد الأخباري يصفه الحر العاملي بقوله: فاضل، عالم، محقق، له كتب، منها: شرح الكافي، كبير حسن، و شرح الفقيه، و شرح المعالم، و حاشية شرح اللمعة. و تعرب تعليقه على أصول الكافي عن تضلعه في المعقول و الحكمة الإلهية، كما يكشف شرحه على مقدمة «المعالم» عن توغله في الأصول و تمتعه بذهنية وقادة، و فكر ثاقب. قرأ على المولى عبد الله التستري الرجالي المعروف و المولى محمد تقى المجلسي. يقول الخوانساري في روضاته: و من لاحظ شرح معالم الأصول علم مهارته في قواعد الاجتهاد و له شرح مزجي على زبدة الأصول لشيخنا بهاء الدين العاملي. («١»)

٤. فخر الدين الطريحي (المتوفى ١٠٨٥ هـ -)

هو الشيخ فخر الدين بن محمد بن علي بن أحمد بن طريح. يعرّفه الحر العاملي بقوله: فاضل، زاهد، ورع، فقيه، شاعر، جليل القدر، له كتب، منها: «مجمع البحرين» و هو عند الشيعة كالنهاية عند السنة، فقد استعرض فيه اللغات الواردة في الكتاب و السنة؛ و «الفخرية» في الفقه؛ و «المنتخب» في المقتل.

وله كتاب آخر في بيان لغات القرآن سماه «نزهة الخاطر و سرور الناظر».
وله في أصول الفقه شرح المبادئ الأصولية للعلماء، و منها فوائد الأصول. («٢»)

- (١) أمل الآمل: ٢٧٦ / ٢ برقم ٨١٦؛ و له ترجمة ضافية في روضات الجنات: ١١٨ / ٤ برقم ٣٥٥؛ مستدرک الوسائل: ٣ / ٤١٢.
(٢) لاحظ ترجمته في أمل الآمل: ٢ / ٢١٥ برقم ٦٤٨، روضات الجنات: ٥ / ٣٤٩ برقم ٥٤١، رياض العلماء: ٤ / ٣٣٢.
أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٧٦

٥. أبو القاسم الجرفادقاني (المتوفى حدود ١٠٩٢ هـ)

هو أبو القاسم بن محمد الجرفادقاني الاصفهاني العالم الإمامي، من خريجي مدرسة لطف الله العاملی في أصفهان تقدم في الفقه و الحديث و تبحر في الحكمة و الكلام و ارتحل إلى الهند في عصر شاه جهان و ناظر هناك جمعاً من العلماء مثل الحكيم السيالكوثي (المتوفى ١٠٦٧ هـ) ثم عاد إلى بلاده.
و قال في روضات الجنات ان للمترجم مصنفات كثيرة في الحكمة و الكلام و الفقه و الأصول و حواشي و تعليقات لطيفة على كثير من كتب المعقول و المنقول. («١»)

٦. محمد باقر السبزواري و قد مرت ترجمته في ص ٢٤٠.

٧. حسين الخوانساري (١٠١٦ - ١٠٩٨ هـ)

هو الحسين بن جمال الدين محمد الخوانساري.
يعرفه الحر العاملی بقوله: فاضل، عالم، حكيم، متكلم، محقق، مدقق، ثقة ثقة، جليل القدر، عظيم الشأن، علامة العلماء، فريد العصر، له مؤلفات، منها: «شرح الدروس» حسن لم يتم. و له كتب في الكلام و الحكمة.
و قد ترجمه السيد علي المدني في «سلافة العصر في محاسن أعيان العصر».
و له رسالة في مقدمة الواجب تعرض فيها للرد على الفاضل القزويني و الفاضل النائيني، و قد ذكر أسماء تأليفه ولده جمال الدين محمد. («٢»)

- (١) رياض العلماء: ٥ / ٤٩٦؛ روضات الجنات: ٣ / ٣٥١.

- (٢) لاحظ ترجمته في أمل الآمل: ٢ / ١٠١ برقم ٢٧٦، رياض العلماء: ٢ / ٥٧، روضات الجنات: ٢ / ٣٤٩ برقم ٢١٩.
أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٧٧

٨. جمال الدين الخوانساري (المتوفى ١١٢٥ هـ)

هو جمال الدين محمد بن الفاضل المحقق حسين الخوانساري الذي تقدم ذكره.
يعرفه مؤلف «جامع الرواة» المعاصر له، بقوله: جمال الدين الحسين بن جمال الدين الخوانساري جليل القدر، عظيم المنزلة، رفيع الشأن، ثقة، ثبت عين، صدوق، عارف بالأخبار و الفقه و الأصول و الحكمة، له تأليفات، منها «شرح مفتاح الفلاح» و حاشية على «شرح مختصر الأصول».

و يعرفه الأفتدى بقوله: عالم، فاضل، حكيم، محقق، مدقق، معاصر، له مؤلفات، توفي عام ١١٢٥ هـ. («١») و له تعليقه على الروضة البهية المطبوعة معها.

٩. محمد بن الحسن الشيروانى (المتوفى ١٠٩٩ هـ)

هو المولى الشيخ محمد حسن الشيروانى مولداً، و الاصفهانى مسكناً، له حاشية على أصول المعالم ماهر فى الأصولين و الفقه و الحديث، و له مصنفات، منها: شرحه على شرائع المحقق، و غير ذلك. («٢»)

١٠. بهاء الدين محمد بن الحسن المعروف بالفاضل الهندى (١٠٦٢ - ١١٣٧ هـ)

هو الشيخ محمد بن تاج الدين حسن بن محمد الأصفهانى المشهور بالفاضل الهندى، تاج المحققين و الفقهاء، فخر المدققين و العلماء، و حيد عصره، و أعجوبة دهره، مروج الأحكام صاحب «كشف اللثام عن قواعد الأحكام» الذى

(١) انظر ترجمته فى روضات الجنات: ٢/ ٢١٤ برقم ١٧٧؛ رياض العلماء: ١/ ١١٤.

(٢) انظر ترجمته فى روضات الجنات: ٧/ ٩٣ برقم ٦٠٤؛ تنقيح المقال: ٣/ ١٠٣؛ جامع الرواة: ٢/ ٩٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبعماني)، ص: ٢٧٨

حكى عن صاحب الجواهر أنه كان له اعتماد عجيب فيه، و فى فقه مؤلفه و أنه كان لا يكتب شيئاً من الجواهر لو لم يحضره ذلك الكتاب.

و كتابه هذا شرح على قواعد العلامة الحلى، و أنهى الشرح إلى ختام القواعد شرحاً مبسطاً أقرب إلى الاختصار، و طبع فى جزئين كبيرين ثم أعيد طبعه محققاً فى اجزاء بالصف الجديد.

ثم ابتدأ من أول القواعد مستوفياً مستقصياً للأدلة و الأقوال، خرج منه كتاب الطهارة و الصلاة و الحج، فرغ من الكتاب عام ١١٠٥ هـ، و توفي عام ١١٣٧ هـ. («١»)

مميزات الدور الخامس

إشارة

لقد ترك التيار الأخبارى مضاعفات خطيرة على الصعيد الفقهي أدت إلى فتور النشاط الاجتهادى، و تصاعد النشاط الأخبارى الحديثى، و لا يخفى أنه إلى جانب تلك الآثار السلبية، وجدت آثار إيجابية سنشير إلى الجميع على حد سواء، و نترك فرز الأثر الإيجابى عن السلبى إلى القارئ الكريم.

١. تشتت الصف الفقهي

كانت الحركة الأخبارية عنصر إثارة فى الأجواء الفقهية الشيعية، و كان النشاط الاجتهادى فى تصاعد مستمر نحو الامام، و إذا به يُهاجم من قبل التيار الأخبارى بغته، و لم يكن له أى اطلاع عن واقع الحركة و خلفياتها، فوقف أمامها فى بداية الأمر عاجزاً مخلوع السلاح، فتكتل العلماء إلى تكتلات بين أخبارى لا

(١) لاحظ ترجمته في روضات الجنات: ١١١/٧ برقم ٦٠٨؛ الكنى والألقاب: ١١/٣ وغيره.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٧٩

يقيم للأصولي وزناً ويتهمة بالتطفل على موائد الآخرين، وأصولي يتهم الأخباري بالجمود والركود، ولا شك أن الوحدة بشاره الرحمة والتشتت آية العذاب.

قال سبحانه: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَ كُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَ كُمْ بِأَسْبَغٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ آيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ). («١»)

كان الوضع سائداً على هذا المنوال إلى أن قضى الله رجل العلم والفكر الوحيد البهبهاني (١١١٨-١٢٠٦ هـ) فقام بمناهضة التيار الأخباري بالدليل القاطع والبرهان الساطع، ورَبَّى جيلاً كبيراً من الفقهاء ساروا على نهج أستاذهم في دحض حجج ذلك التيار المناوي، حتى انجلى وجه الحقيقة، واتضح زيف الأدلة التي أقامها الأمين الاسترآبادي ومن لفَّ لفه، فرجع الكثير منهم إلى صف الاجتهاد، وأعقبه فتور النشاط الأخباري، وهدأت الزوابع الفكرية التي قادتها الأخبارية ما يقارب القرنين.

٢. كثرة المناظرات الفقهية

تزامنت الحركة الأخبارية مع ظهور مستجدات لم يكن لها نظير فيما سبق، كسرب التنن، وبما أن الأصل عندهم فيما لا نص فيه في الشبهة التحريمية هو الاحتياط، فصار ترك شرب التنن شعاراً لهم، كما أن تجويز استعماله أضحى شعاراً للأصوليين، وألَّف ذلك منعطفاً في تاريخ الفقه حيث طرحت لأول مرة مسائل لم يرد فيها نص في الكتاب والسنة، وكثرت المناظرات حولها بغية وضع الحلول المناسبة لها.

(١) الأنعام: ٦٥.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٨٠

وقد تناول الشيخ الأنصاري هذا الموضوع بتقسيم ما لا نص فيه إلى شبهة حكمية، وأخرى موضوعية، والأولى إلى شبهة تحريمية وجوبية، إلى غير ذلك من الأقسام.

٣. تأليف جوامع حديثية

ألَّف المحمدون الثلاثة كتباً أربعة هي: الكافي، والفقيه، والتهذيب، والاستبصار، فصارت المرجع الوحيد للفقهاء فيما بعد منذ أواسط القرن الخامس إلى أواخر القرن الحادي عشر.

ولا شك أن الاستنباط فرع الإحاطة بالأحكام، وهذا يستدعي رجوع الفقيه في مسألة واحدة إلى تلك الكتب بأبوابها المختلفة، مما يؤلِّف صعوبة في الاستنباط وثره أمامه.

ولما كانت الأجواء مناسبة لتدوين الحديث ونشره عاد لفييف من كبار الأخباريين إلى تأليف جوامع حديثية تضم كل ما يحتاج إليه الفقيه في مقام الاستنباط، فألَّفوا جوامع حديثية أخرى تتمتع بمنهجية وتبويب رائع فاقت الجوامع السابقة ونشیر إلى بعض منها:

١. «وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة» في الفروع والأحكام والسنن، تأليف محمد بن الحسن الحر العاملي (المتوفى ١١٠٤ هـ).

٢. «الوافي» لوفائه بالمهمات وكشف المبهمات، للمحدث العارف محمد بن مرتضى المعروف بالفيض الكاشاني (١٠٠٧-١٠٩١ هـ) جمع فيه روايات الكتب الأربعة، فرغ منه عام ١٠٨٦ هـ.

٣. «بحار الأنوار في درر الأخبار» للعلامة المجلسي (١٠٣٧-١١١٠هـ)

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٨١

و يعد كتابه هذا موسوعة كبيرة في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) في مختلف المجالات، وقد غصت الأجزاء الأخيرة بالروايات الفقهية، ثم سلسلة الإجازات، وقد طبع في ١١٠ أجزاء.

٤. «عوامل المعالم» للشيخ عبد الله بن نور الله البحراني، تلميذ العلامة المجلسي، و كتابه هذا في مائة جزء، طبع بعض أجزاءه، و الباقي لم يزل مخطوطاً.

٥. «الشفاء في أحاديث آل المصطفى» تأليف العلامة الشيخ محمد رضا بن عبد اللطيف التبريزي، المتوفى عام ١١٥٨هـ. إلى غير ذلك من الجوامع الحديثية التي حازت على منزلة كبيرة، لما تمتعت به من جودة الترتيب و حسن العرض.

٤. إعادة التفسير الروائي

كان التفسير بالأثر هو المنهج السائد منذ عصر الأئمة إلى زمان الشريف الرضي (٣٩٥-٤٠٦هـ) حيث تذكر الآية ثم تتبع بالآثار الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، و النموذج البارز لهذا النمط من التفسير هو «تفسير علي بن إبراهيم القمي» المطبوع المنتشر، ثم ترك هذا النوع من التفسير، و حل محله التفسير العلمي ك- «التبيان» للشيخ الطوسي، و «مجمع البيان» للشيخ الطبرسي، و دام هذا النمط إلى أواخر القرن الحادي عشر حيث عاد التفسير بالأثر إلى الساحة من جديد، فألف السيد هاشم البحراني (المتوفى ١١٠٧هـ) كتابه «البرهان في تفسير القرآن» المطبوع في ستة أجزاء، و الشيخ عبد علي العروسي الحويزي كتابه «نور الثقلين» إلى غير ذلك من التفاسير بالأثر التي هي من حسنات تلك الحقبة.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٨٢

٥. قلّة الاهتمام بعلم الأصول

إنّ المصدر الوحيد للاستنباط لدى الأخباريين هو الكتاب و السنّة، و لا قيمة للعقل، و لا اعتبار للأصول العقلية لديهم، و قد تطرق أصول الفقه في قسم من مباحثه إلى العقل و أحكامه مما حدا إلى قلّة الاهتمام به، حتى بين المجتهدين أنفسهم، فتجد أنّ أكثر التآليف تدور حول كتاب «زبدّة الأصول» للشيخ بهاء الدين العاملي، و قد كثرت عليه الشروح و التعاليق، و لم نجد كتاباً مستقلاً في علم الأصول دونّ في هذه الحقبة سوى «الوافية» للفاضل التوني.

٦. تطوير الفقه في المرحلة اللاحقة

نادت الحركة الأخبارية بنبد كلّ ألوان التفكير العقلي الأصولي، و في تلك الأجواء المشحونة ظهر رواد أدركوا خطورة الموقف و أنّ علم الأصول بثوبه القديم لا يصمد امام التيار الأخباري المناهض، و أنّ الواجب يحتم عليهم الأخذ بزمام المبادرة و إعادة النظر فيما ورثوه من سلفهم الصالح من أصول و طوروا الفقه بمسائل أصولية جديدة لم تكن معنونة في كتب الماضين استطاعت أن تعالج المشاكل العالقة التي دخل منها الأخباري، و بالتالي تم إنعاش الحركة الفقهية في المرحلة اللاحقة كما سنستعرضه إن شاء الله.

المراكز العلمية التي نشطت في الدور الخامس

قد مرّ آنفاً أنّ أول من نادى بالفكرة الأخبارية هو محمد أمين الاسترآبادي، فقد ألف كتابه «الفوائد المدنية» في المدينة المنورة، و مكث بها طيلة عمره، إلى أن وافاه الأجل عام ١٠٣٦هـ، و قد أرسل كتابه هذا إلى كافة المراكز العلمية التي كان

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٨٣

لها نشاط فعال، كالنجف الأشرف و كربلاء و اصفهان، ثم البحرين، فأوجد صدى واسعاً في تلك المراكز، و عقد حوله مناظرات كثيرة كانت حصيلتها موافقة بعض و رفض بعض آخر، إلا أن أنصار الحركة الاجتهادية و بفضل الجهود الحثيثة التي بذلوها على هذا الصعيد استطاعوا أن يسدوا الضربات للحركة الاخبارية و يفندوا جميع مزاعمها. و أخيراً تم القضاء عليها، و لم يبق منها شيء يذكر إلا صباية كصباية الإناء توجد في مناطق مختلفة كالبحرين و في بعض نواحي القطيف.

رحم الله الماضين من علمائنا و حفظ الله الباقيين منهم و جمع كلمتهم، و شملهم.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٨٥

أدوار الفقه الإمامي

٦

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٨٧

الدور السادس عصر تصعيد الاجتهاد و النشاط الفقهي (١١٨٠ - ١٢٦٠ هـ)

إشارة

لقد بلغ النشاط الاخباري ذروته، و عمت أفكاره كافة المراكز على الرغم من بذل محاولات جادة للحد من نشاطه، و الحيلولة دون انتشاره من قبل ليف من المحققين أمثال: سلطان العلماء (المتوفى ١٠٦٤ هـ)، و الفاضل التوني صاحب الوافية (المتوفى ١٠٧١ هـ)، و المحقق الشيرازي صاحب الحاشية على المعالم، و لم تتكفل جهودهم بالنجاح، إلى أن قام رجل العلم و القلم، و التحقيق و التدقيق، المحقق - ق البهبهاني (١١١٨ - ١٢٠٦ هـ) و أحس بخطورة الموقف، فانتقل من النجف الأشرف إلى كربلاء، و هي يومئذ معقل الأخباريين يتزعمها الفقيه الشيخ يوسف البحراني صاحب الحدائق، فحضر أبحاثه أياماً، ثم وقف يوماً في الصحن الشريف، و نادى بأعلى صوته: أنا حجة الله عليكم، فاجتمعوا عليه، و قالوا ما تريد: فقال: أريد من الشيخ يوسف يمكنني من منبره و يأمر تلامذته أن يحضروا تحت منبري، فأخبروا الشيخ يوسف بذلك، و حيث إنه كان يومئذ عادلاً عن مذهب الاخبارية، خائفاً من إظهار ذلك من جهالهم، طابت نفسه بالإجابة. (١)

(١) المامقاني: تنقيح المقال: ٨٥ / ٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٨٨

و ألفت هذه الحادثة منعطفاً تاريخياً في قلب الموازين لصالح الأصوليين، حيث وضع المحقق البهبهاني أصابعه على النقاط الحساسة التي كانت الاخبارية تتشدد بها. و قبل أن ندخل في صلب الموضوع نسلط الأضواء على سيرة المحقق البهبهاني، و الدور الذي لعبه في إحياء التيار الاجتهادي، و إخراج المجتمع من ورطة الاخبارية.

حياة المحقق البهبهاني و سيرته

ولد المحقق محمد باقر بن محمد أكمل البهبهاني سنة ١١١٨ هـ - في أصفهان، و قرأ المقدمات فيها، ثم انتقل إلى النجف من جزاء

نشوب القلاقل و الفتن و أكمل فيها دروسه عند العلمين الجليلين: السيد محمد الطباطبائي البروجردى - جد السيد بحر العلوم - و السيد صدر الدين القمى المشهور بالهمداني شارح كتاب «وافيه الأصول» و لما تزود من معين تلك الحوزة و صاهر أستاذه السيد محمداً الطباطبائي، انتقل حينها إلى بهبهان معقل الأخباريين فى ذلك الزمان، و مكث هناك ما يربو على ثلاثين سنة، لعب فيها دوراً هاماً فى التعليم و التربية و التأليف و التصنيف، و قد أحسَّ بعد حقبة من الزمن أنه لو هاجر إلى الأماكن المقدسة لبذل عطاءً ضخماً.

فنزل النجف الأشرف، و لم يلبث فيها إلّا قليلاً، ثم انتقل إلى كربلاء حيث كانت تعجّ بالأخباريين يومذاك. يقول شيخنا المجيز الطهراني: لما ورد المترجم كربلاء المشرفه قام بأعباء الخلافة، و نهض بتكاليف الزعامة و الإمامة، و نشر العلم بها، و اشتهر تحقيقه و تدقيقه، و بانت للملا مكانته السامية، و علمه الكثير، فانتهدت إليه زعامة الشيعة أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٨٩

و رئاسة المذهب الإمامي فى سائر الأقطار، و خضع له جميع علماء عصره، و شهدوا له بالتفوق و العظمة و الجلالة، و لذا اعتبر مجدداً للمذهب على رأس هذه المائة، و قد ثبتت له الوسادة زمنياً، استطاع خلاله أن يعمل و يفيد، و قد كانت فى أيامه للأخباريه صولة، و كان لجهاهم جولة، و فلتات و جسارات و تظاهرات أشير إلى بعضها فى «منتهى المقال» و غيره، فوقف المترجم آنذاك موقفاً جليلاً كسر به شوكتهم، فهو الوحيد من شيوخ الشيعة الأعظم، الناهضين بنشر العلم و المعارف، و له فى التاريخ صحيفة بيضاء يقف عليها المتتبع فى غضون كتب السير و معاجم الرجال. (١)

و الذى يعرب عن خطورة الموقف و أنه بلغ الأمر إلى الطعن بالعلماء و التشنيع بهم، هو ما ذكره المحقق البهبهاني و تلميذه. أمّا الأوّل فيشتكى المحقق فى رسالته «الاجتهاد و الأخبار» من الأخباريين و يخاطبهم بقوله: ما الوجه فى مطاعنكم الشديدة المنكرة بالنسبة إلى المجتهدين، و التشنيعات المتكثرة الركيكة على هؤلاء المتقين الورعين، و ما المحلل لهتك حرمة الأحياء و الأموات من المؤمنين، و إيذائهم مع كونهم من أزهد الزاهدين، و أصلح المتدينين؟! بل ربما تأملت فى عدالة من يقرأ كتبهم و يسلك سبيلهم؟! و لم هذه التفرقة بين المؤمنين؟ و ممّ هذه المعركة المهيأة بين العالمين؟ و ما هذه البغضاء و النفرة الحادثة بين الشيعة؟ و من أين اجترأ الجهلة على الطعن فى الأعظم و الأجلّة بنسبتهم إلى متابعه أهل السنّة و أبى حنيفة؟! و غيرها من الأمور السخيفة؟! و أدخلوا أنفسهم بين العلماء و آرائهم فى الآراء مع أنهم لا يعرفون الهرّ من البرّ، مهدوا لأنفسهم قواعد مضحكة، و يفتون بفتاوى ركيكة، يدعون أنهم

(١) الطهراني: الكرام البررة: ١ / ١٧١.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٩٠

أخباريون و أنكم لو اطّعتهم على فتاويهم و قواعدهم لتنفّرت عنهم، و حذرتهم منهم و وجدتم إياهم لا هم منكم و لا أنتم منهم. (١) و أمّا تلميذه فقال: و قد كانت بلدان العراق لا سيّما المشهدين الشريفيين مملوءة قبل قدومه من معاشر الأخباريين، بل و من جاهليهم و القاصرين، حتى أنّ الرجل منهم إذا أراد حمل كتاب من كتب فقهائنا - رضى الله عنهم - حمله مع منديل، و قد أخلى الله البلاد منهم ببركة قدومه، و اهتدى المتحير فى الاهتمام بأنوار علومه. (٢)

هذه الإمامة عابرة عن اتساع نفوذ الأخبارية فى الربوع العلمية، فحان الوقت الآن لبيان أنه كيف عولج هذا الداء المستعصى على يد المحقق البهبهاني.

فقد قام (قدس سره) بذلك عن طريق تقويض الأصول التى ركن إليها الأخباريون، و قد أوعزنا إلى تلك الأصول سابقاً، و نعود إليها الآن لغاية التوضيح، و لمعرفة الأساليب التى اتخذها البهبهاني لمعالجة الموقف.

١. ذهب الأخبارية إلى أنّ العمل بظواهر القرآن تفسير بالرأى تشمل الروايات المستفيضة الواردة فى النهى عن تفسير القرآن بالرأى، كقولهم: من فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب. (٣)

و أجاب المحقق: انّ التمسك بظواهر القرآن بعد الفحص عن مخصصها و مقيدها و ناسخها و ما ورد حولها من أئمة أهل البيت ليس إلّا عملاً بالقرآن و تدبراً فيه، و أين هو من تفسير القرآن بالرأى؟! فشتان بين من ينظر إلى القرآن

(١) الرسائل الأصولية: رسالة الاجتهاد و الأخبار: ٢١٦.

(٢) أبو علي الحائري: منتهى المقال في أحوال الرجال: ١٧٨/٦ برقم ٢٨٥٢.

(٣) الصدوق: إكمال الدين و تمام النعمة: ٢٥٦ الحديث ١.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٩١

بذهن صاف و خال من كل الشوائب يستهدى به، و من اتخذ موقفاً خاصاً حياله، فينظر إليه ليستخرج منه الدليل الدال على معتقده و إن لم يكن على صواب.

٢. زعمت الأخبارية أنّ الحجّة عبارة عن الكتاب و السنّة و ليس للعقل دور في استنباط الأحكام الشرعية فيما له مجال، و استدلوا على ذلك بأنّ دين الله لا يصاب بالعقول. («١»)

و قد قام المحقق البهبهاني بتأليف رسالته في الحسن و القبح العقليين، و أثبت فيها حجّة حكم العقل في المستقلات العقلية، و أنّه لا صلة لقولهم إنّ دين الله لا يصاب بالعقول إلى هذا النمط من الاستدلال، فإنّ ما ورد في الحديث عبارة عن الظنون المتركمة من هنا و هناك باسم القياس و الاستحسان و المصالح المرسله فإنّ دين الله لا يصاب بهذه الظنون دون الأحكام العقلية القطعية التي لا يشكّ فيها ذو فطرة سليمة كاستقلال العقل بقبح العقاب بلا بيان، أو حكمه بأنّ الاشتغال اليقيني يستدعي الفراغ اليقيني، إلى غير ذلك من الأحكام الفطرية الواضحة.

٣. اتخذت الأخبارية سنداً على الأصوليين بأنهم يعتمدون على الإجماع مع أنّ الإجماع أصل لأهل السنّة، و هم أصل له يستعملونه في الفقه و يستدلون عليه. غير أنّ محققنا البهبهاني نبه على أنّ الاشتراك في اللفظ لا يكون سنداً لصالح الأخباريين، فإنّ الإجماع عند الأصوليين يختلف جوهرًا عن الإجماع عند أهل السنّة، إذ أنّ الطائفة الثانية يتكلمون على الإجماع بما هو إجماع، فالإجماع بما هو هو حجّة عندهم، و الشيعة ترى أنّ الإجماع طريق إلى تحصيل قول المعصوم على الأساليب المقررة في علم الأصول.

٤. لقد أفرط الأخباريون إذ قالوا بقطعية تمام الأحاديث الواردة عن أئمة

(١) الفوائد المدنية: ١٦٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٩٢

أهل البيت (عليهم السلام)، و بذلك استغنوا عن علم الرجال.

قال الأمين الاسترآبادي: إنّ العلم بأحوال الرجال غير محتاج إليه، لأنّ أحاديثنا كلّها قطعية الصدور عن المعصوم، فلا نحتاج إلى ملاحظة سنده، و أمّا الكبرى فظاهر، و أمّا الصغرى فلأنّ أحاديثنا محفوفة بالقرائن المفيدة للقطع بصدورها عن المعصوم، ثمّ ذكر القرائن المدعاة. («١»)

ثمّ إنّ المحقق البهبهاني أخذ بتنفيذ تلك القرائن التي اعتمد عليها الأخباري في قطعية الأخبار في رسالة الاجتهاد و الأخبار. («٢»)
و بما أنّ نقل كلامه في المقام يخرجنا عن إطار البحث، فنحيل القارئ الكريم إلى رسالة الاجتهاد و الأخبار.

ابتكاراته الأصولية

لقد تمتع البهبهاني بذهن وقّاد، و ذكاء مفرط ساعده على ابتكار قواعد و أساليب جديدة في علم الأصول، منها:

١. إذا تعلق الشك بأصل التكليف فالأصل هو البراءة، وقد استدل عليه بحكم عقلي فطري من قبح العقاب بلا بيان، و عززها بآيات و روايات قد ذكرت في مبحث البراءة من فرائد الشيخ الأنصاري.
٢. كان الأصل عند العلماء هو تقديم الجمع على الترجيح في تعارض الأخبار و عليه سار شيخنا الطوسي في كتابيه حتى اشتهر بأن الجمع أولى من الطرح، إلى أن جاء المحقق البهبهاني فعين للجمع و الترجيح ضابطة كلية، و هي

(١) الفوائد المدنية: ٨٩.

(٢) لاحظ الرسائل الأصولية، رسالة الاجتهاد و الاخبار: ١١٥ - ١٦٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٩٣

إن الجمع لو كان أمراً مقبولاً عند العقلاء و سائداً بينهم، فالجمع مقدّم على الترجيح، كما هو الحال في العام و الخاص و المطلق و المقيد.

و أما إذا لم يكن الجمع مقبولاً فهو من موارد الترجيح، و بذلك أثبت أن الجمع التبرعي أي الجمع بلا شاهد لا دليل عليه، و قد كان لهذه الضابطة آثار مهمة في الاستنباط و التحقيق.

٣. إذا تعارضت الرواية مع القاعدة القطعية العامة، فالمشهور هو تقديم النصّ على القاعدة، على خلاف ما عليه المحقق البهبهاني فقدم القطعي على النص الظني.

فمثلاً أن مقتضى القاعدة القطعية هي حرمة التصرف في مال الغير بلا رضاه، و إليه يشير قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه» لكن وردت الرواية على أن العابر يجوز له أن يأكل من ثمار الأشجار حين اجتيازه من دون أن يحوز منها. فعلى قول البهبهاني لا يعمل بالرواية أمام القاعدة القطعية و لا يمكن الصمود أمامها.

و على ذلك بنينا في بحوثنا الأصولية بأن القرآن لا يخصص بالخبر الواحد، و التفصيل في محله.

٤. كان الطابع العام السائد على فقه القدماء هو جعل الأصول العملية في رتبة الأمارات، و لذا يستدلون على المسألة بالخبر الواحد، و في الوقت نفسه يستدلون بالأصل.

و قد جاء المحقق البهبهاني و فرق بين الأمارات و الأصول، و جعل لكلّ حداً، و أثبت أن الأصل دليل حيث لا دليل (الأماره).

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٩٤

و على ضوء ذلك قسم الأدلة إلى الاجتهادية و الفقهية، كما نقله الشيخ عنه في أوائل أصل البراءة من الفرائد.

إلى غير ذلك من الأفكار الرائعة و التحليلات الرائقة، التي استطاع بها تصعيد النشاط الاجتهادي.

تلاميذه

غاب نجم العلم و توفي المحقق البهبهاني عام ١٢٠٥ هـ، و لكن الركب الفقهي الذي أشاد معالمه لم يزل سائراً نحو الإمام بفضل تلامذة مدرسته و هم:

١. السيد محمد التستري (المتوفى ١٢٠٦ هـ).

٢. السيد أحمد الطالقاني النجفي (المتوفى ١٢٠٨ هـ).

٣. المولى مهدي النراقي (المتوفى ١٢٠٩ هـ).

٤. السيد محمد مهدي بحر العلوم (المتوفى ١٢١٢ هـ) مؤلف «الفوائد الرجالية» في ثلاثة أجزاء و غيرها.

٥. السيد أحمد العطار البغدادي (المتوفى ١٢١٥ هـ).
٦. الشيخ أبو علي الحائري صاحب «منتهى المقال» (المتوفى ١٢١٦ هـ).
٧. الشيخ عبد الصمد الهمداني الشهيد (المتوفى ١٢١٦ هـ).
٨. ولد المحقق البهبهاني الأكبر محمد علي (المتوفى ١٢١٦ هـ).
٩. المولى محمد كاظم الهزار جريبي الشهيد في كربلاء عند هجوم الوهابيين أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٩٥
عام ١٢٣٤ هـ، مؤلف كتاب «إرشاد المنصفين».
١٠. الشيخ محمد هادي الشهرستاني (المتوفى ١٢١٦ هـ).
١١. الميرزا مهدي بن هداية الله بن طاهر الخراساني الشهيد (المتوفى ١٢١٨ هـ).
١٢. السيد ميرزا مهدي القاضي الطباطبائي (المتوفى ١٢٢٢ هـ).
١٣. السيد جواد العاملي (المتوفى ١٢٢٦ هـ) مؤلف الموسوعة الفقهية الشهيرة المسماة «مفتاح الكرامة» في عشرة أجزاء.
١٤. الشيخ جعفر كاشف الغطاء (المتوفى ١٢٢٧ هـ) مؤلف «كشف الغطاء».
١٥. الميرزا أبو القاسم القمي (المتوفى ١٢٣١ هـ) مؤلف كتاب «قوانين الأصول».
١٦. السيد علي الطباطبائي صاحب الموسوعة الفقهية المسماة بـ «رياض المسائل» (المتوفى ١٢٣١ هـ).
١٧. السيد مير محمد حسين بن مير عبد الباقي (المتوفى ١٢٣٣ هـ).
١٨. السيد دلدار علي نصرآبادي الهندي (المتوفى ١٢٣٥ هـ) صاحب كتاب «مسكن الفؤاد» و «دعائم الإسلام» و «الشهاب الثاقب».
١٩. الشيخ أسد الله التستري الدزفولي الكاظمي صاحب كتاب «كشف القناع» و «المقابس» (المتوفى ١٢٣٧ هـ).
٢٠. عبد الحسين الابن الثاني للوحيد (المتوفى ١٢٤٠ هـ).
٢١. السيد ميرزا يوسف التبريزي (المتوفى ١٢٤٢ هـ).
- أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٩٦
٢٢. السيد محمد حسن الزنوزي الخوني (المتوفى ١٢٤٦ هـ) مؤلف كتاب «رياض الجنة» و «دوائر العلوم».
٢٣. شمس الدين بن جمال الدين البهبهاني (المتوفى ١٢٤٧ هـ).
٢٤. السيد محمد القصير الخراساني (المتوفى ١٢٥٥ هـ).
- هذه كوكبة زاهرة من تلاميذ المحقق البهبهاني.
ثم أعقبهم جيل آخر كانوا من تلامذة تلاميذه أمثال:
١. السيد محسن الأعرجي (المتوفى ١٢٢٧ هـ) مؤلف كتاب «المحصول في الأصول».
٢. شريف العلماء محمد شريف بن حسن علي (المتوفى ١٢٤٥ هـ).
٣. المولى أحمد النراقي (المتوفى ١٢٤٥ هـ) صاحب الموسوعة الفقهية المسماة بـ «مستند الشيعة».
٤. الشيخ محمد نقي عبد الرحيم (المتوفى ١٢٤٨ هـ) مؤلف كتاب «هداية المسترشدين في شرح أصول معالم الدين».
٥. السيد عبد الفتاح المراغي (المتوفى نحو ١٢٥٠ هـ) مؤلف «عناوين الأصول» في القواعد الفقهية في جزئين.
٦. السيد محمد باقر الشفتي الاصفهاني (المتوفى ١٢٦٠ هـ) مؤلف كتاب «مطالع الأنوار في شرح شرائع الإسلام» المطبوع.
٧. الشيخ محمد إبراهيم بن محمد حسن الخراساني الأصفهاني المعروف بالكلباسي (١١٨٠ - ١٢٦١ هـ) مؤلف كتاب «إشارات الأصول» في مجلدين.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٩٧

٨. السيد إبراهيم القزويني (المتوفى ١٢٦٤ هـ) - صاحب «ضوابط الأصول».

٩. الشيخ محمد حسن بن محمد باقر (المتوفى ١٢٦٦ هـ) - صاحب «جواهر الكلام».

إلى غير ذلك من الأعلام الذين بذلوا جهودهم في إرساء دعائم الفقه وإحياء النهج الاجتهادي، ولكل آثار و كتب و موسوعات. وقد اقتصرنا على ذكر أسمائهم محيلين ترجمتهم إلى كتاب طبقات الفقهاء الذي أخذ على عاتقه ترجمه هؤلاء الأعلام.

مميزات الدور السادس

لقد تبين مما ذكرنا مميزات هذا الدور وأهمها:

١. تصعيد النشاط الفقهي، و مكافحة الرجعية و الجمود، و إعادة العقل إلى ساحة الاستدلال، و إحياء الدور الذي قام به المحقق الأول و من أعقبه خصوصاً المحقق الثاني و المحقق الأردبيلي - قدس الله سرهم -.
٢. ظهور ابتكارات أصولية على يد الوحيد البهبهاني، سار على ضوئها تلامذته في كتبهم الأصولية و الفقهية ك- «رياض المسائل» للسيد علي الطباطبائي و «قوانين الأصول» للميرزا القمي و «المستند» لأحمد النراقي.
٣. تم في هذا الدور القضاء على الأخبارية و أفكارها و تقلص نشاطها و لم يبق منهم إلا النزر اليسير. و استطاع المحقق البهبهاني أن يغير وجهه نظر زعيم الأخباريين في عصره،

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٩٨

فقد بدأ الشيخ يوسف البحراني يميل إلى مدرسة الأصوليين شيئاً فشيئاً حتى أنه أخذ يقول في المقدمة الثانية عشرة من مقدمات الحدائق:

و قد كنت في أول الأمر انتصر لمذهب الأخباريين، و قد أكثرت البحث فيه مع بعض المجتهدين من مشايخنا المعاصرين، إلا أن الذي ظهر لي بعد إعطاء التأمل حقه في المقام، و إمعان النظر في كلام علمائنا الأعلام هو إغماض النظر عن هذا الباب و إرخاء الستر دونه و الحجاب، و إن كان قد فتحه أقوام و أوسعوا فيه دائرة النقض و الإبرام. أما أولاً: فلاستلزامه القدح في علماء الطرفين.

و أما ثانياً: فلأن ما ذكره في وجوه الفرق بينهما جلّه بل كلّه عند التأمل لا يثمر فرقاً.

و أمياً ثالثاً: فلأن العصر الأول كان مملوءاً من المحدثين و المجتهدين، مع أنه لم يرتفع بينهم صيت هذا الخلاف، و لم يطعن أحد منهم على الآخر بالاتصاف بهذه الأوصاف.

و لم يرتفع صيت هذا الخلاف و لا وقوع هذا الاعتساف إلا من زمن صاحب «الفوائد المدنية» سامحه الله تعالى برحمته المرضية، فإنه قد جرد لسان التشيع على الأصحاب، و أسهب في ذلك أي إسهاب، و أكثر من التعصبات التي لا تليق بمثله من العلماء الأطياب.

و لأجل الوقوف («١») على العناية التي أولها المحقق البهبهاني على إزالة الفكرة، فقد كانت المناظرة بينه و بين صاحب الحدائق على قدم و ساق، يحكى المحدث القمي عن الحاج كريم أحد سدة الروضة الحسينية المقدسة أنه كان يقوم بخدمة

(١) الحدائق الناضرة: ١/١٦٧ - ١٧٠.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٢٩٩

الحرم في شبابه، و ذات ليلة التقى بالشيخ يوسف البحراني و الوحيد البهبهاني داخل الحرم و هما واقفان يتحاوران، و طال حوارهما حتى حان وقت إغلاق أبواب الحرم، فانتقلا إلى الرواق المحيط بالحرم، و استمرا في حوارهما و هما واقفان، فلما أراد السدنة إغلاق

أبواب الرواق انتقلا- إلى الصحن و هما يتحاوران، فلما حان وقت إغلاق أبواب الصحن انتقلا خارج الصحن من الباب الذي يفتح على القبلة، و استمرا في حوارهما و هما واقفان، فتركهما و ذهب إلى بيته و نام، فلما حلّ الفجر و رجع إلى الحرم صباح اليوم الثاني سمع صوت حوار الشيخين من بعيد، فلما اقترب منهما وجدتهما على نفس الهيئة التي تركهما عليها في الليلة الماضية مستمرين في الحوار و النقاش، فلما أذن المؤذن لصلاة الصبح رجع الشيخ يوسف إلى الحرم ليقم الصلاة جماعة، و رجع الوحيد البهبهاني إلى الصحن و افترش عباءته على طرف مدخل باب القبلة، و أذن و أقام و صلى صلاة الصبح.

٤. تأليف موسوعات في علم الأصول قام بها جملة من فطاحل العلماء كالميرزا القمي صاحب «قوانين الأصول» و الشيخ محمد تقي الأصفهاني صاحب «الحاشية على المعالم». و السيد إبراهيم القزويني صاحب «الضوابط»، و الشيخ محمد إبراهيم الكلباسي مؤلف «إشارات الأصول».

٥. ظهور موسوعات فقهية كبيرة ك- «معتمد الشيعة في أحكام الشريعة» للشيخ مهدي النراقي و «مستند الشيعة في أحكام الشريعة» للشيخ أحمد النراقي و «جواهر الكلام» للشيخ محمد حسن النجفي، و بعين الله أن ما ألفه هؤلاء الأقطاب الثلاثة تعد موسوعات فقهية لم ير الزمن مثلها إلى أعصارهم، فقد طبع الجواهر في ٤٢ جزءاً، كما طبع «مستند الشيعة» يناهز عشرين جزءاً، و أمّا «المعتمد» فقد طبع في جزءين كبيرين رحلّين عسى أن يقبض الله سبحانه أصحاب الهمم لتحقيقه و عرضه في أسلوب أنيق.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٠٠

المراكز العلمية في الدور السادس

كانت للشيعة يومذاك حوزات علمية عامرة في مناطق مختلفة، فكانت حوزة أصفهان ذات نشاط كبير، تخرج منها علماء أفذاذ، ذوو اختصاصات مختلفة، و قد مرّ أنّ المحقق البهبهاني كان أصفهانياً، و إنّما أطلق عليه البهبهاني نظراً لمكثته الطويل في مدينته بهبهان أحد معاقل الأخباريين يومذاك.

و قد انقضت الدولة الصفوية عام ١١٣٥ هـ- في هذا الدور على يد الأفاغنة، و أوجدت قلاقل و اضطرابات لم تدم طويلاً حتى تسلمت الدولة الزندية زمام الأمور، و دامت إلى أواخر القرن الثاني عشر.

و تليها حوزة شيراز حيث عجت بالأصوليين و الأخباريين و الرياضيين و الحكماء و الفلاسفة.

و مع أنّ نور العلم لم يطفأ في سائر المراكز كجبل عامل و حلب و خراسان، إلّا أنّ حوزة كربلاء و النجف قد نشطت من بينها و صعدت من جهودها.

و قد تقلص النشاط الأخباري و انحصر في البحرين و القطيف و الأحساء حيث يشاركون الأصوليين في جميع المواقف و ينتفعون بوسائل الحياة العصرية كما ينتفع منها الأصوليون مع أنّ الأصل عندهم هو الحظر إلّا أنّ يقوم دليل على الحلية.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٠١

أدوار الفقه الإمامي

٧

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٠٣

الدور السابع عصر الإبداع و التطور الفقهي (١٢٦٠-١٤١٤هـ-)

مرتضى الأنصاري رائد الحركة الفكرية

إشارة

إنَّ الحركة العلمية التي قادها رائد الفكر و التحقيق المحقق البهبهاني خلفت وراءها أجيالاً من العلماء الفطاحل، و تراثاً علمياً ضخماً في مجالى الفقه و الأصول، و قد مرَّ أن ثلثة من تلامذته ألفوا موسوعات فقهية و أصولية دحضوا بها حجج الأخباريين الباطلة، و مهّدوا الطريق لظهور حركة علمية جديدة تتمتع بالاستضاءه من التراث العلمى الذى خلفه المحقق البهبهاني و تلامذته مع إبداع أسلوب جديد فى الأصول و الفقه، و رائد هذه الحركة الجديدة- و إن كان فى الحقيقة استمراراً للنهج العلمى الذى قاده البهبهاني- هو الشيخ المحقق المدقق مرتضى بن محمد أمين المعروف بالأنصارى، الذى ولد عام ١٢١٤ هـ- فى بلدة دزفول، و تعلّم الدروس الابتدائية فى موطنه، ثم شرع فى الأصول و الفقه، و نال مرتبة سامية فيها، و لم تقنع نفسه بما تعلّم فيه، فأعدّ العدة مع والده لزيارة العتبات المقدّسة عام ١٢٣٢ هـ- و له من العمر آنذاك ١٨ سنة، فورد كربلاء المقدّسة يوم كانت تعجّ حوزتها العلمية بفضلاء و علماء كبار و على رأسهم العلمان الجليلان:

١. السيد محمد بن السيد على المعروف ب- «السيد المجاهد» (المتوفى

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٠٤

١٢٤٣ هـ-) مؤلّف كتاب «المناهل فى الفقه».

٢. الشيخ محمد شريف العاملى المازندراني المعروف ب- «شريف العلماء» (المتوفى ١٢٤٥ هـ-).

فمكث الشيخ فى كربلاء أربع سنين تردّد خلالها إلى حلقات دروس العلمين الجليلين إلى أن احتل والى بغداد مدينة كربلاء المقدّسة، فغادر الشيخ مهجره و نزل الكاظمية، و بقى فيها سنة واحدة، ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف، فحضر هناك دروس المحقق الشيخ موسى كاشف الغطاء قرابة سنتين.

ثمّ غادر العراق متوجّهاً إلى موطنه عام ١٢٣٩ هـ-، فمكث فيها مدّة قليلة، ثمّ جاب مدن إيران للاستفادة من علمائها.

ينقل لنا التاريخ أنّه بدأ برحلته العلمية من دزفول و نزل فى مدينة بروجرد، فحضر بحث الشيخ أسد الله البروجردى (المتوفى ١٢٧٠ هـ-) مؤلّف كتاب «فوائد الأحكام» فأقام فيها شهراً تاماً لم يجد فيها بغيته، فغادرها متوجّهاً إلى أصفهان يوم كان زعيمها العلمى هو السيد محمد باقر الشفتى (المتوفى ١٢٦٠ هـ-) و قد جرت بينه و بين الشيخ مباحثات و مناظرات وقف من خلالها السيد، على عظمة الشيخ و مكانته و سمو منزلته، فطلب منه الإقامة فى أصفهان و إلقاء المحاضرات فيها، لكن الشيخ رجح أن يغادرها ليواصل رحلته العلمية حتى هبط بلدة كاشان التى كان زعيمها العلمى يومذاك هو الشيخ أحمد النراقى (المتوفى ١٢٤٥ هـ-) مؤلّف كتاب «مستند الشيعة فى أحكام الشريعة» و قد وجد فى محاضراته ضالته، فمكث فيها أربع سنين حضر خلالها دروسه و نبغ فى الفقه و الأصول على يديه. كما اشتغل بالتأليف و التصنيف.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٠٥

و لما عزم الشيخ على مغادرة كاشان عام ١٢٤٤ هـ- نال من أستاذه الرؤوف إجازة مفصلة أدّى فيها حقّ الشيخ، ثمّ واصل رحلته العلمية إلى مشهد الرضا (عليه السلام)، فبقى هناك مدّة ثمّ رجع قافلاً إلى العراق، فهبط النجف الأشرف عام ١٢٤٦ هـ-، و كانت يومذاك المدرسة الكبرى للشيعة، و كانت الرئاسة العلمية على عاتق العلمين الجليلين الكبيرين:

١. الشيخ على بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء (المتوفى ١٢٥٤ هـ-).

٢. الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر (المتوفى ١٢٦٦ هـ-).

و قد حضر دروس الشيخ كاشف الغطاء إلى أن استقل بالتدريس و طار صيته فى أوساط النجف العلمية، و أقبل على دروسه بشغف، العديد من العلماء و الفضلاء، و اشتهر بالنبوغ و التفوق العلقى.

و لما لبى الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر نداء ربه عام ١٢٦٦ انتخب الشيخ بإيصاء منه مرجعاً للشيعة خضعت له القلوب و

الأفكار، و انتقلت الزعامة العلمية إليه بلا منازع، وقام بأعبائها بحزم و حكمة و إرادة صلبة إلى أن لبي نداء ربه ليلة الثامن عشر من شهر جمادى الأولى من شهر عام ١٢٨١ هـ.

هذه الإمامة عابرة، و عرض خاطف لحياء الشيخ الأعظم الذي كرس حياته في التدريس و التأليف، و إعداد الفضلاء، و تربية المجتهدين، و إرساء دعائم النهضة العلمية الحديثة التي تعد بحق ثورة علمية كبرى قلما أتفق نظيرها في العصور السابقة، و قد حفلت كتب التراجم بالثناء عليه و إطرائه و خدماته الجليلة، و تلامذته، و التراث الذي تركه و قد أفردنا رسالة في ترجمته (قدس سره).
أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٠٦

إبداعاته العلمية

ترك الشيخ آثاراً جليلة لم يزل بعضها مداراً للتدريس في الحوزات العلمية، و أخص بالذكر كتابين قيمين وهما للشيخ خلوداً في التاريخ، هما:

الأول: كتاب «الفرائد» المشهور بالرسائل، و هو يضم رسائل مختلفة تبحث عن أحكام القطع و الظن، ثم تحدّد مجرى أصل البراءة و الاشتغال، و تتطرق إلى مبحث الاستصحاب، ثم إلى أحكام التعادل و التراجيح، و قد علق عليه تعليقات كثيرة تربو على سبعين تعليقه. و الحق أن الشيخ خدم العلم و أهله بهذا الكتاب القيم خدمة عظيمة لما قدم لأبناء جيله من أفكار.
١. تحرير أحكام القطع و الظن، و قد قسم الظن إلى ظن خاص و ظن مطلق، و أعطى لكل حكمه.
٢. قام في رسالة البراءة و الاشتغال بتبيين مجاريهما، و قد كانت غير منقحة و مهذّبة في كلمات السابقين، و أنهم ربما كانوا يحتجون بالبراءة بدل الاشتغال مع أن المحل كان مجرى للثاني و بالعكس. فهذب الشيخ مجارى الأصلين بوجه لا يختلط أحدهما بالآخر.
٣. قرّر موقف الدليل الاجتهادي من الأصل العملي و بالعكس، و أنّهما لا يُحتجّان بهما معاً و إن كان مضمونهما واحداً.
و هذا الأمر و إن كان موروثاً عن المحقق البهبهاني إلا أن الشيخ بعقليته الخلاقة طرح تقسيماً جديداً لتقديم الدليل الاجتهادي على الأصل العملي، و أسماها بالشكل التالي: التخصيص و التقيد، الحكومة، الورد.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٠٧

٤. قام في رسالة الاستصحاب بعقد تنبيهات بعد الفراغ من إثبات حجته عن طريق الأخبار، أودع فيها أفكاره الأكار و آراءه البديعة، فمن راجعها يقف على أنه المؤسس لكثير من القواعد الواردة فيها و إن كان لبعضها خلفيات في كلمات المتقدمين عليه. و خلاصة الكلام أنه (قدس سره) أحدث الإبداعات التالية:

١. مبحث الاستصحاب الكلي.

٢. مبحث الاستصحاب التعليقي.

٣. مبحث الأصل المثبت.

٤. مبحث بقاء الموضوع في المستصحب.

٥. مبحث دوران الأمر بين التمسك بالعام أو استصحاب حكم المخصّص.

٦. مبحث تقدّم الأصل السببي على المسببي.

و بعين الله أن ما استعرضه في هذه الفصول الستة تعد أفكاراً أكاراً لم تقرط بها اذن الدهر قبل ذلك.

الثاني: كتاب «المكاسب»، هذا هو الكتاب الثاني الذي تدور حوله حلقات الدراسة و البحث في الحوزات العلمية الشيعية. يبحث فيه عن أحكام المكاسب المحرمة بأنواعها المختلفة:

ثم عن أحكام البيع بمختلف فصوله.

ثم عن أحكام الخيارات بأقسامها المختلفة.

ثم عن الشروط الشرعية وغيرها.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٠٨

ثم عن أحكام القبض والنقد والنسيئة.

ففيها دقائق علمية تعرب عن أن الكتاب وليد فكر خارق العادة، والمؤلف لا يغوص في بحار الفقه إلّا و يخرج بالدرر و الدراري و الجواهر الثمينه، و قد قال الدكتور السنهوري في حقّه: لو وقفت على كتاب «المكاسب» للشيخ الأنصاري قبل تأليفه لكتاب الوسيط لغيرت كثيراً من الأسس التي بنيت عليها، و للكتاب تعاليق ربما تربو على ٣٠ تعليقه، أفضلها تعليقه السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي (المتوفى ١٣٣٧ هـ).

و الكتاب لم يزل محور الدراسات في الأصول و المعاملات إلى يومنا هذا أودع فيه حصيلة أفكاره و إبداعاته.

قال المحدّث النوري و هو أحد تلاميذه: قد عكف على كتبه و مؤلفاته و تحقيقاته كل من نشأ بعده من العلماء الأعلام و الفقهاء الكرام الذين صرفوا همهم و بذلوا جهودهم و حبسوا أفكارهم فيها و عليها. («١»)

تلاميذه

إشارة

كان الشيخ يلقي دروسه في الجامع الهندي في النجف الأشرف، و يغص فضاؤه بما ينوف على الأربعمائه من العلماء و الطلاب، و قد تخرج عليه عدد كبير من الفقهاء و المجتهدين الذين تسلّموا منصب الرئاسة العلمية و الزعامة الدينية فيما بعد، و قد أنهى بعضهم أسماء تلاميذه فبلغوا ٣١٥ مجتهداً عالماً، و سنشير هنا إلى أسماء مشاهيرهم الذين لعبوا دوراً هاماً في حفظ التراث الفكري الذي خلفه الشيخ الأنصاري و تطويره و إكماله و هم كثيرون.

(١) مستدرک الوسائل: ٣ / ٣٩٢.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٠٩

١. السيد حسين الكوهكمري (المتوفى ١٢٩٩ هـ -)

هو السيد حسين بن السيد محمد بن السيد حسن بن السيد حيدر التبريزي الكوهكمري، تلقى المقدمات في بلدة تبريز، و حضر بحوث العلامة الميرزا أحمد المجتهد التبريزي، ثم غادرها صوب النجف الأشرف فحضر بحث الأعلام الثلاثة:

أ. الشيخ محمد حسين الاصفهاني (المتوفى ١٢٤١ هـ -) المعروف بصاحب «الفصول».

ب. السيد إبراهيم القزويني (المتوفى ١٢٤٤ هـ -) صاحب «الضوابط».

ج. الشيخ محمد حسن النجفي (المتوفى ١٢٤٦ هـ -) صاحب «الجواهر».

ثم لازم بحوث شيخنا الأنصاري و صار من أقرب تلامذته و قد استقل بالتدريس بعد رحيل أستاذه إلى أن صار مشاراً إليه بالبنان و كان يحضر مجلس درسه عدد غفير من العلماء الفضلاء يتجاوز ٦٠٠، بين فاضل و عالم، و من أفاضل تلامذته العلامة الشيخ موسى التبريزي (المتوفى ١٣٠٧ هـ -) مؤلف كتاب «أوثق الوسائل في شرح الرسائل» و العلامة الشيخ محمد حسن المامقاني (المتوفى ١٣٢٣ هـ -) مصنف «الذرائع» و التعليقة على المكاسب.

تُوفى السيد الكوهكمري عام ١٢٩٩ هـ - وله من الآثار: كتاب «الإجارة»، كتاب «الإرث»، «الحج»، «الزكاة»، «الصلاة»، «القضاء»، «مقدمة الواجب»، و «الاستصحاب».

٢. السيد المجدد الشيرازي (١٢٣٠ - ١٣١٢ هـ)

السيد المجدد ميرزا حسن الشيرازي الذي كان من أشهر تلامذة شيخنا أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣١٠

الأنصاري، و صار زعيماً للطائفة بعد رحيله، ولد في مدينة شيراز عام ١٢٣٠ هـ - بدأ فيها بتعلم المقدمات، ثم غادر مسقط رأسه متوجهاً إلى أصفهان عام ١٢٤٨ هـ - و حضر هناك درس الشيخ محمد تقى الاصفهاني صاحب «هداية المسترشدين» و الشيخ محمد إبراهيم الكلباسي مؤلف كتاب «الإشارات»، ثم غادرها إلى النجف الأشرف عام ١٢٥٩ هـ - فحضر بحوث الشيخ حسن كاشف الغطاء و الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، و لما لبى صاحب الجواهر دعوة ربّه عام ١٢٦٦ هـ - اتجهت الأنظار صوب الشيخ الأنصاري فالتحق به و حضر دروسه و لازمه حتى ارتحل الشيخ إلى جوار ربّه عام ١٢٨١ هـ - و لم يلبث حتى صار مرجعاً دينياً و أستاذاً في الفقه و الأصول، التف حوله عدد غفير من الفضلاء و من يشار إليهم بالبنان، و على أثر نشوب القلاقل و الفتن غادر السيد النجف الأشرف و ألقى الرحل في سامراء، فأسس فيها حوزة علمية كبيرة تقاطر إليها الفضلاء و العلماء من كل صوب و حذب، و ذاع صيته في الأوساط الإسلامية.

تخرّج على يديه لفييف من المجتهدين الذين ساروا على نهجه و صاروا مراجع للفتيا و أساتذة للفقه و الأصول فيما بعد. و لم يترك تأليفاً في الفقه و الأصول، و اعتذر عن ذلك بأنّ في كتب أستاذه الشيخ الأنصاري غنى و كفاية، و لكن دونت له تقارير و محاضرات نشرت بعضها.

٣. ميرزا أبو القاسم النوري الطهراني (١٢٣٦ - ١٢٩٢ هـ)

هو الشيخ أبو القاسم النوري الطهراني، رجل العلم و الفضيلة، و القلم و البيان، الأوحدي في تلاميذ شيخنا الأنصاري، حضر مبحثه سنين متمادية إلى أن بعثه أستاذه إلى طهران بغية إقامة الدروس و المحاضرات فيها، و لما هبط العاصمة أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣١١

اشتغل بمهمته و ربّى جيلاً فيها، و له من الآثار «مطرح الأنظار» الذي هو تقرير لبحوث أستاذه الأصولية في مباحث الألفاظ. و كوّن هذا الكتاب إذا ضم إلى كتاب «الفرائد» دورة أصولية كاملة، توفي عام ١٢٩٢ هـ - و رثاه ولده العلامة الميرزا أبو الفضل الطهراني بقصيدة مطلعها:

دع العبث و الآمال و اطو الأمانيا** *فما أنت طول الدهر و الله باقيا
رمى الدهر من سهم النوائب ماجداً** *أعز كريماً طاهر الأصل زاكيا

٤. ميرزا حبيب الله الرشتي (١٢٣٤ - ١٣١٢ هـ)

هو الشيخ حبيب الله بن محمد على الرشتي، أحد الأكابر من تلاميذ شيخنا الأنصاري، تلقى دروسه في مسقط رأسه رشت، ثم ارتحل إلى قزوین، فمكث فيها مدة حتى برز في الفقه و الأصول، ثم غادرها إلى النجف الأشرف فحضر درس صاحب الجواهر، و لما توفي أستاذه تردّد إلى أندية دروس شيخنا الأنصاري، و قد وقف على منزلته و مكاتته في العلم و لازمه طيلة عمره، و لما لبى شيخنا

الأنصاري دعوة ربّه استقل بالتدريس والتأليف، و له آثار في الفقه و الأصول أهمها:

١. «بدائع الأصول» في أصول الفقه مطبوع.

٢. «المشتق» مطبوع أيضاً.

٣. «القضاء و الشهادات» طبع في جزءين.

٤. «الإجارة» طبع في جزء واحد. («١»)

(١) له ترجمة ضافية في مقدّمه كتابه «القضاء» بقلم السيد أحمد الحسيني.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣١٢

٥. الشيخ محمد حسن الآشتياني (١٢٤٨ - ١٣٢٠ هـ -)

هو الشيخ محمد حسن بن جعفر الآشتياني الطهراني من تلامذة شيخنا الأنصاري، و من مشاهير علماء طهران و أعلمهم في عصره. ولد في ناحية آشتيان حدود ١٢٤٨ هـ، فتعلم القراءة و الكتابة، ثم انتقل إلى بروجرد و كانت يومذاك دار العلم، و بقي فيها أربع سنين، ثم غادرها إلى النجف الأشرف، و حضر هناك دروس العلّامة الأنصاري و لازمه طيلة عمره. و لما ارتحل أستاذه غادر النجف الأشرف و هبط طهران العاصمة، و أصبح فيها زعيماً و مدرّساً كبيراً، عكف على دروسه عدد غفير من روّاد العلم.

و من آثاره العلمية: تعليقه على الرسائل المطبوع باسم «بحر الفوائد» و هو أحد الثلاثة - بعد الشيخ أبي القاسم كلانتر و المجدّد الشيرازي - الذين نشروا أفكار شيخنا الأنصاري و حقّقوها و بيّنها.

٦. الشيخ محمد رضا الهمداني (١٢٥٠ - ١٣٢٢ هـ -)

الشيخ محمد رضا بن الشيخ محمد هادي الهمداني النجفي، من أجلمة الفقهاء الورعين، و من الأصوليين المحقّقين، و من مشاهير فقهائنا العظام، أخذ المبادئ و السطوح في مدينة همدان، ثم غادرها إلى النجف الأشرف، فحضر دروس شيخنا المحقّق الأنصاري، ثم السيد محمد حسن المجدّد الشيرازي.

يعرّفه شيخنا الطهراني بقوله: كان من أجلة الفقهاء، هاجر إلى سامراء، فلازم درس السيد المجدّد الشيرازي سنين طوال إلى أن عاد إلى النجف في حياة أستاذه، فالتف حوله جمع من أهل الفضل و اشتغل بالتدريس و التأليف، و كان ذا

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣١٣

اطّلاع واسع في الفقه و أصوله. («١»)

و يعد كتابه «مصباح الفقيه» الذي كتبه شرحاً مزجياً على كتاب «شرائع الإسلام» للمحقّق الحلّي، من جلائل الكتب في الفقه الاستدلالي في القرن الرابع عشر، و لا تجد له مثيلاً بين ما أُلّف في هذا القرن؛ خرج منه كتاب الطهارة و الصلاة و الزكاة و الخمس و كتاب الصوم و الرهن، و هو في باب العبادات يعادل كتاب المكاسب في المعاملات.

و لعمر القارئ أنّ شيخنا المحقّق الهمداني جمع بين عبودية القلم و وضوحه، و الدقّة و العمق في الموضوع، فالقارئ كلّمًا يسير في رياضته و يسبح في حياضه لا - يكمل و لا يمل، و كأنّه يتكلّم مع القارئ بلسان ذلق و بيان واضح مع التدقيق و التحقيق، و الكتاب من حسنات الدهر، يعد محوراً للبحوث العليا في الفقه. و كان سيدنا المحقّق البروجردي يعظّمه و يجلّله و يثنى عليه في دروسه. و له وراء

المصباح كتب أخرى أهمها تعليقه على الفرائد، و قد طبع في جزء واحد.

٧. السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي («٢») (١٢٤٧-١٣٣٧هـ-)

هو السيد محمد كاظم بن السيد عبد العظيم الطباطبائي اليزدي النجفي، أحد الفقهاء الكبار في القرن الرابع عشر، و المرجع الديني الأعلى بعد رحيل شيخنا المحقق الخراساني، تلمذ على يد الشيخ محمد باقر بن الشيخ محمد تقي صاحب الحاشية على المعالم في أصفهان إلى أن غادرها عام ١٣٨١هـ- إلى النجف الأشرف، و قد وصل إليه نعي شيخنا الأنصاري و هو في طريقه إلى النجف، فحضر بحث

(١) نقيب البشر: ٢/ ٧٧٦.

(٢) كان المفروض تأخير ترجمته على ترجمة المحقق الخراساني، و لمّا كان للثاني دور فعال في تخريج جيل من العلماء الفطاحل آثرنا تأخير ترجمته الثاني ليتسلسل ترجمة الأستاذ و تلاميذه.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣١٤

السيد المجدد الشيرازي، و استقل بالتدريس بعد رحيله، و كان معاصراً للشيخ الهمداني، و قد تألق نجمهما في سماء الفقه.

و قد ترك في الفقه تراثاً فكرياً قيماً، نشير إلى قسم من تأليفه:

أ. تعليقه على مكاسب الشيخ الأنصاري، طافحةً بالتحقيق و التدقيق، و قد صدر عنه أكثر من علق بعده على مكاسب الشيخ.

ب. العروة الوثقى المشتملة على الفروع التخريجية في الكتب التالية: الطهارة، الصلاة، الصوم، الخمس، الزكاة، الحج، النكاح لم يؤلف مثله، و قد علق عليه كل من جاء بعده.

ج. التكملة على العروة الوثقى في جزئين، و هو كتاب استدلالى يبحث في القضاء على وجه التفصيل و يشتمل على كتب فقهية أخرى من كتب المعاملات.

توفي (رحمه الله) عام ١٣٣٧هـ- في النجف الأشرف، و دفن في الصحن الحيدري.

٨. المحقق الخراساني (١٢٥٥-١٣٢٩هـ-)

هو الشيخ محمد كاظم الخراساني الهروي، ولد عام ١٢٥٥هـ-، و اشتغل في خراسان بتعلم المقدمات، ثم انتقل إلى مدينة سبزوار للاستضاءة من دروس الحكيم المتأله الشيخ محمد هادي السبزواري (المتوفى ١٢٧٨هـ-)، فبقى هناك مدة إلى أن أعدّ العدة للسفر إلى النجف الأشرف، فحضر بحوث العلامة الأنصاري، و لمّا لبى الأستاذ دعوة ربّه حضر بحوث السيد المجدد الشيرازي.

و يعد شيخنا هذا الحلقة الأخيرة من تلامذة الشيخ الأنصاري، و هو في الوقت نفسه أضاف إلى ما استفاده من أفكار شيخه الأنصاري، إبداعات و ابتكارات جديدة جعلته صاحب منهج متكامل في الأصول، و صاحب مدرسة

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣١٥

خاصة به، و لو لا ان إبداعاته قد اقتضت على الأصول و لم تشمل الفقه إلّا شيئاً يسيراً لجعلناه مبدأ دور جديد.

كان شيخنا المحقق الخراساني من أعظم المدرسين يحضر في محاضراته أكثر من ألف طالب، كما ذكره شيخنا الطهراني في «الذريعة» («١») حيث قال: و قد سمعت ممّن أحصى تلاميذ شيخنا الأستاذ الأعظم المولى محمد كاظم الخراساني في الدورة الأخيرة أنّه زادت عدّتهم على الألف و المائتين، و كان كثير منهم يكتب تقاريره، و رأيت تقاريرهم الكثيرة في الكراريس و المجلدات.

و لقد خلف شيخنا الخراساني ثروة علمية، منها: «كفاية الأصول» الذي عليه محور البحث و الدراسة في الحوزات العلمية، و قد كتب عليها تعليقات و شروح كثيرة.

و تلاه تعليقاته على الرسائل، و تعليقاته على المكاسب، و الكتاب الثالث يتمتع بتحقيق رائع و عمق واسع. ابداعاته الأصولية

ثم إن شيخنا المحقق الخراساني يتفق مع شيخه الأنصاري في قسم من المسائل فمثلاً: اتفق معه في عدم صحته أخذ قصد الأمر في متعلقه، لمشاكل في الأخذ، و لكن يختلف معه في كثير من المباحث الآتية:

١. ان الشرط في الواجب المشروط قيد للهيئة عند المحقق الخراساني، و هو قيد للمادة عند شيخنا الأنصاري.
٢. العام بعد التخصيص مجاز عند الشيخ الأنصاري، و هو حقيقة عند

(١) الذريعة: ٣٦٦/٤، مادة التقريرات.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣١٦

المحقق الخراساني.

٣. تقوم الأمانة مقام القطع الموضوعي الطريقي بنفس دليل حجيتها عند الشيخ الأنصاري، و ليس كذلك عند المحقق الخراساني.

٤. الأصول العملية لا- تجرى في أطراف العلم الإجمالي عند الشيخ الأنصاري لاستلزامه وجود التناقض في دليلها، أعني قوله (عليه السلام): «لا تنقض اليقين بالشك و لكن انقضه بيقين آخر».

و ليس كذلك عند المحقق الخراساني، فهو يشاركه في عدم الشمول، لكن لا لأجل التناقض في مدلول دليل الاستصحاب بل لأجل تعارض الأصلين.

٥. يفسر الشيخ الأنصاري الإمكان في قولهم إمكان التعييد بالأمارات بالإمكان الاحتمالي، بينما المحقق الخراساني يفسره بالإمكان الوقوعي بمعنى عدم ترتب المفسدة على إمكان التعبد به.

٦. الاستصحاب عند الشيخ الأنصاري حجة في الشك في الرفع، و ليس حجة في الشك في المقتضى، و لكنه حجة مطلقاً عند المحقق الخراساني.

٧. الأحكام الوضعية انتزاعية عند شيخنا الأنصاري كالسببية و الشرطية و الجزئية و المانع، و لكنها على أقسام ثلاثة عند المحقق الخراساني.

٨. ان الشيخ الأنصاري يقسم المكلف الملتفت إلى أقسام ثلاثة: قاطع، و ظان، و شاك في الحكم؛ بينما المحقق الخراساني جعل التقسيم ثنائياً لا ثلاثياً، و ذلك لأن الظن لو كان حجة يدخل تحت القطع بالحكم الظاهري، و إن لم يكن حجة يدخل تحت الشك. إلى غير ذلك من الفروق بين الأستاذ و التلميذ في الآراء و المباني.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣١٧

انتقل شيخنا المحقق الخراساني إلى رحمة الباري أواخر عام ١٣٢٩ هـ، و لكنه ربي جيلًا كبيراً من فطاحل الفقه و الأصول، و لكل دور فعال في تطوير الفقه و الأصول.

٩. ميرزا محمد حسين النائيني (١٢٧٤-١٣٥٥ هـ)

أحد أقطاب العلم في النجف الأشرف، و رافع راية الاجتهاد بعد رحيل أستاذه المحقق الخراساني، و قد استقل بالتدريس و إلقاء

المحاضرات بعد رحيله قرابة ربع قرن، فتخرج على يديه جمع غفير حملوا أفكاره و صاروا مراجع للعلم و الفكر بعده. ترك شيخنا النائيني تراثاً علمياً إما بقلمه الشريف، كرسالة «في حكم اللباس المشكوك» أو بقلم تلامذته، فإن أكثر أفكاره في الفقه و الأصول دوّنت بقلم لفييف منهم، و من تلك الآثار:

أ. «فوائد الأصول» بقلم الشيخ محمد علي الكاظمي (١٣٠٩-١٣٦٥ هـ) في أربعة أجزاء.

ب. «أجود التقريرات» بقلم المرجع الديني الأعلى السيد أبو القاسم الخوئي (١٣١٧-١٤١٣ هـ) في جزئين.

ج. «منية الطالب في أحكام المكاسب» في جزئين بقلم العلامة الشيخ موسى الخوانساري (١٣٠٣-١٣٦٥ هـ).

و قد كانت الحوزات العلمية الشيعية عامرة بفضل أفكار مترجمنا و تلاميذه، و كان السيد الخوئي أحد أبرز تلاميذه إذا جلس على منصة التدريس لا يبدأ بالدرس إلا بعد قراءة الحمد على روح أستاذه المحقق النائيني أداءً لبعض حقوقه.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣١٨

١٠. ضياء الدين العراقي (١٢٧٨-١٣٦١ هـ)

هو الشيخ ضياء الدين بن محمد العراقي النجفي، من أكابر تلاميذ شيخنا المحقق الخراساني، قد عرف بالذكاء المفرط منذ صباه، حضر بحوث أستاذه المحقق الخراساني و علا أمره، و عرف بالتحقيق و التدقيق، تخرج على يده عدد كبير من المجتهدين العظام، منهم: العلامة المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم (١٣٠٦-١٣٩٠ هـ)، و السيد المحقق العلامة السيد حسن البجنوردي (١٣١٦-١٣٩٦ هـ) صاحب كتاب القواعد الفقهية.

ترك شيخنا ثروة علمية في الأصول باسم «المقالات الأصولية»، و دورة فقهية استدلالية، و قد طبع بعض أجزاءها، و هو أحد الأعظم القلائل الذين دوّنوا دورة كاملة في الفقه.

و قد دوّن تلاميذه أفكاره باسم التقريرات، أذكر منهم:

١. «بدائع الأفكار» للعلامة الشيخ ميرزا هاشم الآملي (١٣٢٣-١٤١٤ هـ) في أربعة أجزاء.

٢. «نهاية الأفكار» للعلامة الشيخ محمد تقى البروجردي (١٣١٦-١٣٩١ هـ) و هي دورة كاملة لدروس أستاذه العراقي في الأصول، و طبع منه في حياته المباحث العقلية ضمن الجزءين الثالث و الرابع من الكتاب، ثم طبع الجزءان الأولان في مجلد واحد.

١١. الشيخ محمد حسين الأصفهاني (١٢٩٦-١٣٦١ هـ)

هو الشيخ محمد حسين بن محمد حسن الاصفهاني النجفي من تلامذة شيخنا المحقق الخراساني، و هو حكيم متأله، و أصولي بارع، و فقيه مدقق، عكف

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣١٩

على كتبه و دروسه لفييف من الفضلاء العلماء، و ربّي جيلاً كبيراً، منهم:

الف. السيد العلامة محمد حسين الطباطبائي (١٣٢١-١٤٠٢ هـ) الغني عن الاطراء و التعريف صاحب كتاب «الميزان في تفسير القرآن».

ب. العلامة السيد محمد هادي الميلاني (١٣١٣-١٣٩٤ هـ): كان (رحمه الله) آية في الذكاء و الدقة، و له آثار فقهية مطبوعة و غير مطبوعة، و كان زعيماً علمياً في خراسان منذ هبوطه بها عام ١٣٧١ هـ.

ج. الشيخ محمد رضا المظفر (١٣٢٢-١٣٨٤ هـ).

وقد ترك ثروة علمية نذكر منها ما يلي:

١. «نهاية الدراية في شرح الكفاية» طبع في جزءين.
 ٢. التعليقة على مكاسب الشيخ الأنصاري في جزء واحد.
 ٣. الاجتهاد والتقليد والعدالة.
- إلى غير ذلك من الآثار العلمية المذكورة في ترجمته. (١)

١٢. السيد أبو الحسن الأصفهاني (١٢٨٤ - ١٣٦٥ هـ)

هو السيد أبو الحسن الأصفهاني زعيم الشيعة في وقته، ومن أشهر مراجعهم وفقهائهم، أتقن المقدمات في أصفهان، ثم هاجر إلى النجف الأشرف، وحضر بحث شيخنا المحقق الخراساني، واستقل بالتدريس بعده، ورزق ذاكرة وقادة قلما ير مثله عند أقرانه. ويعد كتابه «وسيلة النجاة» دورة فقهية كاملة، يشمل عامة الكتب الفقهية

(١) له ترجمة ضافية في مقدمة كتابه «تحفة الحكيم» و«الأنوار القدسية» و«تعليقته على المكاسب»، فقد قام الشيخ محمد علي الأردوبادي، والشيخ المظفر بترجمة أستاذهما. أدوار الفقه الإمامي (للسبغاني)، ص: ٣٢٠ غير القضاء والشهادات والحدود والديات، وله حق عظيم على الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وقد تسلّم مقاليد الزعامة في عصر عصيب وزمان كثرت فيه الاضطرابات.

١٣. الشيخ عبد الكريم الحائري (١٢٧٤ - ١٣٥٥ هـ)

إشارة

هو الشيخ عبد الكريم بن محمد جعفر اليزدي الحائري، تلقى المقدمات في مدينة يزد، ثم غادرها إلى النجف الأشرف، فحضر بحث أستاذه السيد محمد الفشاركي (المتوفى ١٣١٥ هـ) والمحقق الخراساني، ثم استقل بالتدريس. ثم إنه (قدس سره) غادر العراق ونزل مدينة أراك عام ١٣١٦ هـ، فمكث فيها إلى سنة ١٣٢٤ هـ، وقد كان لإقامته في تلك المدينة أثر بالغ في تربية جيل جديد للفقه والأصول، ولكنه سرعان ما انتقل إلى النجف الأشرف عام ١٣٢٤ هـ، ولما قامت الحركة الدستورية انشقت عصا الوحدة بين العلماء، فأثر شيخنا مغادرة النجف والإقامة في كربلاء المقدسة البعيدة عن هذه الأجواء السياسية، ولما كثرت عليه الطلبات للعودة إلى «أراك» والقيام بوظيفته الرسالية السابقة غادر الحائر الشريف عام ١٣٣٢ هـ - فهبط مدينة «أراك» وأخذ بالتدريس والتربية إلى عام ١٣٤٠ هـ، وفي هذه السنة غادر المدينة فهبط مدينة قم حيث عزم الإقامة فيها.

جامعة قم و عطاؤها

إنّ مدينة قم المقدسة كانت بلدة عامرة بالعلم والفقه منذ القرن الثاني إلى أواخر القرن الرابع، حيث اكتظت بعباقره الحديث والفقه و

الرجال، و منها انتشر العلم إلى سائر الأمصار.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٢١

فالمحدثون القميون عرفوا في سماء الحديث و الفقه، و كفاك أن إبراهيم بن هاشم، و ابنه علي بن إبراهيم، و أحمد بن محمد بن خالد البرقي، و أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري، و محمد بن أحمد بن عمران الأشعري، و غيرهم من جهابذة الحديث و الفقه خزيجو مدرسة قم، و تركوا مصنفات ثمينه بقيت مصونه عن حوادث الزمان.

لم يبق تألق نجم العلم في هذه البلده على منوال واحد، بل كان له طلوع و غروب مرّة تلو أخرى، إلى أن ساق القضاء رجل العلم و الفضيلة، مثال الزهد و التقوى، آية الله العظمى الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي - قدس الله سره - إليها عام ١٣٤٠ هـ، فقام بتأسيس الحوزة العلمية فيها، و نفّض الغبار عن كاهل حوزتها، و نفث روحاً جديدة في عروقها، في حين كانت رياح الضلال تعصف في أرجاء العالم كله، و وقعت إيران العزيزة في مهب رياحه، لكن شاءت الأقدار الإلهية أن تكون تلك الحوزة العلمية سداً منيعاً أمام التيارات الإلحادية، و تبدأ راسخاً يحول دون الهزة العلمانية، فأضحت مناراً فياضاً يشع نوراً و هداية في قلب الأمة الإسلامية على وجه تمثّل قول أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في حقّ هذه البلده الطيبة: «منها يفيض العلم».

هبط المؤسس آية الله الحائري مدينة قم في ٢٢ من شهر رجب المرجب من شهر عام ١٣٤٠ هـ، و تقاطر رواد العلم إليها من كلّ فج عميق، فانتعش العلم ببركته، و خرّج طليعة من رواد العلم و العلماء إلى أن لبّي نداء ربّه في أواخر سنة ١٣٥٥ هـ، و بذلك فقدت الحوزة العلمية زعيمها و مؤسسها، و لكن دام عطاء الحوزة العلمية على يد تلامذته، فقاموا برعاية الجامعة العلمية بعد رحيله على أحسن ما يرام، و أخذوا بزمام الأمور بعزم سديد، و يد من حديد في جو مشحون بأنواع من المحن و الشدائد التي كادت أن تقلع جذور تلك الشجرة المباركة

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٢٢

الطيبة، و لا غرو أن نذكر أسماءهم إجلالاً للجهود الثمينه التي بذلوها و العناية التي أولوها:

١. آية الله السيد محمد الحجة (١٣٠١ - ١٣٧٢ هـ).

٢. آية الله السيد صدر الدين الصدر (١٢٩٩ - ١٣٧٣ هـ).

٣. آية الله السيد محمد تقى الخوانساري (١٣٠٦ - ١٣٧١ هـ).

و هؤلاء الأقطاب الثلاثة كانوا مراجع العلم و أساتذة الحوزة و زعماءها، صابرين على المحن و الكوارث، غير مكترئين بما يتتابهم من صروف الدهر، و غير الزمان، مجابهين ضوضاء الباطل بحكمة عملية و عظة بالغه. و في الختام نذكر ما تركه شيخنا - المترجم له - من آثار علمية في الفقه و الأصول، و نخص منها بالذكر كتابين مهمين:

أ. «درر الفوائد» و هي دورة أصولية كاملة كان عليه مدار تدريسه، و قد طبع في جزءين، و للمؤلف على الكتاب تعليقات علّقها حسب ما بدا له من الآراء الجديدة في خلال دوراته الأصولية.

ب. كتاب «الصلاح» و هو و إن اختص بكتاب الصلاة، و لكنّ فيه بحثاً علمية تتمتع بالعمق، يستفيد منها القارئ في أبواب آخر، و قد كان سيدنا البروجردي - حسب ما سمعته منه شفهاياً - يثنى عليه بأنّه مع الاختصار قل نظيره بين مؤلفات المعاصرين متضمن لمطالب كثيرة.

ثمّ أتاحت لشيخنا المترجم فرصة تربيته جيل كبير من الفقهاء الذين أضحووا فيما بعد عمد الدين، و أساطين الحوزة، و مراجع للفقه و الأصول، و لا يمكن في هذه العجالة الإشارة إلى أسمائهم، و كفانا في ذلك ما أُلّف في هذا المجال من الرسائل و الكتب، و قد غطى البلاد جل المتخرّجين من هذه الحوزة، فما من مدينة

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٢٣

إلّا وفيها خريج من هذه الحوزة المباركة من تلامذته، أو من المتخرجين على يدي تلامذته، منهم: الإمام الخميني، و سيد الطائفة آية الله الكلبايكاني، و شيخ الفقهاء آية الله الأراكي (قدس سره) م.

١٤. السيد حسين البروجردي (١٢٩٢ - ١٣٨٠ هـ)

هو السيد حسين بن السيد علي بن السيد أحمد بن السيد علي نقى بن السيد جواد، أخو بحر العلوم، ولد في بيت عريق في العلم و الفضل، و تلقى المقدمات في موطنه ثم غادر إلى أصفهان يوم كانت حوزة علمية كبيرة تكتظ بأساتذة ذوي اختصاص في المعقول و المنقول عام ١٣٠٩ هـ، فبقى فيها إلى سنة ١٣١٨ هـ - ثم غادرها متوجّهاً إلى النجف الأشرف، فحضر بحث المحقق الخراساني ما يقرب من عشر سنين.

و قد شهد له أستاذه بالعلم و الفقه، فلما هبط سيدنا المترجم موطنه، عكف على دراسة الفقه و الأصول و الرجال و غيرها بعيداً عن الأجواء المتواترة، فصار ذا منهج في استنباط الأحكام و علم الرجال، ذا أفكار رائعة في المسائل الأصولية، قام (قدس سره) بتدوين الرجال على حسب الطبقات، فهو أول من أحيا ذلك المنهج بعد صاحب «جامع الرواة» و إن كان هناك فرق بينهما في الإحاطة و كيفية العرض، و في مستهل سنة ١٣٦٤ هـ - غادر مسقط رأسه إلى قم بعد فترة قصيرة قضاها في طهران لتدهور حالته الصحية، فاستقبله العلماء بحفاوة بالغة، فعادت روح جديدة في عروق الحوزة، و تجسدت الآمال الكبيرة في شخصه و شخصيته و زعامته.

قام السيد بإلقاء الدروس و رعاية الحوزة إلى أن هزّ البلاد الإسلامية نبأ وفاة زعيم الشيعة آية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني، في الثامن من ذي الحجة الحرام من شهر عام ١٣٦٥ هـ - (رضوان الله عليه) و منذ ذلك الحين أدوار الفقه الإمامي (للسبغاني)، ص: ٣٢٤

استقطب أنظار الشيعة في كل أرجاء المعمورة، و تجسدت فيه الزعامة الدينية للشيعة الإمامية. و كان ذا و لوع خاص بإلقاء الدروس و المحاضرات، و تربية الفقهاء بالرغم من قيامه بأعباء الزعامة. و تعبّر محاضراته الفقهية عن نتاج أفكاره، فتطرق في غير واحد من أبواب الفقه، كالإجازة، و الوصية، و الصلاة، و الخمس، و الطهارة، و غير ذلك.

و أمّا أصول الفقه فقد جعل محور دراستها كتاب «كفاية الأصول» لأستاذه المحقق الخراساني، فألقى محاضرات في معظم مباحث الألفاظ، ثم في المباحث العقلية، فأكمل البحث في القطع و الظن و البراءة، و شيئاً من مباحث الاشتغال، حتى عاقته أمور الزعامة عن مواصلتها.

كان السيد البروجردي آية في جل العلوم الإسلامية، فما منعه سبر الغور في الفقه و أصوله، عن دراسة المعقول و الكلام و التاريخ و الرجال، و كان هو الدافع الرئيسي لانكباب الفضلاء و علماء الحوزة على محاضراته، مع أنهم كانوا في الرعيل الأول من الأساتذة.

١٥. السيد الإمام روح الله الموسوي الخميني (رحمه الله) (١٣٢٠ - ١٤٠٩ هـ)

هو السيد روح الله بن السيد مصطفى، الزعيم الأكبر، و الإمام الأعظم، أحد الشخصيات القلائل التي يضمن بهم الدهر إلّا في فترات يسيرة.

و الكلام عنه و خدماته الجليلة و آثاره و معطياته للأمة خاصة رهن مقال مسهب بل كتاب مفرد. تلقى المقدمات في موطنه «خمين» ثم انتقل إلى أراك عام ١٣٣٩ هـ - يوم كان شيخه المحقق الحائري زعيماً لحوزة أراك، و لما انتقل الأستاذ إلى مدينة قم غادرها

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٢٥

الإمام الخميني إلى قم، فأقام فيها قرابة ٤٣ سنة أي إلى عام ١٣٨٣ هـ، فحضر دروس أستاذه الحائري في الفقه و الأصول، كما حضر دروس الشيخ محمد علي الشاه آبادي في المعقول و العرفان، و لم يقتصر نشاطه العلمي على هذين الأستاذين بل أخذ عن غيرهما و إن كان أكثر استفادته منهما.

و لما لبى المحقق الحائري نداء ربّه عام ١٣٥٥ هـ - استقل بالتدريس في كلا المجالين المعقول و المنقول، و ربّي جيلاً كبيراً في هذه البرهه، و لما حلّ السيد البروجردى بمدينة قم و أضفى على الحوزة نشاطاً علمياً خاصاً، حضر سيدنا الإمام الخميني أنديته دروسه حضوراً فعالاً للاستفادة من منهل علمه و رحيق فكره، و قد كتب من دروس السيد البروجردى شيئاً كثيراً. فكتب محاضراته في علم الأصول من أوّله إلى حجية الظن، و في الوقت نفسه كان يلقى محاضرات في الفقه و أصوله، و كانت له حوزة فقهية كبيرة تضم عدداً كبيراً من الفضلاء.

ترك سيدنا الإمام الخميني ثروة فقهية كبيرة نشير إلى بعضها:

١. «المكاسب» في خمسة أجزاء تبحث عن: المكاسب المحرّمة، و أحكام البيع، و الخيارات. و هي من جلائل آثاره تتمتع بقوة التعبير، و عمق الفكر.

٢. «تحرير الوسيلة»، و الأصل للسيد الاصفهاني و قد أكملها السيد الإمام الخميني بتحرير جديد، و صارت رسالة عملية له، و هي تكشف عن إحاطته بالفروع، و قوة عارضه في إرجاعها إلى الأصول.

٣. «دورات أصولية» ألقاها في حوزة قم دورة بعد دورة، أو سطرها ما حررناها و نشرناها تحت عنوان: «تهذيب الأصول» في جزئين، و قد أشرف على عامه ما حررته، فصحّح ما طغى عليه الفكر أو زاغ عنه البصر.

٤. و للسيد الإمام الخميني رسائل فقهية و أصولية أخرى مذكورة في ترجمته.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٢٦

و له (قدس سره) وراء ما ألفه في الفقه و الأصول تأليف أخرى في الفلسفة و العرفان و الأخلاق و ذبّ الشبهات عن حياض الإسلام، فقد كان لكتابه «كشف الأسرار» صدى واسع في المحافل العلمية و الشعبية، ألفه رداً على بعض الشبهات المطروحة حول الإسلام و التشيع.

كما أنّ لكتابه «مصباح الهداية إلى الخلافة و الولاية» مكانة عالية في سماء العرفان قلّ نظيره.

و قد قام السيد الإمام بقيادة الثورة الإسلامية بعد الإطاحة بنظام الشاه ما يربو على ١١ سنة ألقى خلالها العديد من المحاضرات السياسية و الاجتماعية و الأخلاقية و قد طبع الجميع باسم «صحيفة النور» في أزيد من عشرين جزءاً.

إنّ شخصية الإمام الخميني شخصية لامعة أثبت بثورته أنّ الإسلام دين للماضي و الحاضر و المستقبل، و أنّه ليس للإنسان المتحضر بدّ إلّا التمسك بأهداب ذلك الدين القيم.

و ظل الإمام قائماً بأعباء الزعامة الدينية و السياسية إلى أن وافاه الأجل في ٢٩ من شهر شوال المكرم عام ١٤٠٩ هـ، و قد شُيع جثمانه الطاهر تشييعاً جماهيرياً حاشداً قلماً شهد التاريخ مثله.

و أنا شخصياً أرفع أسمى آيات الاعتذار إلى سماحة أستاذي الكبير الإمام الخميني (قدس سره) فإنّ ما ذكرته هنا ليست ترجمة لحياته أو إشارة إلى جانب من خدماته، فإنّ هذا رهن كتاب مفرد، و قد قمت بترجمته في مقال مسهب نشر في مجلة «مكتب إسلام» أيام رحيله قد استوفيت فيه بعض الحقّ.

فَسَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ مَاتَ وَ يَوْمَ يَبْعَثُ حَيًّا.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٢٧

١٦. السيد أبو القاسم الخوئي (١٣١٧-١٤١٣هـ)

هو السيد الفقيه الكبير، والأصولي البارِع، السيد أبو القاسم بن السيد علي أكبر الخوئي، ولد في مدينة «خوى» إحدى مدن إيران، و انتقل مع والده إلى النجف الأشرف عام ١٣٣٠هـ، فقرأ المقدمات و السطوح العالية عند أساتذة الفن حتى حضر بحث الشيخ المحقق شيخ الشريعة الأصفهاني عام ١٣٣٨هـ، و لما التحق شيخ الشريعة بالرفيق الأعلى عام ١٣٣٩هـ- اختص بشيخه الجليلين: أ. الشيخ محمد حسين النائيني (المتوفى ١٣٥٥هـ).

ب. الشيخ محمد حسين الأصفهاني (المتوفى ١٣٦١هـ).
فقد عكف على دروسهما، و كتب شيئاً كثيراً منها، حتى أصبح أستاذاً بارزاً يشار إليه بالبنان في الفقه و الأصول، و اكتتبت دروسه برواد العلم و المعرفة، و أصبح مرجعاً علمياً، و زعيماً دينياً للطائفة الشيعية بعد رحيل السيد محسن الحكيم (قدس سره).
إن السيد الخوئي كان صاحب مدرسة في الفقه و الأصول، و قد انتشرت عنه تقريرات و محاضرات كثيرة لم ينتشر عن أحد قبله، و هذا يعرب عن أنه كان أستاذاً مريباً للجيل، حنوناً، و عطوفاً على التلاميذ، يراعاهم و يرشدهم إلى معالم العلم، و يذاكرهم، و لا يمل، و يباحثهم و لا يكل.

أما ما انتشر بقلمه، فهو عبارة عن الكتب التالية:

١. «أجود التقريرات» في جزئين، تقريراً لمحاضرات أستاذه المحقق النائيني.

٢. رسالته في «اللباس المشكوك» نشر عام ١٣٦١، و هي مفعمة بالتحقيق.

٣. «البيان في تفسير القرآن» و هو أحد المصادر لمن يكتب عن علوم القرآن.

٤. معجم رجال الحديث في ٢٣ جزءاً و هو من حسنات الدهر.

أدوار الفقه الإمامي (للسبعماني)، ص: ٣٢٨

و أما ما انتشر بقلم تلامذته فحدث عنها و لا حرج، فقد انتشر منها:

أ. «التنقيح» في سبعة أجزاء، لتلميذه المحقق ميرزا علي الغروي التبريزي قدس الله سره الشريف.

ب. «مستند العروة» و هو شرح استدلال على العروة الوثقى.

و أما ما انتشر عنه في الأصول فكثير ك- «مصباح الأصول»، «المحاضرات» في خمسة أجزاء، و غيرها.

توفي (رحمه الله) عام ١٤١٣هـ- في مدينة النجف الأشرف.

يعد السيد الخوئي أحد الأعلام الكبار الذين يقف القلم عند تحليل شخصيتهم، و لنقتصر بما ذكره تلميذه الطائر الصيت الشيخ محمد جواد مغنية حيث يقول:

السيد الخوئي: عالم لم يقف عند جهة واحدة من جهات العلم و الفكر، بل أتقن منها ما أتقن، و ألم بما ألم، و أحاط و تعمق في أشرفها و أعظمها حتى أصبح علماً من أعلامها الأمثلين، و رائداً من روادها المقلدين، فقد لبث زمناً يدنو من السبعين يتعلم و يعلم و يؤلف و يخرج العلماء و يناقش الجدد منهم و القدماء.

أمياً أسلوبه في الجدال و النقاش، فهو أسلوب سقراط يتجاهل و يتظاهر بتسليم قول الطرف المقابل ثم يعرض عليه الشكوك و التساؤلات، و يتصنع الاستفادة و الاسترشاد، و شأن الطالب و التلميذ، حتى إذا أجاب المسكين ببراءة و سذاجة انقض عليه، و انتقل به إلى حقائق تلزم أقواله، و لا- يستطيع التخلص منها، و يوقعه في التناقض من حيث لا- يشعر، و يحمله قهراً على الاعتراف بالخطأ و الجهل.

أما الذين تخرجوا عليه فلا يعلم عددهم إلا الله وحده، و لكنني على علم اليقين أنهم يعدون بالمئات و أنهم يمثلون جامعة كبرى و ما

زالوا على ازدياد، والآن

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٢٩

تنضوي المثات تحت منبره، وفيهم الشيوخ والشباب والأساتذة والطلاب والكثير منهم يهضم أفكاره وآراءه بل و يلتهمها بشوق. (١١)

١٧. السيد محمد رضا الكلبايكاني (١٣١٦-١٤١٤ هـ)

هو السيد محمد رضا بن السيد محمد الكلبايكاني، أحد أكابر تلامذة الشيخ عبد الكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية و أحد المراجع الكبار في عصره، قرأ المقدمات في موطنه، ثم انتقل إلى مدينة «أراك» عام ١٣٣٦ هـ و هو في نهاية العقد الثاني من عمره، و حضر هناك دروس الشيخ الحائري و الشيخ محمد تقى الكوگدى، و لما غادر شيخنا المؤسس إلى مدينة قم المقدسة و حط الرحال فيها، التحق به سيدنا المترجم مستفيضاً من دروس أستاذه الكبير، إلى أن قضى شيخنا الحائري نجه، فاستقل سيدنا بالتدريس و التأليف.

و لما نزل السيد البروجردى في مدينة قم بدعوة من علمائها لا سيما سيدنا المترجم، أخذ السيد يتردد إلى أنديه دروسه فقهاً و أصولاً مدّة مديدة و لمّا وافى السيد البروجردى الأجل، عُيّن للمرجعية و زعامة الحوزة الدينية و تربية الأفاضل و المجتهدين، و قد تزامنت مرجعيته مع ظهور النهضة الإسلامية الكبرى فساهم فيها مع أستاذنا الكبير الإمام الخميني (قدس سره) مساهمة فعالة بغية ارساء قواعدها، و قد تحمل في هذا السبيل الكثير من الصعاب و المشاق من قبل السلطات الغاشمة.

و لسيدنا المترجم مصنفات و مشاريع خيرية كثيرة، منها:

١. كتاب الحج، ٢. ولاية الفقيه، ٣. الشهادات، ٤. الدر المنضود في أحكام الحدود، ٥. نتائج الأفكار، ٦. كتاب الطهارة.
- و هذه كلها محاضرات ألقاها في أنديه دروسه و حرّرها تلامذته الأفاضل.

(١) محمد جواد مغنية: من هنا و هناك: ١٥٥-١٥٦.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٣٠

و أما ما يرجع إلى ما ألفه بقلمه فهو تعليقه على درر الفوائد في علم الأصول و قد طبع في جزءين. و من مشاريعه الخيرية:

١. تأسيس دار القرآن الكريم، ٢. إنشاء مستشفى كبير في مدينة قم، ٣. إنشاء مركز ديني للجاليات الإسلامية في لندن، ٤. إنشاء مساجد عديده في أنحاء إيران.

كان سيدنا قائماً بأعباء الزعامة إلى أن وافاه الأجل يوم الخميس، الرابع و العشرين من جمادى الآخرة من شهر عام ١٤١٤ هـ و قد شيع جثمانه الطاهر تشيعاً جماهيرياً حاشداً، و دفن - قدس الله سره - في حرم السيدة معصومة (عليها السلام).

مميزات الدور السابع

١. كان الدور السابع في الحقيقة إكمالاً للأسس التي ورثها الشيخ الأنصاري و تلاميذه عن المحقق البهبهاني و من أعقبه، فإن أكثر ما ورد في كلمات علماء هذا الدور تجد لها جذوراً في كتب المحقق البهبهاني و تلاميذه، و لكن مع فارق جلي، و هو إعطاء منهجية لتلك الأصول و تنظيمها بشكل أضفى عليها شكلاً جديداً أصبح بذلك يمثل دوراً على حدة.

٢. إن الفقه و إن كان ذا أبواب متعدده، كالعبادات و المعاملات و العقود و الإيقاعات و السياسات، و لكن فقهاء هذا الدور صبّوا

اهتماماتهم على العبادات و العقود بالأخص المعاملات منها، و تجلّى هذا بشكل واضح في كتاب «المكاسب» للشيخ الأنصاري، و «مصباح الفقيه» للمحقّق الهمداني، و تعليقه السيد الفقيه

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٣١

اليزدي على المكاسب، و كتاب «العروة الوثقى» و لا تجد فقيهاً إلّا و له تأليف في أحدهما.

و بذلك قلّ التصنيف في الأحوال الشخصية مقارنةً بهما و أقلّ منه ما يرجع إلى الأحكام و السياسات، و ذلك لأنّ الفقهاء في أكثر هذه الفترة كانوا بمعزل عن السياسات و الأحكام و إجراء الحدود.

نعم بعد ما قامت الثورة الإسلامية المباركة في إيران كثر التأليف حول السياسات و الأحكام، و الركب بعد سائر.

٣. تبويب المسائل الأصولية بشكل قلّ نظيره في الأدوار السابقة، ثمّ تقسيمها إلى مباحث الألفاظ و المباحث العقلية، و أشبعوا الكلام في الثاني على وجه لم يكن له نظير في السابق.

نعم بعض ما عدّ من مباحث الألفاظ، كباب الملازمات العقلية يلزم أن يعد من المباحث العقلية كما حقّقناه في محله.

٤. ظهور نمط من التأليف في الفقه و الأصول باسم التقارير، و هو كالأمالى بين القدماء، فإنّ الأستاذ كان يملئ دروسه فيحرره التلميذ، ثمّ ينشر باسم الأستاذ، كأكثر الأمالي الموروثة من القدماء، و هذا بخلاف التقارير، فإنّ الأستاذ يملئ و التلميذ يكتب، و ينتشر باسم التلميذ مضيئاً إلى أنّ المحتوى من الأستاذ.

و أمّا عدد التقارير التي دونت من عصر شيخنا الأنصاري إلى يومنا هذا ممّا لا يحصيه إلّا الله سبحانه، كما ذكره شيخنا الطهراني في «الذريعة».

٥. ظهور رسائل عملية بلغات مختلفة ليرجع إليها المسلمون في أعمالهم الدينية و الدنيوية، و أفضل ما ألف في هذا المضمار هو:

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٣٢

أ. «العروة الوثقى» للسيد الفقيه محمد كاظم اليزدي الطباطبائي (قدس سره).

ب. «وسيلة النجاة» للسيد أبو الحسن الأصفهاني (قدس سره).

ج. «منهاج الصالحين» للسيد الحكيم (قدس سره).

د. «تحرير الوسيلة» للسيد الإمام الخميني (قدس سره).

هـ. «تكملة منهاج الصالحين» للسيد الخوئي (قدس سره).

و. «توضيح المسائل» و عليها التعليقات.

و خصوصية هذه الرسائل أنّها تشتمل على آراء الفقيه بصورة مختصرة دون أن يتطرّق إلى الاستدلال في كافة الجوانب المادية و المعنوية.

الميزة الجامعة بينها هي الدقة و العمق و كثرة التفرع ممّا خلف تراثاً فقهياً ضخماً تفتخر به الشيعة قلّ نظيره عند المذاهب المختلفة.

المراكز العلمية في هذا الدور

تمتعت أكثر البلدان في هذا الدور بحوزات علمية فقهية كبرى، إلّا أنّ المراكز المهمة التي نشطت فيها عبارة عن الحوزات التالية:

١. حوزة النجف الأشرف المدرسة الكبرى للشيعة.

٢. حوزة كربلاء المقدسة.

٣. حوزة سامراء.

٤. حوزة أصفهان.

٥. حوزة خراسان.

٦. حوزة تبريز.

أدوار الفقه الإمامي (للسبحاني)، ص: ٣٣٣

و أخيراً حوزة قم التي أسسها الزعيم الديني الأكبر الشيخ عبد الكريم الحائري (قدس سره) مضافاً إلى الحوزات العلمية للشيعة في الهند و باكستان و لبنان و الشام و غيرها التي كانت عامرة بعلمائها و فضلائها، و بذلك لا يتمكن أي أحد من أداء حق هذا الدور على وجه يليق به.

هذه الإمامة عابرة بالأدوار الفقهية للشيعة الإمامية، و كان الطريق وعراً غير مذلّل و لا معبّد لكن سلكناه - بفضل الله سبحانه - بعزم راسخ، آملين أن يقع مورد القبول.

تمّ الكتاب بقلم مؤلفه جعفر السبحاني

في صبيحة يوم الأحد المصادف خامس ربيع الثاني عام ١٤١٨ هـ -

في مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)

للدراسات و الأبحاث الإسلامية

في مدينة قم المقدسة صانها الله من عوائد الدهر.

و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام عليّ بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا أَحْيَا أُمَّرْنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللهُ - كان أحداً من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسة و طريقة لم ينطفيء مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب الجامعات، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينيّة، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعة ثقافية على أساس معارف القرآن و اهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إناله منابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبّهات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات -

في آكناف البلد - و نشر الثقافة الاسلاميه و الايرانيه - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي " القائمية " www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخر

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاع و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كاشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد

جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسه " الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد/ " ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفتق" و فائى/ "بنايه" القائمية"

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسيه (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزانية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعه، غير حكوميه، و غير ربحيه، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافى الحجم

المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى

بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم

- فى حدّ التمكن لكلّ احدٍ منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولىّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

